المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية




# الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة واستخداماتُها في عصري الأيُّوبيين والمماليك (٥٧٠-٩٢٣هـ/ ١١٧٤-١٥١٧م)



رسالةٌ مُقدَّمةٌ لنَيْلِ درجة الماجستير في التَّاريخ الإسلاميِّ

إعداد الطالب
محمد بن أحمد بن علي الغامدي
الرقم الجامعي (٤٣٤٨٨٢٧٤)

إشراف الدكتور
عمرو عبد العزيز منير

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ

غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾

[سورة الفرقان، آية ٦]

# ملخص الرسالة

## الشَّفرة: الكتابة السرية واستخداماتها في عصري الأيوبيين والمماليك (٥٦٧-٩٢٣هـ/ ١١٧١-١٥١٧م)

محمد بن أحمد بن علي الغامدي- ماجستير

تهدف الدراسة إلى تأصيل علم الشَّفرة، وإبراز طرق الشَّفرة والكتابة السرية واستخداماتها المتنوعة في عصري الأيوبيين والمماليك، وعرض الأدوات التي استخدمت للشَّفرة، وطرق نقل المعلومات والرسائل السرية. وقد اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وملاحق، وخاتمة، وقائمة بمصادر ومراجع الدراسة.

أما المقدمة: فبينت فيها موضوع الدراسة وأهميتها، ومشكلات الدراسة، والمنهج المستخدم، وأسباب اختيار الموضوع، ودراسة تحليلية لأهم مصادر ومراجع الدراسة.

وفي التمهيد: تناولت الأوضاع العسكرية والسياسية في عصري الأيوبيين والمماليك وأثرهما في تطور علم الشَّفرة والكتابة السرية.

وفي الفصل الأول: تناولت مفهوم الشَّفرة ومسمياتها المتنوعة، ونشأة علم الشَّفرة وروادها في الحضارة الإسلامية، وارتباط الشَّفرة بالعلوم المعاصرة، والصفات الواجب توفرها في كاتب الشَّفرة.

أما الفصل الثاني: تناولت الشَّفرة عن طريق التورية، والشعر، والكتابة الـمُرمَّزة، والشَّفرة عن طريق الهدايا.

وفي الفصل الثالث: تناولت أدوات الشَّفرة والكتابة السرية، كالأقلام، والوَرَق، والأحبار السرية.

وفي الفصل الرابع: تناولت طرق نقل الرسائل السرية، كالبريد البريد، والحمام الزاجل، والمناور، وإخفاء الرسائل.

وفي الفصل الخامس: تناولت الاستخدامات المختلفة للشَّفرة، كاستخدامها في المسائل الفقهية، والنحوية، واستخدامها عند الفرق الدينية.

أما أهم النتائج التي خلص إليها البحث فهي: أن المسلمين هم أوَّل من وضع أسس وقواعد علم الشَّفرة، وأن العصر الأيوبي والمملوكي شهد ازدهارًا في طرق تشفير الرسائل، والكتابات السرية، وكثرت فيه المؤلفات الخاصة بالشَّفرة، وبينت الدراسة مدى أهمية استخدام الشَّفرة في حفظ أمن الدولتين الأيوبية والمملوكية والقضاء على الفتن والثورات، وأن استخدام الشَّفرة شمل نواحي متنوعة كالمسائل الفقهية والنحوية.

# Summary of Thesis

## The Cryptography: secret writing and Uses thereof in the Ages of Ayyubid and Mamluk (567-923 AH/ 1171-1517 AD)

**Mohammed Ahmed Ali Al Ghamdi - Master Thesis**

The study aims at the nativization of cryptography and showing of cryptography and secret writing and several uses thereof in the ages of Ayyubid and Mamluk, the showing of tools used in the cryptography and showing of methods of information and secret messages. The research included an introduction, preamble, five chapters, annexes, conclusion and list of references.

As for the introduction it dealt with the subject, importance and problems of study, the methodology, the reasons for selection of subject and an analytic study of the most important study references.

As for the preamble it dealt with the military and political conditions in the ages of Ayyubid and Mamluk and their impact in the development of cryptology and secret writing .

As for Chapter One it dealt with the concept of cryptography and several definitions thereof, the origin of cryptography, the pioneers of cryptography in the Islamic civilization, the cryptography relation to the current sciences and the qualities to be found in the cryptographer.

As for Chapter Two it dealt the implicit cryptography, the poetry, the encrypted writing and the cryptography by gifts

As for Chapter Three it dealt with the tools of cryptography and secret writing such as films, papers and invisible inks.

As for Chapter Four it dealt with the methods of transfer of secret messages such as post, homing pigeons, skylights and the hiding of messages.

As for Chapter Five it dealt with the different uses of cryptography such as the uses thereof in jurisprudence issues and grammar issues and the uses thereof by the religious groups.

As for the conclusion it is as follows: the Muslims are the first to set the rules of cryptography. The ages of Ayyubid and Mamluk witnessed booming in the methods of message encryption and secret writing and increasing cryptography writings. The study revealed how the use of cryptography is important in the security safeguarding of Ayyubid and Mamluk dynasties and elimination of commotions and revolutions and that the use of cryptography included diverse aspects such as the jurisprudence and grammar issues.

# الإهـــــــــداء

- إلى أُمِّي، قُرَّةِ عيني - حفظها الله - التي بدُعائها ودعمها وفَّقني الله جلَّ وعلا.
- إلى أبي، رحمه الله رحمةً واسعةً، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنَّة.
- إلى أختي، أُمِّ محمد، عليها من الله الرَّحمة الواسعة.
- إلى زوجتي الحبيبة وأبنائي - حفظهم الله - لصبرهم عليَّ، وتحمُّلهم معي مشاقَّ البحث.
- إلى شقيقتيَّ، أُمِّ أحمد، وأُمِّ عبد الرحمن، حفظهما المولى.



# شكرٌ وتقديرٌ

الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيبًا مُباركًا فيه، حمدًا يليق بجزيل عطائه، وكثير إحسانه، وتفضُّله وإكرامه، الحمدُ لله القائلِ في كتابه العزيز: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾، [سورة لقمان، آية ١٢].

أتوجَّه بالشُّكر بعد شُكر الله إلى أستاذي الدكتور/ عمرو عبد العزيز منير، الذي تفضَّل بالإشراف على هذه الرسالة، وعلى ما قدَّمه لي من تشجيع واهتمام، وعلى حُسن مُعاملته وجميل صبره، فجزاه الله عنِّي خير الجزاء، وجعل ذلك في موازين حسناته.

كما أتوجَّه بالشُّكر إلى الأستاذ الدكتور/ سلامة محمد البلوي، مدير مؤسسة الشارقة الدولية لتاريخ العلوم عند علماء العرب والمسلمين، الذي أمدَّني ببعض الأفكار والملاحظات أثناء إعداد خطة البحث.

وأتوجَّه بالشُّكر للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا، عميد كلية العلوم ونائب رئيس جامعة القاهرة سابقًا، الذي رحَّب بي في بيته وقدَّم لي مشكورًا بعض الاقتراحات لفصول الدِّراسة، وأمدَّني ببعض مؤلَّفاته والمتعلقة بموضوع الدِّراسة.

# المقدمة



## المقدمة

الحمدُ لله الملك السِّتير، عالم الغيب، المطَّلع على أسرار عباده ما ظهر منها وما بطن، وما دقَّ منها، وما عظم، ساتر العيوب، علام الغيوب، ومُصرِّف الخطوب، القائل في كتابه العزيز: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[سورة الفرقان، آية ٦]. ونُصلِّي على الرَّسول الأمين، مُؤدِّي الأمانة، ومُبلِّغ الرِّسالة، المؤكِّد بأفعاله وأقواله أن كتمان الأسرار من أفضل الدروب لقضاء الحاجات، وتحقيق المقاصد وبلوغ الغايات، عليه وعلى آله وصحبه أتمُّ صلاة وأفضل تسليم، أما بعد...

أسهمت السِّرِّيَّة في تداول ونقل المعلومات على استقرار الدول وتوطيد نفوذها، وإخفاء تحركاتها العسكرية لمباغتة العدو، وعدم كشف نوايا الدولة لأعدائها، لذا برز الاهتمام باستخدام طرق متنوعة للحفاظ على هذه المعلومات داخل الدولة وأجزائها المختلفة؛ لضمان عدم إلمام العدو بهذه الطرق السِّرِّيَّة.

وقد عُرفت هذه الطُّرق في الوقت الحاضر باسم الشَّفرة، وهي تحويل نص واضح إلى آخر غير مفهوم باستعمال طريقة مُعيَّنة يستطيع من يعرفها أن يفهم النَّص، والعملية العكسية التي يتم بها تحويل النَّص المكتوب بالشَّفرة إلى نص واضح مفهوم تُعرف باسم تحليل الشَّفرة، وتنوَّعت مُسمَّيات الشَّفرة عند العرب، ومن ذلك: التعمية، والترجمة، والكتابة الباطنة، والمرمَّز، والمبهم، وكان للمسلمين دور

رائد في تأسيس علم الشَّفرة، والتأليف فيه، وقد شهد علم الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة في عصري الأيُّوبيين والمماليك تطوُّرًا في الأساليب والتقنيات المستخدمة، نظرًا لطبيعة هاتين الدولتين ذاتيّ الطابع العسكري، ومدى ما واجهتاه من فتن داخلية وحروب وأخطار خارجية تمثلت في الهجمة الصليبية ثم المغولية .

فظهر مدى الاهتمام الكبير الذي حظي به علم الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة من قبل المسلمين للحفاظ على سرية وخصوصية المراسلات، وخاصةً في فترة الدِّراسة التي شهدت تطوُّرًا ملحوظًا في الأساليب والطرق المختلفة للشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة، واهتمت الدولتان الأيوبية والمملوكية بتطوير طرق ووسائل مُشفَّرة لنقل الأخبار بين أرجائها اتَّسمت بالسِّرِّيَّة والابتكار، ورغم استخدام المسلمين الأوائل لبعض هذه الأساليب من أخبار سرية وطرق متنوعة لنقل الأخبار، فإن العصرين الأيوبي والمملوكي شهدا ازدهارًا وتنظيمًا أكثر تطوُّرًا من ذي قبل، وكان القائمون على هذا الأمر من موظفي الإدارة والحكم من ذوي المكانة الخاصة على دراية وعلم بأسرار هذه العلوم والأدوات، وكان النتاج كثرة المؤلفات في هذا العصر التي تناولت التعمية واستخراج المعمَّى ووضعت قواعد وأصول لهذا العلم حتى أصبح علمًا إسلاميًّا بامتياز ظل استخدامه ممتدًا للوقت الحاضر.

## أهمية اختيار موضوع الدِّراسة:

- قلَّة الدِّراسات التي تناولت الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة في التَّاريخ الإسلامي.
- تسليط الضوء على موضوع لم ينل الاهتمام الكافي من الباحثين العرب والمسلمين في العصر الحديث رغم أهميته وما يكشفه من جوانب مهمة من تاريخ حضارتنا الإسلاميَّة.
- حاجة المكتبة العربيَّة لدراسة مستقلَّة عن علم الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة في عصرين مهمين من عصور الإسلام هما: العصر الأيوبي، وعصر المماليك، والرغبة في إبراز دور العرب المسلمين في تطوُّر علم الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة وما ارتبط بهما من علوم وأدوات أخرى.
- التأصيل العلمي لعلم الشَّفرة ونسبته للعرب والمسلمين الذين رسَّخوا مبادئ هذا العلم ووضعوا أبرز أسسه ونظرياته قبل الغرب بأمدٍ بعيدٍ.
- إبراز طرق الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة واستخداماتها المتنوعة في عصري الأيُّوبيين والمماليك، وأنها كان لها دور في المحافظة على سرية المعلومات وعدم اطلاع العدو عليها في حالات السلم والحرب.
- عرض الأدوات والأحبار التي استخدمت في الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة.
- التَّعرُّف على طرق نقل الرسائل والمعلومات السِّرِّيَّة ذات الطبيعة الخاصة.
- معرفة أسس وقواعد الشَّفرة سابقًا وطرق تطوُّرها والاستفادة من ذلك في حياتنا المُعاصرة، وخاصةً أن مجال اهتمام علم التَّاريخ هو استقراء الحاضر من خلال موضوعات من الماضي.

## مشكلات الدِّراسة:

• إن مصادر مثل هذا الموضوع هي كُتُب التراث بمفهومها الشامل، وليست محصورة في نوع مُعيَّن من المؤلفات مما يزيد من صعوبة البحث في هذا المجال.

• إن هذا الفرع من الدِّراسات التَّاريخية والحضارية أقرب بالمجال التطبيقي منه إلى المجال النظري، وهو يحتاج إلى جهد مضاعف من الباحث للخوض فيه.

• نُدرة المصادر والمراجع السابقة في هذا الموضوع حتى فيما يتعلق بهذا العلم في الوقت الحاضر بسبب تكتم الدول والجماعات على مثل هذه الموضوعات، والحرص على عدم إشاعتها بين الناس، وذلك لاعتبارات أمنية عديدة، وهو ما ينطبق على عصري الأيُّوبيين والمماليك، مما يزيد من العبء الملقى على كاهل أي باحث يقتحم هذا المجال الخصب والبكر.



## المنهج المستخدم في الدِّراسة:

سأستخدم - بإذن الله تعالى - المنهج العلمي التَّاريخي، معتمدًا على الأسلوب التحليلي لملاءمتها لطبيعة وموضوع الدِّراسة.

**أولًا**: المنهج العلمي التَّاريخي: من خلال دراسة علم الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة؛ دراسة تاريخية تأصيلية في الأصول والمنشأ ومراحل تطوُّر هذا العلم على أيدي العرب والمسلمين، خاصةً في فترة الدِّراسة التي شهدت ازدهارًا لاستخدام الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة وتنوُّعها.

**ثانيًا**: الأسلوب التحليلي: من خلال تحليل الحوادث والأفكار ووجهات النظر المختلفة حول ما كُتب أو قيل عن استخدامات الشَّفرة وطرق استخدام الكتابات السِّرِّيَّة وطرق نقلها والرجوع إلى المخطوطات والمصادر حول الموضوع.

**أسباب اختيار الموضوع:**

- عدم الأهتمام بهذا العلم وعدم تأصيله تأصيلًا علميًّا.
- نُدرة المصادر التي تحدَّثت عن الموضوع وقلَّتها؛ لكونها تُعتبر أمورًا سرِّيَّةً ولم تكن معلومة إلا للخاصة من رجال الدولة دون العامة.
- ربط علم الشَّفرة بالعلوم المُعاصرة.
- الأهمية في البحث عن مخطوطات وكتابات مُعاصرة للموضوع ليخرج الباحث بحصيلة علمية تمكنه من الإحاطة بجوانب الموضوع وإخراجه بالشكل المناسب.
- استجلاء غوامض الموضوع بالبحث والدِّراسة في المراجع الحديثة، سواء العربيَّة منها أو المترجمة أو الأجنبية، لاستكمال الموضوع بحثًا ونقدًا وتحليلًا.

**تقسيمات البحث:**

قُسِّم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وملاحق، وخاتمة، وقائمة بمصادر ومراجع الدِّراسة، ثم خُتم بقائمة للمحتويات.

فأمَّا **المقدمة** فتضمَّنت نبذة عن موضوع الدِّراسة وأهميتها، ومشكلات

الدِّراسة، والمنهج المستخدم في الدِّراسة، وأسباب اختيار الموضوع، ثم دراسة نقدية وتحليلية لأهم مصادر ومراجع الدِّراسة.

**التمهيد**: تناول الأوضاع العسكرية والسياسية في عصري الأيُّوبيين والمماليك وأثرهما في تطوُّر علم الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة.

**الفصلُ الأوَّل**: جاء بعنوان: علم الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة عند المسلمين، وقُسِّم إلى أربعة مباحث تناولت مفهوم الشَّفرة ومُسمَّياتها المتنوِّعة، ونشأة علم الشَّفرة ورُوَّادها في الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، ثم خُتم الفصل بالصفات الواجب توفُّرها لكاتب الشَّفرة.

**الفصلُ الثَّاني**: جاء بعنوان: أنواع الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة، وقُسِّم إلى أربعة مباحث تناولت الكلام الذي ظاهره غير باطنه (التَّورية ــ اللَّحن)، والأسلوب الشعري، والكتابة المُرمَّزة، والشَّفرة عن طريق الهدايا.

**الفصلُ الثَّالث**: جاء بعنوان: أدوات والكتابة السِّرِّيَّة، وقُسِّم إلى ثلاثة مباحث تناولت أنواع الأقلام، وأنواع الوَرَق، وخُتم الفصل بالأحبار السِّرِّيَّة وطرق تركيبها.

**الفصلُ الرَّابع**: جاء بعنوان: طرق نقل الرسائل السِّرِّيَّة، وقُسِّم إلى أربعة مباحث تناولت البريد البرِّي، والحمام الزاجل، والمناور، وخُتم الفصل بالطرق المتنوعة لإخفاء الرسائل السِّرِّيَّة.

**الفصلُ الخامس**: جاء بعنوان: الاستخدامات المختلفة للشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة، وقُسِّم إلى ثلاثة مباحث تناولت استخدام الشَّفرة في المسائل الفقهية، واستخدام الشَّفرة في المسائل النحوية، واستخدام الشَّفرة عند الفرق والجماعات المنتسبة للإسلام.

**الملاحق**: واشتملت على خرائط وجداول متعلقة بموضوع الدِّراسة.

**الخاتمة**: تضمَّنت أبرز النتائج التي توصَّل لها الباحث.

**قائمة المصادر والمراجع**: دُوِّنت فيها مصادر الدِّراسة من مخطوطات ومصادر أصيلة ومراجع ودوريات علمية، والتي اعتمد عليها الباحث في موضوع دراسته.

**قائمة المحتويات**: تضمَّنت محتويات الدِّراسة المتنوِّعة وأرقام صفحاتها.



وفي الختام، لا أدَّعي الكمال، وإن كنتُ سعيتُ وبذلتُ جهدي قدر طاقتي لتقديم أفضل ما أستطيعه، ليخرج البحث بهذا الشَّكل، فما كان من نقصٍ فمن نفسي والشيطان، وما كان من صوابٍ فلله الفضلُ والمنَّة، وأسأل المولى - عزَّ وجلَّ - أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾[النساء، آية ٧٠].

**دراسةٌ تحليليَّةٌ لمصادر ومراجع الدِّراسة:**

اعتمدتِ الدِّراسة على مجموعة من المصادر والمراجع العربيَّة تنوعت بتنوع موضوعات البحث، رتَّبتُ أبرزها على سنيِّ وفاة مُؤلِّفيها، منها:

**أولًا/ المصادر العربيَّة:**

- **مقاصد الفصول المترجمة عن حل الترجمة**، لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن علي بن هبة الله بن يوسف بن نصر بن أحمد اللخمي الموصلي المعروف بابن دنينير (ت ٦٢٧هـ)، عرف علم النحو وفهم حل التراجم، كان في زمان الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، ذكر في مؤلفه عدة طرق في التعمية، تم تناولها في الفصل الثَّاني، قام محمد مراياتي، ويحيى مير علم، ومحمد حسان الطيان بتحقيق مقاصد الفصول في كتاب علم التعمية واستخراج المعمَّى الواقع في جزأين.

- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، شغل القلقشندي رئاسة ديوان الإنشاء، مما مكَّنه من الاطلاع على أنظمة الدولة ودواوينها المختلفة، يُعَدُّ كتابه موسوعة علمية في التَّاريخ والجغرافيا والسياسة والأدب والعلوم الاجتماعية، فقد تعدى القلقشندي في صبح الأعشى الدور المرسوم لهذا الكتاب وهو أن يكون كتابًا في صناعة الإنشاء وشمل معارف متنوعة، وأعتمد البحث في كثير من فصوله على صبح الأعشى، ففي الفصل الأوَّل

يتناول الصفات الواجب توفرها في كاتب الإنشاء، وفي الفصل الثَّاني تم الاعتماد عليه في ذكر أمثلة لاستخدام الشَّفرة عن طريق التورية والشعر والكتابة المُرمَّزة، وفي الفصل الثَّالث أعطانا القلقشندي أنواع الوَرَق والأقلام المستخدمة في ديوان الإنشاء وبعض أنواع الأحبار السِّرِّيَّة، وفي الفصل الرَّابع من الرسالة تم الرجوع لصبح الأعشى عند الحديث عن وسائل نقل الرسائل المشفرة، ومراكز البريد، ومطارات الحمام الزاجل.

- **المخترع في فنون من الصنع**، للملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول (ت ٦٩٤هـ)، ثاني ملوك الدولة الرسولية باليمن، اشتغل بالعلم، واهتم بالصناعات والحرف، وتناول في أحد فصول كتابه: صناعة الكتاب، من حيث صنع الأحبار والليق، ووضع الأسرار في الكتب ومحوها، وأنواع الأقلام وصناعتها وبريها بطرق مختلفة، وهو ما تم الاعتماد عليه في الفصل الثَّالث عند التحدث عن أنواع الأقلام والأحبار السِّرِّيَّة.

- **سير أعلام النبلاء**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، من أضخم الموسوعات التي بحثت في التراجم والطبقات، من بداية الدعوة الإسلاميَّة وعلى مدى سبعة قرون، وشملت الصحابة والتابعين، وجميع طبقات الناس من خلفاء وسلاطين وملوك وحكام وأمراء وشعراء وأدباء مسلمين وغير مسلمين، تم الاعتماد عليه في التعريف ببعض التراجم الواردة في فصول الدِّراسة.

- **التعريف بالمصطلح الشريف**، لشهاب الدين أحمد بن يحيى ابن فضل الله العُمري (ت ٧٤٩هـ)، عمل مع والده في ديوان الإنشاء حينما كان والده كاتب السرِّ، في أيام سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثَّالثة، ولما انتقل والده إلى كتابة السرِّ بمصر انتقل معه وصار هو الذي يقرأ البريد على الملك الناصر، واستمر في ذلك طوال مدة عمل والده، نيابة عنه، بسبب كبر سنه، مما أكسبه الخبرة والدراية بعمل ديوان الإنشاء، تم الاعتماد على كتاب التعريف في عدة فصول من الدِّراسة، وخاصة الفصل الرَّابع المتعلق بطرق نقل الرسائل السِّرِّيَّة، ولابن فضل الله مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، وهو عبارة عن موسوعة متنوعة، تم الرجوع لها في بعض موضوعات البحث.

- **مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز**، لعلي بن محمد بن عبد العزيز بن فتوح بن هشام المعروف بابن الدريهم الموصلي (ت ٧٦٢هـ)، برع في الحساب والأوفاق وخواص الحروف وحل المترجم والألغاز والأحاجي، ذكر في مؤلفه عدَّة طرق في التعمية، تم تناولها في الفصل الثَّاني، قام محمد مراياتي، ويحيى مير علم، ومحمد حسان الطيان بتحقيق مفتاح الكنوز في كتاب علم التعمية واستخراج المعمَّى الواقع في جزأين.

- **الكامل في التَّاريخ**، لعلي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، يعتبر الكامل في التَّاريخ من أهم مصادر التَّاريخ الإسلامي، عاصر ابن الأثير دولة صلاح الدين الأيوبي، وذكر في

مؤلفه كثيرًا من الحوادث والمعارك مع الفرنج، والتي عاصرها، وتم الاعتماد على بعضها في ثنايا البحث.

- **الوافي بالوفيات،** لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، كان والده من أمراء المماليك في صفد، شغل وظائف مهمة في الدولة المملوكية، فتولى كتابة بيت المال بدمشق، وكتابة الإنشاء بها وبالديار المصرية، ثم ولي كتابة السرِّ بحلب، وكتابه الوافي من أوسع كتب التراجم، وتم الرجوع إليه في ترجمة بعض الأعلام المذكورين في الدِّراسة، وله **أعيان العصر وأعوان النصر**، ترجم فيه الأعلام الذين أدركهم، أو لقيهم في حياته، أو كانوا في زمنه في جميع أنحاء الخلافة الإسلاميَّة، وتم الرجوع له لترجمة بعض الأعلام.

- **معجم البلدان**، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، من أئمة الجغرافيين، اعتمد عليه كمصدر رئيسي في التعريف بالعديد من المدن والبلاد التي وردت في البحث، ولياقوت الحموي مؤلف آخر بعنوان: معجم الأدباء.

- **القاموس المحيط،** لمجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تميز بغزارة مواده، وحسن اختصاره، وهو من أشهر معاجم اللغة العربيَّة، تم الرجوع إليه في استخراج بعض معاني الكلمات في البحث.

- **الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم،** لشمس الدين محمد السحماوي (ت ٨٦٨هـ)، وهو من كتب الدساتير المعنية بديوان الإنشاء في العصر المملوكي،

وقد كان السحماوي أحد العاملين في ديوان الإنشاء، وتم الاعتماد عليه في الفصل الأوَّل، فيما اختص بصفات كاتب الإنشاء، وفي الفصل الثَّالث فيما يختص في الحديث عن أنواع الوَرَق والأقلام المستخدمة في ديوان الإنشاء، وفي الفصل الرَّابع عند تناول طرق نقل الرسائل المشفرة، وخاصة البريد البرِّي، والحمام الزاجل.

- **السلوك لمعرفة دول الملوك، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية،** لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ)، والذي يُعَدُّ أبرز مُؤرِّخي عصر المماليك، تناول كتاب السلوك النُّظُم الدينية والإدارية والاقتصادية والسياسية للسلطنة المملوكية، وأعمال السلاطين والأمراء، أما كتاب الخطط المقريزية فتناول تطور المظاهر الحضارية والدينية، ومُسمَّيات الأماكن وتاريخها، وتم الاعتماد على كتابيّ السلوك والخطط في الفصل الرَّابع عند تناول مراكز البريد، والحمام الزاجل، وطرق إخفاء المعلومات.

**ثانيًا/ المراجع العربيَّة:**

- **علم التعمية واستخراج المعمَّى عند العرب،** لمحمد مراياتي ويحيى مير علم ومحمد حسان الطيان، تحدث فيه مؤلفوه عن مفهوم التعمية ومُسمَّياتها، وعن تطور علم التعمية عند العرب والمسلمين، وطرق التعمية المختلفة واستخداماتها، واشتمل الكتاب على تحقيق مجموعة من مؤلفات علم التعمية، ويعتبر الكتاب مرجعًا مهمًّا للمشتغلين بالتعمية، لذا تم الرجوع إليه في عدد من فصول الدِّراسة؛

خاصة في الفصل الأوَّل عند الحديث عن مفهوم الشَّفرة ومُسمَّياتها، وفي الفصل الثَّاني عند تناول الشَّفرة عن طريق الشعر، والكتابة المُرمَّزة، فقد تم الاعتماد على بعض المخطوطات المحققة في هذا الكتاب، والتي تناولت طرق التعمية المتنوعة.

- **تاريخ أمن المعلومات في الحضارة الإسلاميَّة**، لسلامة محمد الهرفي البلوي، وتناول فيه عدة موضوعات متعلقة بالشَّفرة، وأساليب إخفاء المعلومات في التراث الإسلامي، واستخدام الشَّفرة عند الفرق الغالية، والكتابة غير المرئية، وقد اعتمدت الدِّراسة على بعض ما أورده البلوي في مؤلفه، فتم الاعتماد عليه في الفصل الأوَّل عند تناول نشأة الشَّفرة وروادها في الحضارة الإسلاميَّة، وارتباط الشَّفرة بالعلوم المُعاصرة، وفي الفصل الثَّاني عند تناول الكتابة المُرمَّزة، وفي الفصل الرَّابع عند التحدث عن طرق إخفاء الرسائل السِّرِّيَّة، وفي الفصل الخامس تم الاعتماد على كتاب البلوي عند التحدث عن استخدام الشَّفرة في المسائل الفقهية، واستخدام الشَّفرة لدى الجماعات والفرق الدينية.

- **مصر والشام في عصر الأيُّوبيين والمماليك**، لسعيد عبد الفتاح عاشور، وتناول فيه كثير من الحوداث والوقائع في عصري الأيُّوبيين والمماليك، وتم الرجوع إليه في عدد من المواضيع المتعلقة بفصول الدِّراسة المتنوعة.

- **معجم الألفاظ التَّاريخية في العصر المملوكي**، لمحمد أحمد دهمان، وتم الرجوع إليه في التعريف ببعض المصطلحات الواردة في ثنايا البحث.

وإضافة إلى هذه المصادر والمراجع، فقد أفاد البحث بمجموعة من المصادر والمراجع الأخرى، وبعض المقالات العلمية المتعلقة بموضوع الدِّراسة، وجميعها مثبت في حواشي الرسالة، وقائمة المصادر والمراجع.





# التمهيد

## التمهيد

شهد العقد الأخير من القرن الخامس الهجري وصول الحملة الصليبية الأوَّلى إلى بلاد الشام، وتمكَّنت في أقل من ثلاث سنوات أن تُقيم ثلاثة كيانات صليبية وهي: إمارة الرها، وإمارة أنطاكية، ومملكة بيت المقدس، وكان السبب الرئيسي في تمكنهم من الاستيلاء على هذه المناطق هو الفرقة والانقسام بين القوى الإسلاميَّة(١)، فقد كان يحكم العالم الإسلامي في تلك الفترة أربع قوى: الخلافة العباسية في بغداد، والفاطميون في مصر، والسلاجقة في بلاد فارس والعراق، والأمراء المحليون في الجزيرة والشام(٢).

أدَّى الضعف في الخلافة الفاطمية إلى إثارة أطماع الصليبيين في السيطرة على مصر، مما اضطر الوزراء الفاطميين إلى الالتجاء لنور الدين محمود زنكي(٣)



---

(١) رمضان،عبد الغني إبراهيم، المسلمون وإرهاصات الإفاقة للخطر الصليبي، ٤٩٣-٤٩٨هـ/ ١١٠٠-١١٠٥م، دراسات جامعة الملك سعود،المملكة العربية السعودية، ع٢، مج٢، نوفمبر ١٩٧٨م، ص٢١٣-٢٥٦، ص٢١٥.

(٢) خليل،عماد الدين، المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي، (د. م)، دار ابن كثير، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢٨.

(٣) محمود بن زنكي بن آق سنقر (٥١١-٥٦٩هـ) الملقب بالملك العادل نور الدين، ولد بحلب وانتقلت إمارتها إليه بعد وفاة أبيه، ضم دمشق إليه، وامتدت سلطته في الممالك الإسلامية حتى شملت جميع بلاد الشام الشرقية وقسمًا من الشام الغربية، والموصل وديار بكر والجزيرة ومصر وجانبًا من بلاد اليمن، أخذ بانياس من الصليبيين وفتح قلعة أفاميا، كان أعدل ملوك زمانه، حصن قلاع الشام وبنى الأسوار على مدنها كدمشق وحمص وحماه وبعلبك وحلب وشيزر، وبنى الجامع النوري بالموصل، مات بعلة الخوانيق في قلعة دمشق فقيل له الشهيد. صلاح الدين بن خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، الوافي =

للاستعانة به في صد حملات الصليبين، فأرسل لهم أسد الدين شيركوه[1]، ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، اللذان تمكّنا من هزيمة الصليبيين عند الإسكندرية سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م، وعقدت معاهدة بين شيركوه والوزير شاور[2] عاد على أثرها شيركوه إلى الشام، ولكن ما لبث حتى عاد بطلب من الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله[3] للقضاء على الوزير شاور، فكافأه بتقليده الوزارة،

=

بالوفيات،ج٢٥، اعتناء: محمد الحجيري، بيروت، دار الكتاب العربي،١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ص٢٠٦-٢٠٨. مرجع آخر، الزركلي،خير الدين، الأعلام، ط١٥، ج٧، بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، ص١٧٠.

(١) شيركوه بن شاذي بن مروان بن يعقوب، الملك المنصور أسد الدين، ولد بدوين من أطراف أذربيجان ونشأ بتكريت إذ كان أبوه متوليًا قلعتها، وكان من كبار أمراء نور الدين، وزّره العاضد الفاطمي في ربيع الآخر سنة ٥٦٤هـ، ومات بعد شهرين، ودفن بالقاهرة ثم نقل إلى المدينة المنورة. الصفدي ، الوافي بالوفيات، ط٢، ج١٦، اعتناء: وداد القاضي،ا بيروت، دار صادر، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٢١٤-٢١٥.

(٢) شاور بن مجير بن نزار بن عشاير السعدي الهوازني، أبو شجاع، ملك الديار المصرية ووزيرها، استطاع قتل الوزير ابن زريك فولاه العاضد الوزارة، استطاع أخذ الوزارة من ضرغام بمساعدة نور الدين الذي سير معه شيركوه، فنقض العهد الذي بينهما وحالف الفرنج، قُتل على يد عز الدين جردبك النوري سنة ٥٦٤هـ ، الصفدي، المصدر السابق، ص٩٥-٩٦.

(٣) عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم العُبيدي (٥٤٦-٥٦٩هـ)، آخر الخلفاء الفاطميين بمصر، قتل ابن رزيك ووزّر شاور، فلما قُتل شاور وزّر شيركوه، فلما مات وزّر صلاح الدين، الذي تمكن من خلعه وخطب لأمير المؤمنين المستضيء بأمر الله العباسي، وأزال دولته. المصدر السابق، ج١٧، اعتناء: دوروتيا كرافولسكي، ص٦٨٥-٦٨٦.

ولكن شيركوه لم يُعمر طويلًا، فتولى صلاح الدين الوزارة خلفًا لعمِّه[(١)].

تولَّى صلاح الدين الوزارة سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م، وتكشفت خيوط مؤامرة يقودها مؤتمن الخلافة[(٢)]، الذي اتَّفق مع بعض المصريين على مُراسلة الصليبيين لدعوتهم لغزو مصر والتَّخلُّص من صلاح الدين، الذي تمكَّن من القضاء على مؤتمن الخلافة بعد كشف أمر الرسول المرسل للصليبيين بواسطة أحد العاملين لديه[(٣)].

لجأ صلاح الدين بعد القضاء على مؤتمن الخلافة إلى إبعاد الخدم السودانيين عن قصر الخلافة الفاطمية، الأمر الذي أثارهم، فقاموا بثورة بعد أن زاد عددهم، قام صلاح الدين بقتالهم وأحرق أماكن تجمعهم، فطلبوا الأمان، وانتقلوا للضفة الغربية من النيل، ولكن صلاح الدين لم يكتفِ بذلك وطاردهم حتى قضى عليهم، وكذلك فعل بحرس الخليفة الأرمن[(٤)]، إذ أشعل النار في ثكناتهم وقبض عليهم، حتى لا يدع

(١) الأنصاري، ناصر، تاريخ أنظمة الشرطة في مصر، القاهرة، دار الشروق، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠، ص٦٥-٦٦.

(٢) مؤتمن الخلافة جوهر، خصي من السودان، كان متحكمًا في القصر زمن الفاطميين، دبر مؤامرة ضد صلاح الدين بعد علمه بزوال دولتهم، انتهت مؤامرته بقتله. ابن واصل،محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، المطبعة الأميرية، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، ص١٧٤-١٧٦.

(٣) حسين،محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ط٢، أربيل، دار ئاراس للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م، ص٥٨.

(٤) الأرمن: أصلهم من أواسط آسيا، وينتمون إلى الجنس الآري، نزحوا على شكل موجات، وسكنوا =

لهم مجالًا ليفعلوا كما فعل السودان[1].

تطلَّع صلاح الدين بعد القضاء على المؤامرات التي واجهها إلى تأسيس دولته في مصر، ولكن كان عليه التَّخلُّص من تبعية نور الدين محمود، الذي وافاه الأجل مما فتح المجال لصلاح الدين للانفراد بحكم مصر وضم بلاد الشام لحكمه[2] بعد أن تمكن من إنهاء الخلافة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م، وتوحيد جبهتي مصر والشام لمواجهة الصليبيين.

نتيجة المؤامرات التي واجهها صلاح الدين، والاستعداد لمواجهة الصليبيين، قام بتشديد الإجراءات الأمنية ليتمكَّن من ضبط الأمن في البلاد، ومراقبة حدود الدولة، ويحافظ على وحدة البلاد من الأخطار الخارجية.



=

شمال ساحل البحر الأسود، ومنهم من توجه لأوربا، وتوجه مجموعات منهم لقونية وقيصرية، وقد زحف الأرمن في أراضي ارمينبة في القرن السادس قبل الميلاد واستقروا في هذه الأماكن. طه، صلاح الدين أمين، سكان اقليم أرمينية بعد الفتح العربي له، مجلة التربية والعلم، العراق، ع٣، ١٩٨١م، ص ص٩-٣٦، ص ص٩-١٠.

(١) عاشور،سعيد عبد الفتاح، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٢م، ص٢٠.

(٢) سيد،عبد الله عيد كمال، التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٧-٩٢٣هـ/ ١١٧١-١٥١٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المنصورة، ٢٠١١م، ص١٥٧.

ويروي الرحالة ابن جبير[1] ما واجهه من تشديد الإجراءات الأمنية عند نزوله للإسكندرية في طريقه للحج قائلًا: "وعلى ساحل البحر أعوان يتوكلون بهم ويحمل جميع ما أنزلوه إلى الديوان. فاستدعوا واحدًا واحدًا، وأحضر ما لكل واحد من الأسباب، والديوان قد غُصَّ بالزحام. فوقع التفتيش لجميع الأسباب، ما دق منها وما جل، واختلط بعضها ببعض، وأدخلت الأيدي إلى أوساطهم بحثًا عما عسى أن يكون فيها. ثم استحلفوا بعد ذلك، هل عندهم غير ما وجدوا لهم أم لا"[2].

واجه صلاح الدين سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م، مؤامرة خطيرة لإسقاطه وإرجاع الخلافة الفاطمية، اشتركت فيها عدَّة أطراف، من ضمنهم عمارة اليمني[3]، الذي

(١) ابن جبير،محمد بن أحمد الكناني الأندلسي، أبو الحسين (٥٤٠-٦١٤هـ)، رحالة أديب، ولد في بلنسية ونزل بشاطبة، وبرع في الأدب والنثر، وأولع بالترحال والتنقل، رحل إلى المشرق ثلاث مرات إحداها سنة ٥٧٨-٥٨١هـ وفيها ألف رحلته، مات بالإسكندرية في رحلته الثالثة، ومن كتبه: نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان، ونتيجة وجد الجوانح في تأبين القرن الصالح، في تأبين زوجته أم المجد. ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد العكري(ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص١١٠. مرجع آخر،الزركلي، الأعلام، ج٥، مرجع سابق، ص٣١٩-٣٢٠.

(٢) محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي (ت ٦١٤هـ)، تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار (٥٧٨-٥٨١هـ)، تحقيق: علي كنعان، أبو ظبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، ص٢٤-٢٥.

(٣) عمارة بن علي بن زيدان الحكمي المذحجي اليمني، أبو محمد، نجم الدين (ت ٥٦٩هـ)، مؤرخ وشاعر أديب، من أهل اليمن،تفقه بزبيد، قدم إلى مصر برسالة من قاسم بن هشام أمير مكة إلى الفائز الفاطمي =

اتصل بالصليبيين في الشام وصقلية، وبالحشيشية[1] في الشام، وخططوا لهجوم خارجي على مصر تعقبه ثورة داخلية، وقد اكتشف صلاح الدين هذه المؤامرة مبكرًا عن طريق أحد عيونه المقيمين في مملكة بيت المقدس، والذي أمدَّه بتحركاتهم لحظة بلحظة، حتى لم يبق إلا التنفيذ قبض عليهم وقتلهم، فكان ليقظة صلاح الدين وبثه العيون بين الصليبيين في بلادهم وبين الشيعة في مصر أبلغ الأثر في القضاء على هذه الحركة قبل تنفيذ مؤامرتها[2].

بعد القضاء على المؤامرات الداخلية، وجَّه صلاح الدين جهوده في مواجهة الصليبيين والإسماعيلية[3] في بلاد الشام، ففي سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م هاجم حصونهم

=

سنة ٥٥٠هـ، فامتدحه بقصيدته الميمية،أحسن إليه الفاطميون وبالغوا في إكرامه، فأقام عندهم حتى زالت دولتهم على يد صلاح الدين، كان شافعيًا، تآمر مع سبعة من أعيان مصر على الفتك بصلاح الدين، فعلم بهم فقبض عليهم وصلبهم في القاهرة، له تصانيف منها: أرض اليمن وتاريخها، والنكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، والمفيد في أخبار زبيد. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٢، مصدر سابق، ص٣٨٤. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٥، مرجع سابق، ص٣٧.

(١) سيتم التطرق إليهم بالتفصيل في الفصل الخامس.

(٢) العبيدي،عبد العزيز بن راشد بن عبد العزيز، جهود صلاح الدين الأيوبي في بناء الجبهة الإسلامية وتأسيس الدولة الأيوبية حتى سنة ٥٧٣هـ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ع٦، يوليو١٩٩٢م، ص٤٤٧-٥٣١، ص٥٠٢-٥٠٣.

(٣) انقسم الشيعة الفاطمية بعد وفاة المستنصر بالله سنة ٤٨٧هـ إلى نزارية يؤيدون الأبن الأكبر نزار، ومستعلية يؤيدون الابن الأصغر المستعلي أبا القاسم أحمد، الذي سارع أمير الجيوش الوزير

=

وخرب ديارهم على ما كان منهم من محاولة قتله[1].

استطاع صلاح الدين الأيوبي تكوين جبهة إسلاميَّة واسعة، امتدت من طرابلس غربًا، حتى الفرات ودجلة شرقًا، وشملت الحجاز واليمن جنوبًا، ولكن سرعان ما تفككت بعد موته سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، وأصبحت ممالك وإمارات بينها نزاعات، واعتبرت كل واحدة منها نفسها مستقلة عن الأخرى[2] حتى استطاع المماليك حكم مصر سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م بعد قتلهم لتوران شاه[3] آخر سلاطين الدولة الأيوبية.

---

=

الأفضل بن بدر الجمالي إلى تنصيبه بعد أبيه ولقّبه المستعلي بالله، ولما رفض نزار مبايعة أخيه أسرع إلى الإسكندرية وأعلن خلافته، بلغ ذلك الخبر الأفضل فتوجه للإسكندرية وقبض على نزار وقتله سنة ٤٨٨هـ، ورفض الحسن ابن الصباح الاعتراف بالمستعلي، ومنذ ذلك الوقت انقسمت الإسماعيلية وصارت القاهرة مركزًا للمستعلية، بينما صارت شمال فارس قاعدة للنزارية. الحفني، عبد المنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، ط٢، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩م، ص٦٠-٦٢.

(١) العبيدي، جهود صلاح الديم،مرجع سابق، ص٥٢٤.

(٢) ماجد،عبد المنعم، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية: التاريخ السياسي (٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م)، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص١٣٧.

(٣) توران شاه بن الصالح أيوب بن الكامل ابن العادل، توفي أبوه الملك الصالح وهو مقيم في حصن كيفا فحلف الأمراء له، ثم ذهب إلى دمشق وبعدها سار إلى مصر، كان فيه خفة وطيش فخافه الناس، وكان يتهدد الأمراء بالقتل، فلما كان السابع من محرم سنة ثمانٍ وأربعين وستمائة، ضربه أحد المماليك

=

لم تكن أوضاع مصر والشام عند تولِّي المماليك الحكم بأحسن حال مما كانت عليه زمن الأيُّوبيين، فقد واجه المماليك الصليبيين، وهجمات المغول الذين أسقطوا الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م وتوجهوا للسيطرة على بلاد الشام حتى وصلوا إلى غزة، فتصدى لهم المماليك بقيادة قطز[١] وهزموهم في معركة عين جالوت[٢] سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، وواصل قطز تقدمه في بلاد الشام حتى قضى عليهم وسيطر على بلاد الشام وبسط نفوذه[٣].

=

البحرية فتلقى الضربة بيده فذهبت بعض أصابعه، فدخل أحد الأبراج الخشبية وهددهم بالفناء، فقاموا وأحرقوا عليه البرج، فرمى نفسه في النيل، ثم قاموا فقتلوه، وخُطب لشجرة الدر زوجة أبيه. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، اعتناء: جاكلين سوبلة وعلي عمارة، مصدر سابق، ص٦٤٥-٦٤٦.

(١) قطز بن عبد الله الشهيد، سيف الدين المعزي(ت ٦٥٨هـ)، ثالث ملوك الترك المماليك بمصر والشام، كان أكبر مماليك المعز أيبك التركماني، ترقى إلى أن أصبح أتابك العساكر في دولة المنصور ابن المعز، ثم خلعه وتسلطن مكانه سنة ٦٥٧هـ، واجه المغول وهزمهم في عين جالوت سنة ٦٥٨هـ، وطارد فلولهم حتى ظفر بهم، ودخل دمشق وعزل من بقي من أبناء بني أيوب، ورحل قاصدًا مصر، وفي طريق عودته تآمر عليه بعض أمراء الجيش فقتلوه، دفن بالقصير ثم نقل إلى القاهرة. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٤، مصدر سابق، ص ص٢٥١-٢٥٣. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٢٠١.

(٢) عين جالوت: بليدة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين، كان الصليبين قد استولوا عليها مدة ثم استنقذها منهم صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٩هـ، الحموي،شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، مج٤، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م، ص١٧٧.

(٣) أبو عليان، عزمي عبد محمد، مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، عمّان، دار النفائس، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص١٧-١٨.

وفي طريق عودة قطز إلى مصر،تم قتل بيبرس[١] من بعض الأمراء المماليك، وبايع الأمراء بيبرس بالسلطنة سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م ولُقِّب بالملك الظاهر، لكن بيبرس احتاج أن يضفي على حكمه شرعية، فعمد إلى إحياء الخلافة العباسية ليتخذ منها سندًا يسند إليه حكم المماليك، فاستدعى الأمير العباسي أحمد بن الظاهر ابن الناصر العباسي[٢]، وبايعه بالخلافة ولُقِّب بالمستنصر بالله، وقام الخليفة الجديد بتقليد الظاهر بيبرس السلطنة، وبذلك أصبح يتولى منصبه بتفويض من السلطة الشرعية الكبرى في العالم الإسلامي وهي الخلافة العباسية، والتي لم يكن لها سوى

(١) بيبرس العلائي البندقداري الصالحي (٦٢٥-٦٧٦هـ)، ولد بأرض القبجاق وأُسر وبيع في سيواس، ثم نُقل إلى حلب ومنها للقاهرة، فاشتراه الأمير علاء الدين أيدكن البندقدار، وبقي عنده حتى قبض عليه الملك الصالح نجم الدين أيوب، فجعله في خاصة خدمه، ثم أعتقه، وترقى حتى أصبح أتابك العسكر في مصر أيام الملك المظفر قطز، وقاتل معه التتار ثم أتفق مع أمراء الجيش على قتل قطز فقتلوه وتولى سلطنة مصر والشام (سنة ٦٥٨هـ) وتلقب بالظاهر، وله فتوحات عظيمة، منها بلاد النوبة ودنقلة، توفي في دمشق، ومرقده فيها معروف أقيمت حوله المكتبة الظاهرية، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، مصدر سابق، ص ص٣٢٩-٣٣٣. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٧٩.

(٢) الظاهرأحمد بن محمد ابن الناصر المستضيء، أبو القاسم العباسي (ت ٦٦٠هـ) أول الخلفاء العباسيين بمصر، دخلها بعد ثلاث سنوات من انقراض الخلافة في بغداد، أثبت نسبه في مجلس الظاهر بيبرس أمام جمع من العلماء وأركان الدولة، فسرّ به الظاهر ووجد فيه قوة لملكه وبايعه بالخلافة، ولقبه بالمستنصر، وأمر أن يُخطب له على المنابر وأن يُنقش اسمه على النقود سنة ٦٥٩هـ، سيره الظاهر بيبرس في جيش إلى العراق لاسترداد بغداد من التتار، فلقي مصرعه في هيت، ويُعد الخليفة الثامن والثلاثين من خلفاء بني العباس، المرجع السابق، ج١، ص٢١٩-٢٢٠.

السلطة الاسمية والدعاء على المنابر، بينما النفوذ الفعلي للسلاطين المماليك الذين ساروا على نهج الظاهر بيبرس[1].

وقد استطاع بيبرس التَّخلُّص من خطر الإسماعيلية بالاستيلاء على حصونهم ببلاد الشام سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م، وأقطعهم بدلًا عنها بعض الجهات في مصر ليعيشوا فيها[2].

استمر المماليك في مواجهة الصليبيين حتى استطاعوا القضاء عليهم، وإنهاء وجودهم في بلاد الشام سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م على يد الأشرف خليل بن قلاوون[3]، ولم تنجح محاولات الصليبيين بعد ذلك في استعادة ما فقدوه[4].

أدرك الصليبيون فشل محاولاتهم في استعادة ما اغتصبوه فلجأوا إلى الدبلوماسية والمراسلات والهدايا مع سلاطين المماليك، لطلب الصداقة، فأرسل

(١) عاشور، مصر والشام، مرجع سابق، ص١٧٣-١٧٤، ص١٧٦-١٧٩.

(٢) المرجع السابق، ص٣١٩.

(٣) خليل بن قلاوون الصالحي (٦٦٦-٦٩٣هـ)، الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور، من ملوك مصر، ولي بعد وفاة أبيه سنة (٦٨٩هـ)، واستفتح حكمه بالجهاد ضد الفرنج ببلاد الشام، فاسترد منهم عكا وصور وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبيسان وجميع الساحل، وكان شجاعًا جوادًا، له آثار عمرانية، قتله بعض المماليك غيلة بمصر. الصفدي، الوافي بالوفيات،ج٦، مصدر سابق. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٣٢١.

(٤) أبو عليان، مسيرة الجهاد، مرجع سابق، ص١٦٠.

البابا يوحنا الثَّاني والعشرون[1] في سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م رسالة إلى السلطان الناصر محمد قلاوون، ليحسن المماليك معاملة النصارى في المشرق الإسلامي، مقابل معاملة مماثلة للمسلمين، كذلك أرسل شارل الرَّابع ملك فرنسا[2] في نفس السنة رسالة مماثلة، فرد عليهم الناصر قلاوون[3] مجيبًا طلبهم[4].

لم يتوقف العداء بين المماليك والمغول بعد موقعة عين جالوت، إذ ظل

(١) يوحنا الثاني والعشرون (١٢٤٥-١٣٣٤م)، قضى عهده في أفينيون بفرنسا بدلًا من روما، انتخب للبابوية سنة ١٣١٦م، ولد بفرنسا، وكان اسمه جاك دويس، كان إداريًا ومشرعًا قانونيًا، أصدر مجموعة من قوانين الكنيسة سنة ١٣١٧م، الموسوعة العربية العالمية، ط٢، مج٢٧، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٣٥٩.

(٢) شارل الرابع (ت ١٣٢٨م)، آخر ملوك الأسرة الكابتية التي كان لها دور في الحروب الصليبية، مات ولم يخلف وريثًا للعرش من الأولاد الذكور، وخلفه في الحكم أحد أبناء عمومته، المرجع السابق، مج١٧، ص٣٣٤.

(٣) محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي (٦٨٤-٧٤١هـ)، ولي سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ، وخلع سنة ٦٩٤هـ لحداثة سنه، أُعيد للسلطنة بمصر سنة ٦٩٨هـ، وأقام بالقلعة والأعمال بيد الأستادار الأمير بيبرس الجانكشير ونائب السلطنة الأمير سلار، ادعى الرغبة في الحج وفي طريقه استولى على الكرك ومكث بها عامًا ثم وثب على دمشق فدخلها وزحف لمصر فعاد للسلطنة سنة ٧٠٩هـ، واستمر في الحكم أكثر من اثنتين وثلاثين سنة وتوفي بالقاهرة. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤، مصدر سابق، ص ص٣٥٣-٣٥٥. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٧، مرجع سابق، ص١١.

(٤) محمود،شفيق جاسر أحمد، دولة المماليك البحرية: نشأتها وفضلها في القضاء على الصليبيين، الدارة، السعودية، ع٤، مج١٦، رمضان، ٢٠٠٠م، ص١٨٩-٢١٨، ص٢٠٧-٢٠٨.

المغول يشنون هجمات على بلاد الشام من حينٍ لآخر،[١]، وما إن يبادر المغول في الهجوم حتى يتصدَّى لهم المماليك، ففي سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٦٠م استطاع المماليك إلحاق هزيمة كبيرة بالمغول في موقعة حمص،[٢] وفي سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م استطاع المماليك استرداد دمشق من أيدي المغول بعد سيطرتهم عليها في معركة مرج الصُفّر[٣]، وألحقوا بهم الهزيمة[٤].

لم تقتصر المشكلات التي واجهها المماليك على الصليبيين والمغول، فما كان السلطان يعتلي العرش حتى تظهر له مجموعة من الأمراء الطامحين في الحكم، فيحيكون له المؤامرات والدسائس ضده من أجل إقصائه وتولية أحد الأمراء الكبار منهم أو أحد السلاطين السابقين[٥]، فمن السهل أن يحل القاتل محل القتيل في الحكم، ما دام القاتل قد أظهر من الشجاعة والقوة ما يضمن تفوقه على باقي الأمراء[٦].

(١) عاشور، مصر والشام، مرجع سابق، ص١٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٩٧.

(٣) مرج الصفر: ناحية بدمشق، الحموي، معجم البلدان، مج٥، مصدر سابق، ص١٠١.

(٤) الملحم،محمد بن ناصر بن أحمد ، مرج الصفر: من مواقع الإسلام الحاسمة بين المسلمين والمغول ٧٠٢هـ، مجلة الحكمة، المملكة العربية السعودية، ع٢٠، يناير ٢٠٠٠م، ص٣٨٥-٤٢٩، ص٤١٦.

(٥) سيد، التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي، مرجع سابق، ص١٥٧.

(٦) عاشور، مصر والشام، مرجع سابق، ص١٧٣.

لقد كان لهذه الحوادث التي واجهتها دولتا الأيُّوبيين والمماليك، سبب في تطوُّر علم الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة، فطبيعة هاتين الدولتين كانت عسكرية، وترتب على ذلك تنوع في استخدام أساليب جديدة ومتنوعة للشَّفرة للمحافظة على السِّرِّيَّة في مواجهة أعدائهما، ولمواجهة الثورات والفتن التي ظهرت، فبرزت عدة مؤلفات تحدثت عن طرق جديدة في الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة، واستخدام الأحبار السِّرِّيَّة المبتكرة لإخفاء الرسائل عن أعين الأعداء والمتآمرين، كذلك استخدمت طرق متنوعة لنقل هذه الرسائل، اتَّسمت بالسرعة والسِّرِّيَّة.



# الفصل الأوَّل

## علم الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة عند المسلمين

- **المبحث الأوَّل**: مفهوم الشَّفرة ومُسمَّياتها.
- **المبحث الثَّاني**: نشأة علم الشَّفرة وروَّادها في الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة.
- **المبحث الثَّالث**: ارتباط الشَّفرة بالعلوم المُعاصرة.
- **المبحث الرَّابع**: الصفات الواجب توفُّرها في كاتب الشَّفرة.

## المبحث الأوَّل

## مفهوم الشَّفرة ومُسمَّياتها

الشَّفرة لُغةً: رموز يستعملها فريق من الناس للتَّفاهُم فيما بينهم(١)، وأكثر ما يكون ذلك في الأعمال العسكرية(٢)، كالجيش، والمخابرات، ونحوهما للتَّفاهُم السري فيما بينهم(٣).

واصطُلح على تعريف الشَّفرة بأنها تحويل نصٍّ واضح إلى نصٍّ آخر غير مفهوم باستعمال طريقة مُعيَّنة يستطيع من يعرفها أن يفهم النص(٤).

أخذت الشَّفرة مُسمَّاها من الكلمة اللاتينية (Cipher) التي جاءت من كلمة عربية هي (الصفر)(٥)، فقد أدخل العرب مفهوم الصفر في الحساب، وطوَّروا



(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط٤، إعداد: عبدالسلام هارون ورفاقه، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م، ص٤٨٧.

(٢) جماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، مج١، بيروت، دار النفائس، ٢٠٠٧م، ص٩٧٩.

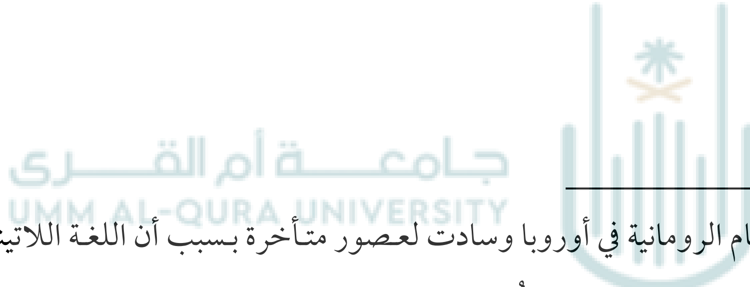
(٣) العبادي،أحمد مختار ، معجم اللغة العربية المعاصر، مج٢، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٨م، ص١٢١٧.

(٤) باشا،أحمد فؤاد ، أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٧م، ص١٩٧.

(٥) انتقل الصفر العربي باسمه لا برسمه إلى أوروبا، فمثلًا دخلت اللفظة (Chiffre) اللغة الفرنسية، واللفظة (شيفرا، سيفرا- Cifra) الإيطالية، واللفظة (زيرو-Zero) الإنجليزية، واللفظة (تسفر-Ziffer) الألمانية، الشمري،هزاع بن عيد ، الأرقام العربية والأرقام الأفرنجية، مجلة عالم الكتب، السعودية، مج١٩، ع٥-٦، ١٩٩٨م، ص٤٣٤-٤٦٣، ص٤٣٦.

استعماله، وهو ما لم يعرفه الأوروبيون في العصور الوسطى لاستعمالهم الأرقام اللاتينية[١]، التي لا وجود للصفر في نظامها الرقمي. وحينما دخلت الأرقام العربيَّة[٢] العالم الغربي بدا مفهوم الصفر غايةً في الإبهام، فشاع استعمال (Cipher) في الأمور غير المفهومة[٣].

وأصبح الأوروبيون ينسبون كل فكرة جديدة وغامضة إلى الصفر، وكانوا ينطقونه (شفر)، ولهذا أطلقوا على النصوص المعمَّاة والمبهمة كلمة (Cipher) من (شِفر)، والتي تعني الصفر، وعندما عاد العرب لترجمة الكلمة أطلقوا عليها التشفير[٤].




(١) انتشرت الأرقام الرومانية في أوروبا وسادت لعصور متأخرة بسبب أن اللغة اللاتينية كانت لغة العلم والأدب، ولعبت الكنيسة دورًا بارزاً في انتشارها، عبيد، هاني، تاريخ الأرقام، المجلة الثقافية، الأردن، ع٥٤-٥٥، ٢٠٠٣م، ص٢٥٠-٢٦٥، ص٢٥٦.

(٢) يعود أصل الأرقام المشرقية ٣،٢،١ والمغربية ٣،٢،١ إلى العرب رغم أن البعض يرجعها إلى أصول هندية، أبو الخير،أحمد مصطفى ، لغتنا العربية وعناصر العالمية، مجلة آفاق تربوية، قطر، ع١٤، يناير ١٩٩٩م، ص٤٢-٥٥، ص٤٥.

(٣) مراياتي،محمد وآخرون، علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، ج١، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٨٧م، ص٢٨.

(٤) القاسم،محمد بن عبد الله ، سياسات أمن المعلومات، الرياض، كلية الملك فهد الأمنية، سنة ٢٠١٠م، ص٩٩.

أقرَّ مجمع اللغة العربيَّة في القاهرة في دورته الخمسين المنعقد في ٢٣ جمادى الأوَّلى سنة ١٤٠٤هـ، الموافق ٥ مارس سنة ١٩٨٤مـ، أنه نظرًا لشيوع كلمة الشَّفرة، أن تقبلها على أنها مُعرَّبة من (Cypher – سايفر)، وأما ضبطها فيعتمد على المشهور في الصيغ المعربة، وهو الفتح[1].

للشَّفرة مُسمَّيات مُتعدِّدة لعلَّ أشهرها التعمية، وهو ما ذكره كثير من المصادر. فالتعمية: قول يُستخرج منه كلمة فأكثر بطريق الرمز والإيماء بحيث يقبله الذوق السليم[2].

والتعمية: أن تُعمِّي على الإنسان شيئًا فتُلَبِّسَه عليه تلبِيسًا، وعمِيَ عليه الأمر: التبس[3]، وعَمَى: ذهب بصره، وعَمَّاهُ تَعْمِيَةً: صَيَّرَهُ أعْمَى، وعمَّى معنى البيت أخفاه[4].



---

(١) الخطيب،عدنان، وقائع المؤتمر السنوي الخمسين لمجمع القاهرة، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع٢٧-٢٨، السنة التاسعة، ربيع الثاني - شوال١٤٠٥هـ - كانون الثاني - حزيران ١٩٨٥م، ص١٤٥-١٨٠ ص١٦٩.

(٢) النهراوالي، محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد بن محمود قطب الدين (ت ٩٦٠هـ)، كنز الأسماء في كشف المعمى، نسخ: عثمان البوسنوي، ١١٥٩هـ، مخطوطة جامعة الملك سعود، رقم: ١١٦٥، ق٢.

(٣)ابن منظور،جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، مج١٥، بيروت، دار صادر، (ب. ت)، ص١٠٠.

(٤)الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ)، القاموس المحيط، ط٨، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص١٣١٥.

تنوَّعت مُسمَّيات التعمية بحسب اختلاف وجوه اعتباراتها، فللتعمية أسماء مختلفة، ومعنى الجميع واحد، تلتقي في الدلالة على معنى الغموض، بقصد الإخفاء أو الاحتراس أو إثارة تفكير السامع أو امتحان ذكائه، وهو ما تدور التعمية حوله في شتَّى اشتقاقاتها[(١)]، ومن ذلك:

- معاياة، إذا اعتبرته من حيث إن واضعه كأنه يُعاييك، أي يظهر إعياءك، وهو التعب[(٢)]، والمُعاياةُ: أن تأتي بكلام لا يُهْتَدَى له[(٣)].

- عويصًا، إذا اعتبرته من حيث صعوبة فهمه واعتياص استخراجه[(٤)]، والعَوِصُ من الشعر: ما يصعب استخراج معناه، وعَوَّصَ تَعْوِيصًا: ألقى بيتًا عويصًا[(٥)].

- لغزًا، إذا اعتبرته من حيث إنه قد عمل على وجوهٍ وأبواب متنوعة[(٦)]، واللغز: ميلك بالشيء عن وجهه، والأُلْغوزَة: ما يعمى به، وألْغَزَ كلامه: عَمَّى مراده[(٧)]،



(١) البطاينة،فارس فندي ، التعمية في النحو واللغة: عرض ودراسة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ١٩٨٦م، ص٢.

(٢) سالمان، محمد، فن الألغاز عند العرب، القاهرة، الهيئة المصرية العام للكتاب، ٢٠١٣م، ص١٠.

(٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص١٣١٦.

(٤)البطاينة، التعمية في النحو، مرجع سابق، ص١.

(٥) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص٦٢٤.

(٦) سالمان، فن الألغاز، مرجع سابق، ص١٠.

(٧) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص٥٢٤.

والأحجية كاللغز، فهما ذوا معنى واحد، ويستخرجان بالحدس والحِزاء لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ومجازًا[1].

- رمز، إذا اعتبرته من حيث إن واضعه لم يُفصح به، والشيء مرموز، والفعل رمز، وقريب منه الإشارة[2]، وهو ما أُخفي من الكلام، وأصله الصوت الخفيُّ الذي لا يكاد يُفهم. قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗا ﴾[سورة آل عمران، آية ٤١][3].

- أبيات المعاني، إذا اعتبرته من حيث إنه استخرج كثرة معانيه[4]، وأبيات المعاني لم تقصد العرب الإلغاز بها، وإنما قالتها فصادف أن تكون ألغازًا، وسميت أبيات المعاني لأنها تحتاج إلى أن يُسأل عن معانيها، ولا تُفهم من أوَّل مرَّة، ويقع الإلغاز بها من حيث معانيها، ومن حيث اللفظ والتركيب والإعراب[5].



---

(١) ابن الأثير، محمد بن محمد ضياء الدين (ت ٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ق٣، تقديم وتعليق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، (د.ت)، ص٨٥.

(٢) البطاينة، التعمية في النحو، مرجع سابق، ص١.

(٣) البغدادي، قدامة بن جعفر الكاتب (ت ٣٣٧هـ)، نقد النثر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٦١.

(٤) سالمان، فن الألغاز، مرجع سابق، ص١٠.

(٥) السيوطي،عبد الرحمن جلال الدين (ت ٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج١، ضبط وتصحيح: محمد أحمد جاد المولى بك وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٥٧٨.

- اللحن، إذا اعتبرته من حيث إن قائله قد يوهمك شيئًا ويريد غيرهُ[1]، ولَحَنَ له: قال له قولًا يَفْهَمُه عنه ويَخْفَى على غيره، وألْحَنَه القولَ: أفْهَمَه إيَّاهُ[2].

وهناك مُسمَّيات أخرى للتعمية، مثل:

- الأحاجيُّ: جمع أحجية، أفعولة من الحِجا، وهو العقل، أي مسألة تستخرج بالعقل، ويقال: حاجيته فحجوته، إذا أتيت بكلمة خالفت المعنى باللفظ، والأحجيَّة والحَجوي: اسم للمحاجاة[3].

-المرموس: من الرَّمس، وهو القبر، كأنه قُبر ودُفن ليخفى مكانه على مُلتمسِه، والعرب تقول شفير القبر، فإذا اعتبرت الأمر سُتِر عنك ورُمس سميته مرموسًا[4].

-الإشارة: أن يأتي المتكلم بشيءٍ يمهد لما يريد دون أن يفصح عنه، مشيرًا في ثنايا كلامه بلفظة إلى قول قيل في الغرض الذي يريد، فيفطن إليه المخاطَب[5] بالإيماء دون التصريح، نحو طويلُ النِّجاد إيماء لطول الرجل، وغَمرْ الرِّداء إيماء إلى

(١) سالمان، فن الألغاز، مرجع سابق، ص١٠.

(٢) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص١٢٣٠.

(٣)البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لُباب لسان العرب، ط٣، ج٦، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص٤٥٨.

(٤) المصدر السابق، ص٤٦٠.

(٥) باشا،خير الدين شمسي، الألغاز والأحاجي والمعميات، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، مج٧١، ج٤، ١٩٩٦م، ص٧٦٨-٨١٦، ص٧٧٧.

الجود، وطَرِب العِنان إيماء إلى الخفَّةِ والرَّشَاقة[١].

-الكناية: وهو إيراد لفظ وإرادة آخر وضع مفهومه بإزائه لعلاقة بينهما[٢]، وكنَّى عن الأمر كنايةً: إذا تكلَّم بغيره مما يستدل عليه، والكناية تشمل اللفظة المفردة والجملة المعبرة، بخلاف التعريض، الذي لا يُفهم إلا من سياق الجملة المعبرة[٣].

-التعريض: خلاف التصريح من القول، يُقالُ: عرفتُ ذلك في مِعراض كلامه ومَعْرضِ كلامه، وسُمي التعريضُ تعريضًا لأن المعنى فيه يُفهمُ من عَرضِ الكلام أي من جانبه، والتعريضُ كالتورية والكناية في أن كلًا منها يُرادُ به غير مُقتضى الظاهر من الكلام[٤].

-الموجَّه: إذا اعتُبر من حيث هو ذو وجوه سميَّ الموجَّه، وسميَّ فعله التوجيه[٥]، ويكون بعدَّة ألفاظ مُتلائمة مُصطلح عليها، ويختلط التوجيه مع الإبهام، فهو يحتمل معنيين متضادين لا يتميز أحدهما عن الآخر، ويكون صالحًا للأمرين[٦].

---

(١) السيوطي، المزهر، ج١، مصدر سابق، ص٣٣٨.

(٢) كمال، عبد الحي، الأحاجي والألغاز الأدبية، ط٢، الطائف، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ١٤٠١هـ، ص٢١.

(٣) باشا، الألغاز، مرجع سابق، ص٧٩٠-٧٩١.

(٤) سالمان، فن الألغاز، مرجع سابق، ص١١.

(٥) البغدادي، خزانة الأدب، ج٦، مصدر سابق، ص٤٦١.

(٦) باشا، الألغاز، مرجع سابق، ص٧٨٢-٧٨٣.

-التمثيل: هو إرادة الإشارة إلى معنى بوضع لفظ لمعنى آخر يكون مثالًا للمعنى المراد، ويُعَدُّ التمثيل من أقسام الكناية، كقولهم: (فلان رفيع العماد، كثير الرماد، طويل النجاد، طاهر الذيل)، أي إنه رفيع القدر، مضاربه واسعة، كريم يقري الضيوف، طويل القامة، منزَّه عن الفاحشة[1].

-التأويل: إذا اعتبرته من حيث إن معناه يؤُول إليك أي يرجع، أو يؤُول إلى أصل سمَّيته مؤوَّلًا، ويُسمَّى فعله تأويلًا، كالتفسير الذي يختص باللفظ، والتأويل بالمعنى[2].

كذلك استعملت كلمة الترجمة الفارسية الأصل للدلالة على التعمية، أو بعض ضروبها، أو على استخراج المعمَّى، واستعملت كلمة: المترجَم بمعنى المعمَّى، وكلمة: المترجِم بمعنى المعمِّي[3].

واستخدم علم الدلالة بالتعبير عن المقلوب من اللفظ الذي يراد به غير معناه كقولهم للديغ سليم تفاؤلا بسلامته وللفلاة مفازة، وكذلك استخدم لمخالفة ظاهر اللفظ معناه بأن تأتي الألفاظ مركبة في جملة ولكن معناها يراد به شئ آخر مثل قول:

---

(١) المرجع سابق، ص٧٨١.

(٢) البغدادي، خزانة الأدب، ج٦، مصدر سابق، ص٤٦٠.

(٣) الجزائري،محمد مكي الحسني، علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج٨٣، ج١، ٢٠٠٨ م، ص ١٥٩-١٧٦، ص١٦١.

قلب لي ظهر المجن، أي تبدل وتغير، وتدخل الكناية في هذا(١).

شاع عند العرب استعمال مصطلحات مثل: استخراج المعمَّى، أو حل المعمَّى، أو فك المعمَّى، أو حل المترجَم، كنايةً عن تحويل النَّص المعمَّى إلى نصٍّ واضح لشخص أو جهة لا تعرف مسبقًا طريقة التعمية المستعملة، وهو ما أصبح شائعًا الآن التعبير عن حل المُعمَّى بكسر الشَّفرة(٢).

ويحتاج من يُعاني حلَّ المعمَّى إلى صفات خاصة، ومعرفة بعلوم اللغة العربيَّة والدِّراسات اللسانية، ومعرفة دوران الحروف ومراتبها في اللسان المعمَّى، والعلم بقوانين الائتلاف والتنافر فيما بينها(٣)، وهو ما ستعرضه الدِّراسة في المبحث الرَّابع من هذا الفصل.





(١) الحازمي، عليان بن محمد، علم الدلالة عند العرب، مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وادابها، المملكة العربية السعودية،ع٢٧، مج١٥، أغسطس ٢٠٠٣م، ص ص٧٠٥-٧٢٦، ص ص٧١٢-٧١٣.

(٢) مراياتي وآخرون، مرجع سابق، ج١، ص٣١.

(٣) علم، يحيى مير، إسهامات علماء التعمية في اللسانيات العربية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج٧٩، ج٣، ٢٠٠٤م، ص٥٢١-٥٤٦، ص٥٢٦.

## المبحث الثَّاني

## نشأة علم الشَّفرة ورُوَّادها في الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة

عُرفت أساليب إخفاء الشَّفرة عند الأمم القديمة وتنوَّعت بتنوع الأخطار التي واجهتها. وقد دلت الدِّراسات بأن قدماء المصريين استخدموا الكتابة المُعَماة في المراسلات السِّرِّيَّة بين الرهبان في ظل الاضطهاد الروماني للديانة المسيحية، وكذلك للتعامل فيما بين القساوسة، كما استخدمت الكتابات المُعَماة لإخفاء المعلومات السِّرِّيَّة السياسية والحربية(1).

كما استخدم الإغريق منذ القرن التاسع قبل الميلاد الكتابة السِّرِّيَّة لإخفاء أسرارهم ،كذلك استخدم الهنود القدماء الكتابة السِّرِّيَّة وعرفوا الرموز وطرق فكها، فقد جاء في كتاب "فاتسيايانا"- أحد كتب الحكمة عند قدماء الهنود- أن على النساء تعلم الكتابة السِّرِّيَّة من بين الفنون الأربعة والستين التي يجب عليهن تعلمها، واستخدم اليهود الشَّفرة منذ فترة مبكرة من تاريخهم واستخدموا طريقة إبدال الأحرف بالأرقام طبقًا لنظام متفق عليه، وعرف هذا الفن عند اليهود باسم "الجماتريا"(Gematria) ، وفي الصين كانت المراسلات تتم بالطريقة الشفهية يتولاها سُعاة مختصون، أو بواسطة رسائل كانت تكتب على حرير ناعم، وتوضع في

---

(١) متولي،نجوى محمد، الكتابات المُعَمَّاة في الحضارة المصرية القديمة، الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٠م، ص٤٦.

كرات صغيرة من الشمع يخفيها ناقلوها، سواء عن طريق بلعها أو عن طريق إدخالها في أحشائهم من الخلف، وابتكر المغول وسائل جديدة في إخفاء رسائلهم، وذلك باستخدام الرجل ذي الشعر الكثيف والقيام بحلاقة شعره ثم الكتابة بقلم ناري، ويبعد عن الناس حتى ينمو شعره ويُرسل للجهة المراد إرسال الرسالة إليها، وعندها يحلق شعره وتُقرأ(١)، غير أن هذه الطريقة تأخذ وقتًا طويلًا حتى ينمو الشعر فلا تصلح للرسائل العاجلة.

استخدم البيزنطيون الشَّفرة للتراسل مع جواسيسهم، عن طريق الرسائل المكتوبة على قطعة من القماش الممزوج في صبغة سوداء تتم إزالتها باستخدام نوع مُعيَّن من المحاليل الكيميائية لإظهار الكتابة، كذلك استخدموا الكتب والمخطوطات العربيَّة للتضليل وضمان سرية رسائلهم، بوضع نقاط وخطوط أسفل الحروف والكلمات بطرق معينة، لسهولة انتقال هذه الكتب دون إثارة شكوك حراس الحدود المسلمين(٢).

---

(١) كان، ديفيد، حرب الاستخبارات، ط٢، ترجمة: عبد اللطيف أفيوني، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢م، ص١٤-١٥. مرجع آخر، البلوي، سلامة محمد الهرفي، الكتابة السرية والرموز في التراث العربي، مجلة بحوث تاريخية، اللقاء العلمي الأول والثاني، شوال ١٤٠٩- شوال١٤١٠هـ، ص١٢٧-٢١١، ص١٣١-١٣٣؛ تاريخ أمن المعلومات في الحضارة الإسلامية، دبي، دار القلم، ٢٠٠٧م، ص١٤-١٥.

(٢) السجيني، فايزة، دور الاستخبارات البيزنطية في الصراع البيزنطي - الإسلامي، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، مج٤٨، ٢٠١٢-٢٠١٣م، ص١٢١-١٤٦، ص١٤٠.

استخدم العرب قبل الإسلام الشَّفرة عن طريق الرموز والكنايات والتعابير من بيئتهم المحيطة لنقل الرسائل[(١)]، ومن ذلك أنه في يوم شعب جبلة[(٢)] تحالف لقيط بن زرارة[(٣)] مع بعض القبائل لغزو عبس[(٤)]، وبني عامر[(٥)]، انتقامًا لمقتل أخيه معبد، وفي أثناء المسير لقي كرب بن صفوان بن الحباب السعدي[(٦)]، وكان شريفًا امتنع عن الحرب فحلفه بأن يكتم خبر خروجهم لحرب عبس وبني عامر فحلف له، ثم سار عنه وهو مغضب، فلما دنا من بني عامر أخذ خرقة فصر فيها حنظلةً وشوكًا وترابًا وخرقتين من يمانية وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم فلما وجدوها فسرها قيس بن زهير العبسي[(٧)] بأن أعداءهم قد غزوهم في عدد التراب، وأن شوكتهم شديدة، وأما الحنظلة فهي رؤساء القوم، وأما الخرقتان اليمانيتان فهما حيان من اليمن معهم، وأما الخرقة الحمراء فهي حاجب بن



(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، ج٥، (ب. م)، (ب. ن)، ١٩٩٣م، ص٤٣٧-٤٣٨.

(٢) من عِظام معارك العرب، كان قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة. الحموي، ياقوت، المقتضب من كتاب جمهرة النسب، تحقيق: ناجي حسن،بيروت،الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٧، حاشية١٠،ص١٤٧.

(٣) لقيط بن معبد بن خارجة بن معبد، أسره كسرى فكتب ينذر قومه، عقد حلف مع بعض القبائل للإغارة على بني عبس، لينتقم لمقتل أخيه. المصدر السابق، ص٢١٦.

(٤) بطن عظيم من غطفان، من قيس بن عيلان، من العدنانية، كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٢، ج٢، دمشق، المكتبة الهاشمية، ١٩٤٩م، ص٧٣٨.

(٥) بطن من هوازن، من قيس بن عيلان، من العدنانية، المرجع السابق، ص ٧٠٨.

(٦) من كبار قومه، كانت له إفاضة الحجاج، يدفع بهم إلى عرفة. الحموي، المقتضب، مصدر سابق، حاشية١، ص١١٦.

(٧) من كبار بني عبس، شهد حرب داحس. المصدر السابق، ص١٧٥.

زرارة، وأما الأحجار فهي عشر ليالٍ لقدوم القوم فاحتاطوا لذلك الأمر ونجوا[١].

كما استعمل العرب قبل الإسلام التراب أو الرمل للدلالة على كثرة العدد واستعملوا الشوك للدلالة على القوة، وعبروا بالشوك الذي تكسر رؤوسه بشوكة العدو الذي لا يُخشى جانبه، وقد استحدثت القبائل هذه الرموز من محيطها الذي عاشت فيه[٢].

مع نزول الوحي على الرسول - ﷺ - اتخذ عليه الصلاة والسلام ترتيبات أمنية للحفاظ على أسرار الدعوة، فقد بدأ عليه الصلاة والسلام دعوته سرًّا بين المقربين منه خشية من انكشافها لكفار قريش، ومع تزايد أعداد الداخلين في الإسلام، اختار الرسول الكريم بيتًا آمنًا يجتمع فيه سرًا مع المسلمين، فكان دار الأرقم بن أبي الأرقم[٣] الذي



(١) ابن الأثير،علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، مج١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ص٤٦٣-٤٦٤.

(٢) المحمد، عبد الله علي السلامة ، الاستخبارات العسكرية في الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٨٦م، ص١٦.

(٣) الأرقم بن عبد مناف بن أسد بن عمر بن مخزوم (٣٠ق.هـ-٥٥هـ) يكنى أبا عبد الله، سابع من أسلم من المسلمين، كانت داره على الصفا بمكة، وفيها اجتماع اوائل من أسلم، وسميت دار الإسلام، شهد بدرًا وأحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله، توفي بالمدينة. ابن سعد محمد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبير، ج٣، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ص٢٢٣-٢٢٥.

كان يقوم على خدمة والده فيتظاهر المسلمون بزيارته [١].

مع ظهور الإسلام في مكَّة وما صاحبه من قلَّة وضعف للمسلمين كان نقل الأخبار يحتاج لسرية ورموز وإشارات بين المسلمين لكيلا يتم اكتشاف أمر الدعوة. ولعلَّ قصة إسلام الصحابي أبي ذر الغفاري، رضي الله عنه[٢]، تدل على استخدام الرموز بينه وبين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فعندما قدم لمكَّة ليدخل في الإسلام مكث عند علي - رضي الله عنه - ثلاثة أيام وطلب بعدها مقابلة الرسول - ﷺ - وفي الطريق تم الاتفاق بينهما على إشارة مُعيَّنة عند الإحساس بالخطر، وهي التنحي جانبًا والجلوس على هيئة من يريد يقضي حاجته في الخلاء، فكانت كإشارة سرية بينهم فكان علي، - رضي الله عنه - يسير على مسافة من أبي ذر - رضي الله عنه - مع استخدام الإشارة المتفق عليها إذا أحسَّا بأن أحدًا يترصدهما، حتى وصلا لرسول الله - ﷺ - وأعلن إسلامه[٣].

(١) فرحات، كرم حلمي، المخابرات الإسلامية عبر العصور، القاهرة، مكتبة الإمام البخاري، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٣٠-٣١.

(٢) جندب بن جنادة الغفاري، أحد السابقين للإسلام، لازم الرسول - ﷺ - وجاهد معه، وكان يفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١١، ج٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م، ص٤٦.

(٣) الطنخاني، آمنة أحمد صابر، الاستخبارات في الدولة الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشارقة، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م، ص ١٧-١٨.

وبعد انقضاء المرحلة السِّرِّيَّة، وتحول الدعوة للمرحلة الجهرية، لاقى المسلمون الاضطهاد والتعذيب من المشركين، ونزل الوحي بهجرة الرسول - ﷺ - إلى المدينة، فأحاط الرسول الكريم هجرته بالسِّرِّيَّة والكتمان، فقد اختار الوقت المناسب بالخروج ، والمكان المناسب بالالتجاء إلى جنوب مكَّة، عاكسًا طريق المدينة، مختبئًا في غار ثور مع صاحبه أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ثم سار إلى المدينة عبر طريق مهجورة تضليلًا للمشركين[1].

وما إن استتبَّ الأمر للمسلمين في المدينة المنورة بعد الهجرة حتى ظهرت ضرورة معرفة أحوال اعداء المسلمين وما يكيدونه للمسلمين، لذا برز دور عم الرسول - ﷺ - العباس بن عبد المطلب [2] رضي الله عنه ، الذي ظل في مكَّة لينقل المعلومات للرسول - ﷺ - في المدينة، ففي معركة أُحد سنة ٣هـ[3] كتب العباس كتابًا وختمه، وأرسل به للمدينة محذرًا الرسول - ﷺ - فلما وصل إلى قباء، حيث

---

(١) فرحات، المخابرات الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٣-٣٥.

(٢) العباس بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أمه نتيلة بنت جناب بن كليب بن مالك، يكنى أبا الفضل، ولد قبل عام الفيل بثلاث سنوات، أسلم بمكة وكتم إسلامه، ابن سعد، الطبقات، ج٤، مصدر سابق، ص ص٥- ٩.

(٣) سميت المعركة باسم جبل أُحد، وهو جبل أحمر، بينه وبين المدينة قرابة الميل من شمالها، وعنده كانت الوقعة العظيمة التي استشهد فيها حمزة عم النبي - ﷺ - وسبعون من المسلمين، وكسرت رباعية النبي وشج وجهه الشريف، وكُلمت شفته، وكان يوم بلاء وتمحيص. الحموي، معجم البلدان، مج١، مصدر سابق، ص١٠٩.

وجد الرسول – ﷺ – بها، فدفع بالرسالة إليه، وقام أبيٌّ بن كعب، رضي الله عنه[1] بقراءة الرسالة، وأمره الرسول – ﷺ – بكتمان الخبر حتى يعود للمدينة ويُشاور الصحابة – رضي الله عنهم – بأمر قريش[2].

اختصَّ الرسول – ﷺ – زيد بن ثابت، رضي الله عنه[3] بكتابة وقراءة الرسائل السِّرِّيَّة الأعجمية، وطلب منه أن يتعلم من اللغات ما يستطيع، ومن خلاله سوف يتعامل مع ما يأتيه أو يصدر عنه – ﷺ – من رسائل سرية بألسن أعجمية[4].

استخدم الرسول – ﷺ – السِّرِّيَّة في رسائله، ففي رجب من السنة الثَّانية للهجرة بعث سرية بقيادة عبد الله بن جحش [5]رضي الله عنه ، ومعه ثمانية من الصحابة

(١) أبي بن كعب ابن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك النجار، سيد القراء، شهد العقبة وبدرًا، كان رأسًا في العلم. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، مصدر سابق، ص٣٨٩-٣٩٠.

(٢) الواقدي، عبد الله محمد بن عمر، المغازي، ط٣، تحقيق: مارسدن جونس، (ب. م)، عالم الكتب، ١٩٨٤م، ص٢٠٣-٢٠٤.

(٣) زيد بن ثابت ابن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمر بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار بن ، كاتب الوحي، تعلم السريانية بأمر الرسول – ﷺ – في سبعة عشر يومًا، جمع القرآن في عهد ابي بكر الصديق – رضي الله عنه – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، مصدر سابق، ص٤٢٦-٤٣١.

(٤) محمد، إمام الشافعي، المخابرات في التاريخ الإسلامي الباكر، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٣م، ص٤٥.

(٥) عبد الله بن جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرة، من أوائل من أسلم، هاجر للحبشة في الهجرة الثانية، أستشهد في معركة أحد ودفن مع حمزة بن عبد المطلب في قبر واحد، كان عمره يوم استشهاده بضعًا وأربعين سنة. ابن سعد، الطبقات، ج٣، مصدر سابق، ص٨٤-٨٦.

الكرام، وكتب له كتابًا، وأمره بعدم فتحه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب ووجد فيه أمر رسول الله - ﷺ - بالنزول إلى نخلة[1]، بين مكَّة والطائف، لاستطلاع أمر قريش، وأمره بعدم إجبار أحدٍ ممن معه على المسير معه[2]، فكان ذلك الأمر أدعى للسرية وعدم كشف مقصد عبد الله بن جحش - رضي الله عنه - ورفاقه.

استمرَّ الخلفاء الراشدون في حرصهم على كتم الأخبار والحرص على المعلومات والمحافظة على سريتها، ابتداءً من عهد أبي بكر الصديق وحروب الردة، وما أعقب ذلك في عهد بقية الخلفاء وبداية التوسع ونشر الإسلام خارج حدود شبه الجزيرة العربيَّة.

فقد استخدم الخليفة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - أسلوب التورية عندما أرسل خالدًا بن الوليد[3] رضي الله عنه لقتال المرتدين، فأعلن أنه يريد خيبر،

(١) نخلة: موضع في الحجاز، يبعد عن مكة مسيرة ليلتين، يجتمع بها حاج اليمن وأهل نجد، كثيرة النخل. الحموي، معجم البلدان، ج٥، مصدر سابق، ص٢٧٧-٢٧٨ وهي وادي اليمانية حاليًا.

(٢) ابن هشام،عبد الملك المعافري (ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية، ج٢، تحقيق: محمد بيومي، المنصورة، مكتبة الإيمان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص١٦٨.

(٣) خالد بن الوليد بن المغيرة بن مخزوم، هاجر مسلمًا سنة ثمان من الهجرة، شهد غزوة مؤتة وتأمر بعد استشهاد أمراء الجيش، سماه الرسول سيف الله، شهد فتح مكة وحنين وحروب الشام، توفي بحمص سنة إحدى وعشرين. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، مصدر سابق، ص ص٣٦٦-٣٦٧.

ليخفي أمر تحركاته عن أعين أعدائه، كذلك لجأ المسلمون إلى أسلوب التخفي والتنكر أثناء استطلاع أحوال الأعداء، ففي أثناء فتح دمشق لبس المسلمون زي لخم وجذام، وهم من العرب المتنصرة، وذلك للتعمية، فكانوا كلما دخلوا بلدًا من بلاد الروم ظنوهم من العرب المتنصرة[1].

كذلك استعمل المسلمون الشِعَارات ككلمة سر بينهم ليعرف بعضهم بعضًا أثناء الحروب، فلكل فرقة شِعَار لا يعرفه العدو، فقد كان شِعَار المسلمين يوم بدر (أحد أحد)، وكان شعار خالد بن الوليد - رضي الله عنه - في معركة اليرموك[2] (يا محمد يا منصور)[3].

وقد استخدم الخبر عن طريق الرمز في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فلما فتح عتبة بن غزوان، رضي الله عنه[4]

(١) عدوان، أحمد محمد، العيون والطلائع الإسلامية في عصر الخلافة الراشدة في المشرق، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، ع٤٨، مج٤٨، ١٩٩٤م، ص ص١٤٦-١٦٩، ص ص١٥٨-١٥٩.

(٢) واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن. الحموي، معجم البلدان، مج٥، مصدر سابق، ص٤٣٤.

(٣) البكوش، حمزة محمد علي، الجاسوسية في الدولة العربية الإسلامية (١-١٣٢هـ/ ٦٢٢-٧٥٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب، ليبيا، ٢٠٠٦م، ص٢٠٠.

(٤) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نُسيب، يكنى أبا عبد الله، قديم الإسلام وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، تولى البصرة زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وتوفي بها سنة ١٧هـ، وهو ابن سبع وخمسين سنة. ابن سعد، الطبقات، ج٣، مصدر سابق، ص٩٢-٩٣.

المذار[1] قتل مرزبانها[2] وأخذ بزَّته فأرسلها إلى الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في المدينة كرمز أخبر بقتل المرزبان، وأرسل ياقوتًا وزمردًا كرمز أخبر به المسلمين بخيرات البصرة[3].

وعندما استشهد الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - سنة ٣٥هـ أرسلت زوجته نائلة[4] إلى دمشق رسولًا حمل كتاب خبر مقتله مع قميصه المخضب بالدماء[5] دلالة على مقتله - رضي الله عنه - وطلبًا للقصاص.

بعد استشهاد الخليفة عثمان - رضي الله عنه - انتقلت الخلافة إلى علي بن أبي طالب، فرفض معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - مبايعته، واستخدم أسلوب

---

(١) المذار: بلد في ميسان بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان، بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام، الحموي، معجم البلدان، مج٥، مصدر سابق، ص٨٨.

(٢) المرزبان: لفظ فارسي معناه: الرئيس في القوم، جمعه مرازب ومرازبة، أطلقه الفرس أيضًا على الفارس الشجاع. الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٣٩٤.

(٣) الزيودي، ريما، نقل الأخبار وتداولها في المجتمع الإسلامي في العهدين النبوي والراشدي ١-٤٠هـ، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، الأردن، ع٣، مج٢١، ٢٠١٥م، ص ص٢٢١-٢٤٨، ص٢٣١.

(٤) نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص الكلبية، كانت خطيبة، شاعرة، من ذوات الرأي والشجاعة، حُملت من بادية السماوة فتزوجها عثمان - رضي الله عنه - وأقامت معه في المدينة حتى استشهاده - رضي الله عنه - الزركلي، الأعلام، ج٧، مرجع سابق، ص٣٤٣.

(٥) الزيودي، نقل الأخبار، مرجع سابق، ص٢٣٣.

الرمز في إخبار أهل المدينة المنورة برفضه لبيعة علي - رضي الله عنه - فأرسل رسولًا يحمل طومارًا[1] فارغًا، كتب عليه: بسم الله الرحمن الرحيم، وعلى عنوانه: من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب، ولم يكتب أمير المؤمنين دلالة على رفضه البيعة لعلي - رضي الله عنه - ففهم أهل المدينة مقصد معاوية، رضي الله عنه[2].

في سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م تولى عبد الملك بن مروان[3] الخلافة بعد أبيه، فنازعه عمرو بن سعيد بن العاص[4] ذلك، وتدخل بنو أمية للصلح بينهما، وتم الاتفاق على

(١) الطومار: قطعة من الوَرَق ذات أبعاد ومقاسات معينة، كانت تستخدم في المكاتبات بين الخلفاء والسلاطين. الخطيب، معجم المصطلحات، مرجع سابق، ص٣١١.

(٢) الزيودي، نقل الأخبار، مرجع سابق، ص٢٣٤.

(٣) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، يكنى أبا الوليد (٢٦-٨٦هـ) نشأ في المدينة، وشهد مقتل عثمان وهو ابن عشر، تولى الخلافة بعد أبيه سنة ٦٥هـ، نقلت الدواوين في عهده من الفارسية والرومية إلى العربية، وهو أول من ضرب الدنانير في الإسلام، وأول من نقش العربية على الدراهم، توفي بدمشق. الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج٤، مصدر سابق، ص ص٢٤٧-٢٤٨. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٤، ص١٦٥.

(٤) عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية (٣-٧٠هـ) كان أحد أشراف الأمويين،من الخطباء البلغاء، كان والي مكة والمدينة لمعاوية وابنه يزيد، قدم الشام وأحبه أهلها، فلمل طلب مروان بن الحكم الخلافة عاضده عمرو، فجعل له ولاية العهد بعد ابنه عبد الملك، ولما ولي عبد الملك أراد خلعه، واستغل وجود عبد الملك لقتال زفر بن الحرث الكلابي، فاستولى على دمشق وبايعه اهلها بالخلافة، فلما عاد عبد

=

اشتراكهما معًا في الحكم، ولكن عبد الملك غدر بعمرو بن سعيد، فعندما دخل عليه القصر أمر بقتله، فتنادى أصحابه من وراء باب القصر وأحسوا بقتله، فأخذ عبد الملك خمس مائة صرة وجعل في كل واحدة منها ألفي درهم وألقاها عليهم من فوق القصر، وألقى معها رأس عمرو، فكان الرأس رمزًا دلَّ على قتل عمرو، وكانت النقود رمزًا دلَّ دعوة أصحابه بالسكوت عن أمره؛ إذ إنَّ أصحابه أخذوا المال وتركوا رأس صاحبهم[1].

وقد استخدم الأمويون وسائل جديدة في إخفاء الرسائل السِّرِّيَّة بطرق فنية مبتكرة عن أعين الأعداء، وذلك بإخفاء الرسائل في أرغفة الخبز، أو في سروج الخيل بعد حفرها وإيداع الرسائل في داخلها بشكل لا يلفت انتباه العدو[2].

كان لنشأة الدولة العباسية عن طريق دعوة سرية أثرها البارز في اهتمام الخلفاء العباسيين بالأمور السِّرِّيَّة، فقد اعتمدت الدولة العباسية في قيامها على تنظيم سري

=

الملك استلطفه حتى قتله، لقب بلطيم اللسان وبالأشدق لفصاحته. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٣، مصدر سابق، ص ص٢٢٥-٢٢٧. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٧٨.

(١) الدينوري،أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ)، الأخبار الطوال، تصحيح: محمد سعيد الرافع، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٣٠هـ، ص٢٨٠-٢٨١. مرجع آخر، الزيودي،ريما محمد، نقل الأخباروتداولها في المجتمع الإسلامي أيام الدولة الأموية ٤٠-١٣٢هـ/ ٦٦٠-٧٤٩م: دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠١٤م، ص١٣٨-١٣٩.

(٢) فرحات، تاريخ المخابرات، مرجع سابق، ص٣٨٨.

مكون من دعاة ونقباء وعمال يديرون أمر الدعوة العباسية وتتفرع منها خلايا سرية منتشرة في مختلف الأقاليم تنكروا في ثياب التجار أو الحرفيين أو المؤدبين ثم يندسون بين الناس دون أن يعرفهم أحد ويستغلون موسم الحج للتواصل بينهم لبحث أمور دعوتهم السِّرِّيَّة[١]، وقد أتاح ازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي لاطلاع الدولة على أساليب الأمم الأخرى في حماية أسرارها والاستفادة منها، حيث واجه العباسيون تنظيمات ودول عديدة سعت للقضاء عليهم، فاهتموا بأمن المعلومات، وحرصوا على التَّعرُّف على أساليب خصومهم في حماية أسرارهم، وعملوا على اختراقها، وفي نفس الوقت أحاطوا أسرار دولتهم بتدابير أمنية لإحباط أي محاولة لاختراقها[٢].

وبعد أن ضعفت الخلافة العباسية، وانقسمت أملاكها الواسعة بين حكام مستقلين، تمكن الصليبيون نهاية القرن الخامس الهجري من استغلال حالة التفرق بين المسلمين، وبدأوا بالتوغل في بلاد الشام، وتمكنوا في أقل من ثلاثة عقود، أن يستولوا على معظم بلاد الشام وأهم قلاعها، ولم يبق لتحمل عبء الجهاد سوى أمراء الولايات المحلية، فقد قاموا بدور كبير لصد الخطر الصليبي، وأتاحت هذه

(١) سالم، السيد عبد العزيز، العصر العباسي الأول، ج٣، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٣٩٨هـ، ص٢٥، محمد الخضري، الدولة العباسية، ط٣، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٧م، ص ١٨.

(٢) البلوي، تاريخ أمن المعلومات، مرجع سابق، ص٥٤.

الظروف ظهور شخصيات قوية كعماد الدين زنكي[١]، وابنه نور الدين محمود الذي تولى الأمر بعد مقتل أبيه[٢].

أدرك نور الدين أهمية توحيد جبهتي الشام ومصر لمواجهة الصليبيين، ووجد من الخلاف بين الوزيرين الفاطميين ضرغام[٣] وشاور فرصة سانحة بعد استنجاد الأخير به على ضرغام، فأرسل قواته بقيادة أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين لمصر، وبعد تمكن شاور من الوزارة تنكر للوعود التي قطعها لنور الدين بإعطائه ثلث دخل بيت المال في مصر، وطلب من شيركوه مغادرة مصر، فطلب الخليفة العاضد لدين الله النجدة من نور الدين، الذي عاد وأرسل شيركوه مرة

(١) عماد الدين زنكي بن آق سنقر بن عبدالله (٤٧٨-٥٤١هـ)، الملك المنصور، كان والده أول ملوك الدولة الأتابكية في الموصل، توفي وابنه زنكي صغير فتعاهده أصحاب أبيه إلى أن شب وتولى مدينة واسط إقطاعًا، ثم تولى الموصل وسائر بلاد الجزيرة، استطاع التصدي للفرنجة في الشام والعراق، وأجلاهم عن حلب وحماة وأخذ منهم حصن الأثارب، سير جيشًا لدمشق وأدخلها في طاعته، واستعاد الرها من الفرنج سنة٥٣٩هـ، قتل غيلة من بعض مماليكه أثناء حصاره قلعة جعبر. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٤، مصدر سابق، ص ص٢٢١-٢٢٢. مرجع آخر،الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٥٠.

(٢) خليل، المقاومة الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٠-٣١.

(٣) ضرغام بن عامر بن سوار اللخمي المنذري، أبو الأشبال، استولى على مصر، وهرب منه شاور إلى نور الدين مستنجدًا، قتل في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وخمسمائة عند قبر السيدة نفيسة، وطيف برأسه، وبقيت جثته مرمية على الأرض، ثم دفن. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، مصدر سابق، ص٣٦٥.

أخرى، فاستطاع القضاء على شاور، وتولى الوزارة في مصر ولُقِّب بالملك المنصور سنة ٥٦٤هـ ولم يستمر في الوزارة سوى ما يقارب الشهرين ، وخلفه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي(١) الذي استطاع توطيد نفوذه والسيطرة على مصر بعد وفاة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين في الحادي عشر من محرم سنة ٥٦٧هـ(٢).

انتهت الدولة الأيوبية بعد سنوات من الجهاد ضد الصليبيين، بعد أن دبَّت الخلافات بين أبناء البيت الأيوبي، وقامت الحروب بينهم، وأكثروا من شراء المماليك الذين زاد نفوذهم، واستطاعوا قتل توران شاه سنة ٦٤٨هـ، وبمقتله انتهت الدولة الأيوبية بعد أن حكموا إحدى وثمانين سنة(٣).

شهد عصرا الأيُّوبيين والمماليك تطوُّرًا في الشفرة والكتابة السِّرِّيَّة، من ناحية الأساليب والتقنيات المستخدمة نظرًا لطبيعة هاتين الدولتين ذات الطابع العسكري ومدى ما واجهوه من فتن داخلية وحروب وأخطار خارجية تمثلت في الهجمة الصليبية ثم المغولية في آنٍ واحدٍ.

(١) الغامدي، مسفر سالم عريج، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر (٤٩١-٥٦٩هـ/ ١٠٩٧-١١٧٣م)، جدة، دار المطبوعات الحديثة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ص٣٠٠-٣١١.

(٢) قاسم، قاسم عبده، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص٣٦.

(٣) عاشور، مصر والشام، مرجع سابق، ص١٥١-١٥٢، ص١٥٧.

فمع اتِّساع حكم الأيُّوبيين والمماليك كان من الضرورة ربط أرجاء الدولة بالسلطان فكانت المعلومات تصل لمركز الحكم ومنها تصدر القرارات لباقي ولاة الدولة وكان لزامًا أن تنقل بعض المعلومات بطريقة سرية وآمنة حتى لا يطلع عليها إلا من أرسلت له، ومع ازدياد الأعداء والمتربصين بالسلطان كانت تستخدم طرق في الكتابات السِّرِّيَّة وأساليب مختلفة لنقل الرسائل حتى لا تُعرف المعلومة لدى الأعداء وتكون في غير مصلحة الدولة وخاصة أثناء فترة الحروب والفتن الداخلية والانقسامات والصراعات الدولية.

برع المسلمون في الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة وظهر علماء كُثر ألفوا عدَّة مؤلفات في هذا المجال، وكان لهم دور كبير في تطوُّر علم الشَّفرة وطرق إخفاء المعلومات، ومن هؤلاء العلماء:



- **يعقوب بن إسحاق الكندي:**

يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، كان واحدَ عصره في المنطق والهندسة والطب والنجوم وعلوم الأوائل، ويُسمَّى فيلسوف العرب(١)، أول من شيَّد بنيان التعمية باعتبارها حقلًا

(١) ابن النديم، محمد بن إسحاق ابن (ت ٤٣٨هـ)، الفهرست، تحقيق: رضاتجدد، طهران، (ب. م)، ج١، ص٣١٥. مصدر آخر، أبن أبي أصيبعة، أحمد بن سديد الدين (ت ٦٦٨هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط٢، ج٢، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩م، ص ١٧٨. مصدر آخر، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٨، ص ٤٧٩.

معرفيًّا قائمًا بذاته في رسالته استخراج المعمَّى، إذ استقصى فيها علم التعمية وأسرار اللغة دقة وشمولًا وتصنيفًا واستعمالًا لخواص اللغة التي يُعمَّى أو يُحلَّ بها، توفي عام ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م[1].

**- ابن وحشية الكلداني:**

أبو بكر أحمد بن علي بن المختار بن عبد الكريم بن جرثيا بن بدنيا بن برناطيا ابن عالاطيا الكلداني[2]، عاش في النصف الثَّاني من القرن الثَّالث الهجري، وقدَّر بعضهم وفاته قريبًا من سنة ٣٥٠هـ،كان عالمًا بالفلاحة والكيمياء والسموم والفلك والأقلام القديمة والسحر والحيل، وغيرها[3]، له كتاب "شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام"، وقد اكتشف المستشرق النمساوي فون هامر Von Hammer هذا الكتاب وترجمه إلى الإنجليزية سنة ١٨٠٦م، ونشر عنه سلفستر دي ساسي Sylvester de Sacy دراسة في باريس سنة ١٨١٠م، وكان ذلك من أهم المساعدات التي قدمت

(١) نبهان، عبد الإله أحمد، علم التعمية واستخراج المُعمى عند العرب، مجلة عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، ع٦، مج١٦، نوفمبر – ديسمبر ١٩٩٥م، ص٥٨٣-٥٨٧، ص٥٨٤. مرجع آخر، المقري، بدر، بعض قضايا التواصل في علم التعمية عند المسلمين: رسالة أبي يوسف الكندي (ت ٢٦٠هـ) نموذجًا، ندوة أعمال اليوم الدراسي: التواصل في الرؤية المعرفية الإسلامية، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بوجدة، المغرب، ٢٠١١م، ص ص٣١ -٤٤، ص٣٣.

(٢) ابن النديم، مصدر سابق، ج١، ص٣٧٢. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج١، ص ١٧٠.

(٣) علم، يحيى مير، ابن وحشية النبطي وريادته في كشف رموز هيروغليفية في كتابة (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج٧٩، ج٤، ٢٠٠٤م،ص ص٧٣٥-٧٦٤، ص٧٣٥.

للعالم الفرنسي جان فرانسوا شامبليون J.F.Champollion في كشفه عن أشكال اللغة الهيروغليفية عام ١٨٢٢م(١).

- **ابن دنينير:**

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن علي بن هبة الله بن يوسف بن نصر بن أحمد اللخمي القابوسي الموصلي، المعروف بابن دنينير، عرف علم النحو وفهم حل التراجم، له عدَّة مؤلفات، منها: "الشهاب الناجم في علم وضع التراجم"، وكتاب "الفصول المترجمة عن علم حل الترجمة". كان في زمان الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، توفي سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م(٢).

- **ابن عدلان:**

عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان بن حماد بن علي الربعي الموصلي النحوي المترجم، وقد لُقِّب بالمترجم لأنه كان ماهرًا بحل المترجم والألغاز، وله في ذلك تصانيف كثيرة، منها: "عُقلة المجتاز في حل الألغاز"، و"حل المترجم" صنَّفه للملك الأشرف، مات بالقاهرة سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م(٣).

---

(١) المرجع السابق، ص٧٥٤. مرجع آخر، نبهان، علم التعمية،ص ص٥٨٤-٥٨٥.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، مصدر سابق، ص ١٢٦. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج١، ص ٦٢.

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢١، مصدر سابق، ص ٣٠٨-٣٠٩. مصدر آخر، علي بن عدلان الموصلي النحوي (ت ٦٦٦هـ)، الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب، تحقيق: حاتم صالح =

- **ابن الدريهم:**

علي بن محمد بن عبد العزيز بن فتوح بن إبراهيم بن أبي بكر بن القاسم بن سعيد بن محمد بن هشام بن عمرو، المعروف بابن الدريهم الموصلي، برع في الحساب والأوفاق وخواص الحروف وحل المترجم والألغاز والأحاجي، له عدَّة مؤلفات في هذا المجال، منها: "المبهم في حل المترجم"، و"مفتاح الكنوز في حل الرموز"، و"غاية الإعجاز في الأحاجي والألغاز"، و"سبر الصَّرف في سرِّ الحرف"، توفي سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م[(١)].

بالإضافة لما سبق كان لبعض العلماء المسلمين دور في التأليف في التعمية، وإن لم يكن لهم دور بارز كغيرهم، إلا أن مؤلفاتهم أسهمت بشكل أو بآخر في تطوُّر علم التعمية، ومن هؤلاء:

- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ/ ٧٨٦م)، نُسب إليه كتاب في

=

الضامن، مجلة المورد، العراق، ع٣، مج١٢، ١٩٨٣م، ص١٧٩-٢٥٠، ص١٨٠-١٨١. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٣١٢.

(١) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد ونبيل أبو عميشة، ومحمود موعد ومحمود سالم محمد، ج٣، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٨م، ص ص٥٢١-٥٢٢، ص ص٥٢٦-١٢٧. مرجع آخر، محمد حسان الطيان، ذات القوافي: قصيدة لابن الدريهم ٧٦٢هـ، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج٧٧، ج٢، ٢٠٠٢م، ص ص٢١٧ -٢٣٢، ص ص٢٢٠-٢٢٢.

المعمَّى، ولكنه مفقود.

- ثوبان بن إبراهيم ذو النون المصري (ت ٢٤٥هـ/ ٢٤٥م)، له كتاب "حلُّ الرموز وبرء الأسقام في أصول اللغات والأقلام".

- سهل بن محمد بن عثمان السجستاني (ت ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م)، ذُكر عنه أنه كان يتبحَّر في الكتب، ويخرج المعمَّى، حاذق بذلك، دقيق النظر فيه.

- محمد بن أحمد بن طباطبا (ت ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م) له رسالة في استخراج المعمَّى.

- أسعد بن مهذَّب بن ممَّاتي (ت ٦٠٦هـ/ ١٢١١م)، له كتاب "خصائص المعرفة في المعمَّيات"[(١)].

إن علم التعمية واستخراج المعمَّى إحدى العلوم التي برع المسلمين فيها، فالمسلمون أبرز من كتب في طرائق التعمية التي ما زال العالم يستعملها حتى الآن؛ وهم من وضع المنهجيات الأساسية في علم استخراج المعمَّى؛ ودوَّنوا فيهما مصنفات في غاية الأهمية منذ القرن الثَّالث الهجري[(٢)]، فقد ألَّفَ الكندي (ت ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م) رسالة في استخراج المعمَّى، ذكر فيها قواعد علم التعمية، واستخدم لأول مرة في التَّاريخ مفاهيم الإحصاء في تحليل النصوص المعمَّاه، وذلك

(١)علم، إسهامات علماء التعمية، مرجع سابق، ص ص٥٢٣-٥٢٥.

(٢) الجزائري، علم التعمية، مرجع سابق، ص١٦١-١٦٢.

قبل كتابات باسكال[1]، وفيرما[2] (١٦٤٥م) التي يعتبرها مؤرخو الرياضيات الغربيون بداية علم الإحصاء والاحتمالات بحوالي ثمانية قرون[3].




(١) بليس باسكال (١٦٢٣-١٦٦٢م) فيزيائي ورياضي وفيلسوف فرنسي، قدم مع الفرنسي بيير دي فيرما نظرية الاحتمالات، وصمم سنة١٦٥٤م، مثلث باسكال في حساب الاحتمالات، واخترع آلة حاسبة تؤدي عمليات الجمع والضرب، الموسوعة العربية العالمية، مج٤، مرجع سابق، ص٩٩.

(٢) بيير دو فيرما (١٦٠١-١٦٦٥م) عالم رياضيات فرنسي، نال شهرته بسبب عمله في نظرية الأعداد والأعداد الصحيحة، وساهم في تطوير الهندسة التحليلية، وحساب التفاضل والتكامل، شارك الفرنسي باسكال في نظرية الاحتمالات، المرجع السابق، مج١٧، ص٦٦٣.

(٣) غبيق، صلاح الهادي، التشفير وفك التشفير، مجلة العلوم الاقتصادية والسياسية -كلية الاقتصاد والتجارة - الجامعة الأسمرية الإسلامية زليتن، ليبيا، ع٢، ٢٠١٣م، ص٥٠٨-٥٤٣، ص٥١٣-٥١٤.

## المبحث الثَّالث

## الصفات الواجب توفُّرها في كاتب الشفرة

حظي كاتب السر(١) في العصرين الأيوبي والمملوكي بأهمية كبيرة من قبل السلاطين لاطِّلاعه على أدق أسرار الدولة، واسهم بحظ وافر في تسيير أمورها لقُربه من صناعة القرار ومُلازمة السلطان.

قال الوزير الأيوبي الأسعد ابن مماتي(٢) فيما يكون عليه الكاتب في تعامله مع سلطانه: "وإذا أقبل عليه بوجهه واختصه بحديثه في المهم وغير المهم، فيقبل عليه بوجهه وقلبه، ويُبالغ في حسن الإصغاء إليه، ويحفظ كل ما سمعه منه، ويحفظ سره، ويحذر من نقل شيء يجري في مجلسه، ويتجنب المُسَارَّة في مجلسه بكل حال، وإن سايره فلا يزحمه، وإن قدر أن يكون بينهما موضع يسع آخر فهو أحسن، ولا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه إلا بطريق فيه مضيق... وأن يبالغ في نشر فضائله، والمذاكرة بما

---

(١) تغير لقب كاتب السر في عصر المنصور قلاوون ٦٧٨-٦٨٩هـ، فقد كان يطلق عليه تارة بكاتب الدست وتارة بكاتب الدرج، الموصلي، موسى بن حسن (ت ٧٠٠هـ)، البرد الموشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: عفاف سيد صبرة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م، ص١٧.

(٢) الأسعد بن المهذب بن أبي المليح مماتي أصله من نصارى أسيوط بصعيد مصر من أهل بيت في الكتابة عريق، أسلم أبوه وتولى ديوان الجيش خلفًا له ثم أضيف له ديوان المال في عهد صلاح الدين، توفي بحلب عام ٦٠٦هـ. الحموي، ياقوت الرومي (ت ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ج١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ص ٦٣٥-٦٣٩.

يجب التنبيه عليه من محاسنه، والإفاضة في كل ما يتضمَّن معنى مدحه، لتتألف القلوب على محبته، وتعتمد الضمانة على موالاة موالاته، وأن يظاهر بصداقة أصدقائه وعداوة أعدائه"[(١)].

"فوظيفة كاتب السر من أعظم الوظائف حظًا، وأجلها قدرًا ومتوليها مقدم لدى السلاطين، يلقون إليه بأسرارهم، ويخصونه بخفايا أمورهم، ولا يُستغنى عن الأخذ برأيه، ولا يوثق بأحد من الناس كالثقة به، لاطِّلاعه على أحداث الدولة وأسرارها[(٢)].. "فإنه أوَّل داخل على الملك وآخرُ خارجٍ عنه، ولا غنى له عن مفاوضته في آرائه والإفضاء إليه بـمُهماته وتقريبه من نفسه في آناء ليله وساعات نهاره وأوقات ظهوره للعامة وخلواته واطِّلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته، فهو لذلك لا يثقُ بأحدٍ من خاصته ثقته به"[(٣)].



وامتدت صلاحيات كاتب السر إلى أكثر الجوانب أهمية في تصريف شؤون الحكم، فكاتب السر مسؤول عن التَّعرُّف إلى أخبار الممالك المختلفة وعرضها

---

(١) انظر، قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سُوريال عطية، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩١م، ص٦٧-٦٨.

(٢) ابن كنان، محمد بن عيسى (ت ١١٥٣هـ)، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق: عباس صباغ، بيروت، دار النفائس، ١٩٩١هـ، ص١٦٧.

(٣) الكاتب، علي بن خلف (توفي بعد ٤٣٧هـ)، موادُّ البيان، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دمشق، دار البشائر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٣١-٣٢.

على السلطان، وهو القائم بكتابة تعيينات كبار موظفي الدولة، وهو الراسم لحدود صلاحياتهم ومهامهم[1].

وقد ازدادت صلاحيات كاتب السر حتى صار يتحدث في مجلس السلطان عند عقد المشورة واجتماع الحكام للفصل في الأمور، وله الشفاعة بين الأمراء والسلطان عند الاختلاف، والنظر في أمور القضاة ومشايخ العلم في سائر أقاليم الدولة[2].

ومن مهمات كاتب السر النظر في أمور البريد، ومستلزماته كأبراج الحمام، وإعداد الرجال للتجسس والمخابرات، والإشراف على كتاب الدواوين، والتوقيع على الرقاع والقصص الخاصة بالمملكة والولايات، والاطِّلاع على المكاتبات إلى الولايات وقطع الوَرَق، وقراءة الرسائل الواردة للسلطان والرد عليها[3].

ونظرًا لما تمتَّع به كاتب السر من صلاحيات ومهام عظيمة كان يتم اختياره من ذوي العلم والكفاءة وفق شروط محددة منها:

أ – الإسلام، فلا يولَّى أحد من أهل الكفار لقوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا

---

(١) الدروبي، سمير، الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٧م، ص١٣٧.

(٢) المحمداوي،علي صالح رسن و حبيب،نزار عزيز، وظيفة كاتب السر في عصر المماليك البحرية، مجلة أبحاث البصرة، العراق، ع١، مج٣١، ج أ، ٢٠٠٦م، ص٦٦-٨٩، ص٦٩.

(٣) الموصلي، البرد الموشى، مصدر سابق، ص١٨-١٩.

تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾[١]. فإن كاتب الرسائل أحوج الناس إلى الاستشهاد بكلام الله تعالى في محاوراته وفصول مكاتباته والتمثل بنواهيه وأوامره، وهو الذي يشُدّ قُوى الكلام، ويثبت صحته في الأفهام، فإذا كان الكاتب غير مسلم لم يكن لديه من ذلك شيء، واشترط أن يكون الكاتب على مذهب الملك الذي اختص به من بين مذاهب المسلمين[٢].

ب - حفظ أجزاء من كتاب الله، ليكون مصورًا في قلبه، ذاكرًا له في كل ما يرد عليه من ديوانه من الوقائع التي تحتاج إلى الاستشهاد بها من كتاب الله[٣]، وأن يُضمن كلامه بالآيات في أماكنها اللائقة ومواضعها المناسبة لها[٤].

ج - الاستكثار من حفظ الأحاديث ، ليحتج بها في الأحكام السلطانية



---

(١) سورة آل عمران، آية ١١٨.

(٢) ابن الصيرفي، علي بن منجب بن سليمان (ت٥٤٢هـ)، القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٠م، ص ص ٧-٩. مصدر آخر، القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط٣، ج١، القاهرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٠م، ص ٦١-٦٣.

(٣) السحماوي، شمس الدين محمد (ت ٨٦٨هـ)، الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم، تحقيق: أشرف محمد أنس، ج١، القاهرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٣م، ص٨٥.

(٤)ابن الأثير، المثل السائر، ق١، مصدر سابق، ص ٦١.

والولايات، وغير ذلك، وخصوصًا في السير والمغازي، ليتأمل فصاحتها وينظر إلى معانيها ويفهم أحكامها ويهتدى بها، فإن الفصاحة والبلاغة والأحكام لا توجد بعد كتاب الله العزيز إلا في كلام سيد المرسلين، ﷺ[1].

د – البلاغة، يجب أن يكون من البلاغة والفصاحة إلى أعلى رتبة وأسنى منزلة، فإنه لسان السلطان الذي ينطق به ويده التي بها يكتب، فإذا كان جيد الفطنة صائب الرأي حسن الألفاظ، تتأتى له المعاني الجَزْلةُ فيجلوها في الألفاظ السهلة، ويختصر حيث يكون الاختصار، ويطيل حيث لا يجد بُدًّا من الإطالة، ويتهدَّد فيملأ القلوب روعة، ويشكر فيُلقي على النفوس مسرَّة[2].

هـ – العقل، فإن العقل أُسُّ الفضائل وأصلُ المناقب ومن لا عقل له فلا انتفاع به، وكلام المرء ورأيه على قدر عقله، فإذا كان تام العقل كامل الرأي وضع الأشياء في مكاتباته ومخاطباته مواضعها[3]، فالعقل يجعل صاحبه يضع كل شيء في موضعه ويأتي بالكلام ما يقتضيه الحال[4].

و – العلم بمواد الأحكام الشرعية، يجب على كاتب السر أن يكون على دراية

---

(١) السحماوي، الثغر الباسم، ج١، مصدر سابق، ص ٨٧.

(٢) ابن الصيرفي، القانون، مصدر سابق، ص١٠. مصدر آخر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٦٦.

(٣) ابن الصيرفي، القانون، مصدر سابق، ص١٠. مصدر آخر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٦٦.

(٤) الموصلي، البرد الموشى، مصدر سابق، ص٢٩.

تامة بالأحكام الشرعية، حيث يُعرض عليه كثير من الأحكام الشرعية ويكتب فيها[١]، فيجب أن يكون عالمًا فقيهًا مُستحضرًا للأدلة الشرعية، كثير الاطِّلاع، ليسير سلطانه على منهاج الشرع الشريف[٢].

ز – معرفة الأحكام السلطانية، يجب على كاتب السر معرفة الأحكام السلطانية من عقد الإمامة، وتقليد الوزارة والإمارة على البلاد والإمارة على الجهاد وولاية القضاء والمظالم والحسبة[٣].

ح – معرفة أمثال العرب وأيامهم المشهورة، وذلك أن العرب لم تضع الأمثال إلا لأسباب أوجبتها وحوادث اقتضتها، فكانت الأمثال كالرموز والإشارات التي ترمز للمعاني وصارت من أوجز الكلام وأكثره اختصارًا[٤]، وبمعرفة كاتب السر أيام العرب وما وقع فيها من أحداث كان مستعدًا لما يستشهد به في الأحداث الشبيهة بذلك[٥].

ط – إجادة اللهجات العامة، فللبيئة والوراثة والرحلة والتجارة دور في اختلاف

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) السحماوي، الثغر الباسم، ج١، مصدر سابق، ص٨٨.

(٣) ابن الأثير، المثل السائر، ق١، مصدر سابق، ص٥٩. مصدر آخر، الموصلي، البرد الموشى، ص٢٩.

(٤) ابن الأثير، المثل السائر، ق١، مصدر سابق، ص٥٤–٥٥.

(٥) السحماوي، الثغر الباسم، ج١، مصدر سابق، ص١١٤.

اللهجات[1]، ولا يكاد ينتشر استعمال لغة حتى تتعدد لهجاتها، فعلى كاتب السر معرفة مدلول اللهجات المختلفة حتى يفهم المقصود منها.

ولم تقتصر صفات كاتب السر على ما سبق من صفات شخصية، فهناك صفات عُرفية ذكر منها ابن مماتي في كتابه "قوانين الدواوين": حاد الذهن، قوي النفس، حاضر الحسن، جيد الحدس، محبًّا للشكر، عاشقًا لجميل الذكر، طويل الروح، كثير الاحتمال، حلو اللسان، شديد الأنفة، عظيم النزاهة، كريم الأخلاق[2].

يمتلك كاتب السر إضافة لما سبق ملكات ذهنية تصل به إلى حد الموهبة في ابتكار طرق متنوعة لكتابة الرسائل السِّرِّيَّة، ويتوفر لديه موظفون ذوو موهبة ومعرفة في طرق الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة المتنوعة، مثل:

١ - معرفة أنواع وأحجام الوَرَق المستخدمة للرسائل السِّرِّيَّة، واختيار الوَرَق المناسب للمُلطَّفات[3]، وبطاقات الحمام[4].



(١) باشا، أحمد تيمور، لهجات العرب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص ص٧-٨.

(٢) ص٦٦.

(٣) المُلطَّفات: كُتب سرية تُكتب على وَرَق رقيق وتلف وتُختم ثم توضع في مكان خفي كنصاب سكين أو سواك أو عصا، يجوف داخلها وتوضع فيه، وتُسلم إلى من يُراد تسليمها إليه بصورة سرية لا تلفت النظر. دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دمشق، دار الفكر، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص١٤٤.

(٤) بطائق الحمام: صنف من الوَرَق الشامي، صغير القطع ورقيق للغاية، ويُعرف بورق الطريق، يُستخدم في =

٢- معرفة أنواع الأقلام المستخدمة لكتابة الرسائل السِّرِّيَّة، وطريقة بريها، واستخدام الأقلام الخاصة لبطاقات الحمام والـمُلطَّفات[١].

٣- معرفة اللغات المختلفة المستخدمة لكتابة الرسائل السِّرِّيَّة، ومقدار عدد حروفها، والحروف التي تدخل في كل لغة[٢].

٤- إتقان صناعة الأحبار، وانتقاء المواد المناسبة، والمقادير اللازمة، ومعرفة التراكيب الخاصة للأحبار السِّرِّيَّة، والمكونات الداخلة في تركيبها[٣].

٥- ابتكار طرق متنوعة لإخفاء الرسائل السِّرِّيَّة، كتجويف نصاب السكين أو السواك أو العصي، وإخفاء الرسائل السِّرِّيَّة داخلها[٤].

فإن الكاتب إذا كمَّل هذه الصفات استحق أن يكون كاتبًا للسلطان وأن يتولى



=

نقل الرسائل عن طريق الحمام الزاجل. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، مصدر سابق، ص١٩٢. مصدر آخر، السحماوي، الثغر الباسم، ج٢، ص٥٥١.

(١) السحماوي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٥٢ -٥٥٣.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، مصدر سابق، ص٢٣٤.

(٣) المِشوَخي، عابد سليمان، الحبر والمداد في التراث العربي، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مج٥٥، ج١، جمادى الأولى ١٤٣٢هـ/ مايو٢٠١١م، ص١٠٩-١٦٤، ص١٦١.

(٤) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)، تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، ج٢، تحقيق: إحسان بنت سعيد حلوجي وزهير حميدان الصمصام، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٢م، ص٢٦٨.

ديوان رسائله، وكلما أخلَّ بنوع منها نقصت المنفعة به بمقدار ذلك الإخلال وتوجَّه الضرر بمقدار ذلك النقص[1].




(١) ابن الصيرفي، القانون، مصدر سابق، ص١٤.

# الفصل الثَّاني

## أنواع الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة

- **المبحث الأوَّل**: الكلام الذي ظاهره غير باطنه (التورية - اللحن).
- **المبحث الثَّاني**: الأسلوب الشعري.
- **المبحث الثَّالث**: الكتابة المرمَّزة.
- **المبحث الرَّابع**: الشَّفرة عن طريق الهدايا.

## المبحث الأوَّل

### الكلام الذي ظاهره غير باطنه (التورية - اللحن)

لَحَنَ له يَلحَن لَحنًا: قال له قولًا يفهمه عنه ويَخفى على غيره لأنه يميله بالتورية عن الواضح المفهوم[1]، وذلك أن أصل اللحن عند العرب أن تريد الشيء فتورِّي عنه بقول آخر[2].

و"لحن في كلامه إذا مال به عن الإعراب إلى الخطأ، أو صرفه عن موضوعه إلى الإلغاز. ورجل لحَّان ولحَّانة، ولحَّنته نسبته إلى اللحن وقلت له: قد لحنت. ولحنتُ له لحنًا: قلت له ما يفهمه عنِّي ويخفى على غيره. وعرفت ذلك في لحن كلامه: في فحواه وفيما صرفه إليه من غير إفصاح به"[3].

ويُقال فلان ألحن بحجته من فلان، أي ألحن بإمالة الباطل إلى الحق بفصاحته، فقد روي عن الرسول - ﷺ - أنه قال: (إنما أنا بَشر، وإنكم تَختصِمونَ إليَّ، ولعلَّ بعضَكم أن يكون ألحنَ بحُجَّتِهِ من بعض فأقضِي له على نحوِ ما أسمَعُ، فمن قضيتُ له من حقّ أخيهِ شيئًا فلا يأخُذه، فإنما أقطعُ له قِطعةً منَ النار)[4].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مج١٣، ص٣٧٩.

(٢) ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ)، الملاحن، تحقيق: عبد الإله نبهان، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٢م، ص٦٤-٦٥.

(٣) المصدر السابق، ص٣٢.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، =

التورية في اللغة بمعنى الإخفاء والستر، قال تعالى: ﴿ يَبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾[1]، أي يسترها ويُخفيها، وفي الاصطلاح: أن يذكر المتكلم لفظًا مفردًا له معنيان حقيقيان، أو أحدهما حقيقي والآخر مجازي، أحدهما قريب غير مراد والآخر بعيد وهو المراد، وقال أبو بكر – رضي الله عنه – جوابًا لمن سأله عن الرسول – ﷺ – في طريق الهجرة: هادٍ يهديني الطريق. والمعنى القريب يهديه الطريق أي يدلُّه عليه، والبعيد المراد به أنه يهديه إلى الطريق المستقيم[2].

وريتُ الشيءَ وواريتُه: أخفيتُه. والتورية: الستر. ووريتُ الخبر: جعلته ورائي وسترته، وفي الحديث: أن النبي – ﷺ – كان إذا أراد سَفَرًا ورَّى بغيره، أي سَتَرَه وكنَّى عنه وأوهم أنه يريد غيره[3].

والتورية عبارة عن كل ما يفهم منه معنى لا يدل عليه ظاهرُ لفظه، ويكون مفهومًا

=

ص١٧٢٥. مصدر آخر، الصولي، محمد بن يحيى (ت ٣٣٦هـ)، أدبُ الكتاب، تحقيق: محمد بهجة الأثري، بغداد، المكتبة العربية، ١٣٤١هـ، ص١٣١.

(١) سورة الأعراف، آية٢٦.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح اباري شرح صحيح البخاري، ج٣، (د. م)، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص٢٩٥. مصدر آخر، موسى، محمد السيد عبد الرزاق، فن التورية عند ابن نباتة المصري في ديوانه الكبير، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، ج٤٦، مايو٢٠٠١م، ص ص٢٣٩–٢٦٩، ص٢٣٩.

(٣)ابن منظور، لسان العرب، مج١٥، مصدر سابق، ص٣٨٩.

عند اللفظ به واشتقاقه من قولهم وَرَّيْت عن كذا إذا سَتَرْتَهُ[١].

والتورية كلام باطنه غير ظاهره، وهو نوع من غريب الكلام كقول الرسول - ﷺ - لعجوز: إن الجنَّة لا يدخلها عجوز، يُريد أنهن يَعُدن شابَّاتٍ. وقال ﷺ لأُخرى: أزوجك الذي في عينيه بياض؟ يُريد ما حول الحدقة. واستدبر رجلًا من ورائه وقال: من يشتري مني العبد؟ يريد عبد الله[٢].

وتُسمَّى التورية التوجيه، وهي: أن تكون الكلمة متضمنة معنيين فيستعمل المتكلم أحد احتماليها، ويترك الآخر الذي يكون مراده، ومن التورية الإيهام بأن يكون المعنيان أحدهما قريبًا ودلالة لفظه ظاهرة، والآخر بعيدًا ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم البعيد ويُورِّي عنه بالقريب، فيتوهَّم السامع أنه يُريد القريب ويكون مقصود المتكلم البعيد[٣].

ومما يُلحق بالتورية، التقيّة، وهي لغة: الخوف والحذر والكتمان، واصطلاحًا: ترك فرائض الدين في حالة الإكراه أو التهديد بالإيذاء، وهي إحدى عقائد

(١) العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم (ت ٧٤٥هـ)، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم وحقائق الإعجاز، تحقيق: سيد بن علي المرصفي، ج٣، القاهرة، مطبعة المقتطف، ١٩١٤م، ص٦٢.

(٢) الكلاعي، محمد بن عبد الغفور (ت ٥٥٠ه)، إحكام صنعة الكلام، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٦م، ص١٨٨.

(٣) ابن حجة، تقي الدين أبو بكر الحموي (ت ٨٢٧هـ)، كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام، بيروت، المطبعة الأنسية، ١٣١٣هـ، ص١٠.

الشيعة الرئيسية، فالشيعي يجب عليه ذلك، وأن يبالغ في الكتمان[١]، وترتب على هذه العقيدة أن أصبح للكلام معنى ظاهر وآخر باطن، فالظاهر لغيرهم والباطن لهم[٢]، ويستخدم السنة التقيّة عن طريق إخفاء العقيدة والفكر وقول ما يخالف الحق لأجل دفع الضرر حتى زواله، وذلك في ظروف قاهرة خوفًا من وقوع ضرر[٣].

استخدم العرب التورية قديمًا، ومن ذلك أن قبيلة طيء أسرت شابًّا من العرب فقدم أبوه وعمه ليفدياه من الأسر فاشتطُّوا عليهما في الفداء، فأعطيا لهم عطية لم يرضوها، فقال أبوه: لا، والذي جعل الفرقدين يمسيان ويصبحان على جبلي طيء لا أزيدكم على ما أعطيتكم، ثم انصرفا. فقال الأب للعم: لقد ألقيت إلى ابني كُليمة، لئن كان فيه خير لينجونَّ، فما لبث أن نجا وأطرد قطعةً من إبلهم، فكأنَّ أباه قال له: الزم الفرقدين على جبل طيء، فإنهما طالعان عليهما وهما لا يغيبان عنه[٤]، فرسم

(١) الخطيب، محمد أحمد، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: عقائدها وحكم الإسلام فيها، ط٢، عمّان، مكتبة الأقصى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٤٦.

(٢) العمري، محمد نبيل طاهر وبرقان، إبراهيم محمد خالد، مفهوم التقية عند الشيعة الإمامية الإثنى عشرية وأهل السنة: دراسة عقدية مقارنة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية - جامعة أهل البيت، الأردن، ع١، مج١١، ٢٠١٥م، ص ص٤١٩-٤٤٢، ص٤٢٥.

(٣) عليان، محمد أحمد، التقية: دراسة عقائدية مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت،الأردن، ١٩٩٨م، ص١١.

(٤) القالي، إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ٣٥٦هـ)، الأمالي، ط٢، ج٢، تحقيق: السيد إسماعيل يوسف بن صالح بن ذياب، بيروت، دار الحديث للطباعة والنشر، ١٩٨٤م، ص٢٢٢.

الأب بهذه العبارات طريقة لهروب ابنه من أيدي آسريه.

حرص الرسول - ﷺ - على معرفة أخبار أعدائه ليأمن جانبهم، ففي معركة بدر في السنة الثَّانية من الهجرة، ومع اقتراب المسلمين من بدر، خرج الرسول - ﷺ - وبصحبته أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - لاستطلاع أمر المشركين، فلقيا شيخًا من العرب، فسأله الرسول الكريم عن قريش وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما، فقال له رسول الله، ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك، فقال: وذاك بذاك، قال: نعم، قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن صدقني الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به الرسول، ﷺ)، وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن صدقني الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا (المكان الذي به قريش). فلما فرغ من خبره قال: ممَّ أنتما؟ فقال رسول الله، ﷺ: نحن من ماء، ثم انصرف عنه، والشيخ يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟!، فقد استخدم الرسول - ﷺ - التورية في كلامه، فأراد أن الله خلقه من ماء(1)، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾(2).

شاع استخدام التورية في العصر الأيوبي وعُدَّت من أعلى فنون الأدب، ومن أرقِّها وأدقِّها بين مسالك التعبير، ومن أعلاها رتبة، وهي تنم بحسن اختيارها ولطف ابتكارها عن ذوق سليم، وطبع قويم، وحس لطيف(3).

(1)الشافعي محمد، المخابرات، مرجع سابق، ص119.

(2) سورة المرسلات، آية20.

(3) الحريري، سلطان عبد الرؤوف، أدب الرسائل في العصر الأيوبي (القاضي الفاضل نموذجًا)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 2000م، ص274.

وكثر تداول التورية في العصر المملوكي، وكان سرُّ ذلك يكمن في التعبير عن الواقع بطرق أكثر تسترًا وخفاءً، وعُدَّت من أنفس المحسنات البديعية لما فيها من اعتبارات معنوية وفكرية وسياسية واجتماعية غُلفت بطابع الغموض والتمويه(١).

واهتم الأدباء بالتورية وولعوا بها أكثر من غيرهم، ولإعجابهم بها تنافسوا في تصيُّدها وتضمينها منظومهم ومنثورهم، وظهرت حذاقتهم وبراعتهم في تصيد فرائد تلك التوريات(٢).

يحتاج لمن يتعامل بالتورية إلى ذكاء وفطنة، ويكون ملمًّا بثقافة واسعة ومعرفة دقيقة باللغة العربيَّة حتى يستطيع فهم المقصود من الكلام المورَّى، ومن ذلك أنَّ أحد الملوك أمر كاتبه أن يكتب عنه كتابًا إلى بعض أتباعه يطمئنه فيه ليقبض عليه عندما تحين له الفرصة، وكان بين الكاتب والمكتوب إليه صداقة، فكتب كما أمره الملك من غير أن يُبدِّل شيئًا من كلامه، إلا أنه حين كتب في آخر الكلام (إنَّ شاء الله تعالى) جعل على النون صورة شدَّة، فلما وصل الخطاب لصاحب الشأن عرف أن ذلك لم يكن سُدى من الكاتب فأخذ في التأويل والحدس فوقع في ذهنه أنه يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾(٣)، فأخذ حِذره، واحترز

---

(١) الغريب، سلامة هليّل عيد، الرسائل الفنية في العصر المملوكي الأول (٦٤٨-٧٨هـ)، عمّان، دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م، ص ص٣٥٣-٣٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص٣٥٥، ص٣٥٨.

(٣) سورة القصص، آية٢٠.

على نفسه، وبلغ الملك احترازُه على نفسه فاتهم الكاتب في أنه ألحق في الكتاب شيئًا نبَّهه به على قصد الملك، فأحضره وسأله عن ذلك، وأمره بأن يكتُب الكتاب على صُورة ما كتب به من غير تغيير، فكتبه ولم يغير شيئًا من رسمه حتى إنه أثبت الشدَّة على النون، فلما قرأه الملك ونظر إلى الشدَّة أنكرها عليه، وقال: ما الذي أردت بذلك؟ قال: أردت قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾، فأعجب بذلك وعفا عنه لصدقه إياه[1].

وتؤدي الشَّفرة عن طريق التورية دورًا مهمًّا في تغيير مجرى بعض الأحداث اعتمادًا على سُرعة البديهة بين المرسل والمستقبل للمعلومة وفهم المعلومة بطريقة صحيحة، ومن ثم اتخاذ القرار الصائب.

ففي جمادى الآخرة سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م حاصر المغول قلعة البيرة[2]، ونصبوا عليها منجنيقًا فرنجيًّا[3]، وكان الرامي به من أسرى المسلمين المجبرين على العمل

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، مصدر سابق، ص٢٤٨.

(٢) قلعة حصينة تقع في بلدة قرب سُمَيسَاط بين حلب والثغور الرومية، الحموي، معجم البلدان، مج١، مصدر سابق، ص٥٢٦.

(٣) آلة حربية من آلات الحصار،تجمع على صيغة مجانيق ومناجيق، والمنجنيق أداة من الخشب مؤلفة من دفتين قائمتين بينهما سهم طويل له رأس ثقيل وذنب خفيف بنهايته كفة تجعل فيها الحجر المقذوفة بعد جذبها إلى أسفل، ثم ترسل فتنطلق باتجاه هدفها، ولعل تسميته بافرنجيًا دلالة على أنه من صنع الصليبيين، فهم متواجدون في المنطقة قبل قدوم المغول، وقد يكون المغول أخذوه منهم عنوة أو بمقابل مادي. الخطيب، معجم المصطلحات، مرجع سابق، ص٤١٠.

في الجيش المغولي، ونصب المسلمون في القلعة منجنيقًا ليكسروا به منجنيق المغول فلم تصبه الحجارة وكانت تقع زائدة عنه فقال له الرامي المسلم: "لو قطع الله من ساعدك ذراعًا كان أهل البيرة يستريحون منك لقلة معرفتك". ففهم الرامي الذي بالقلعة إشارته، فقطع ذراعًا من ساعد المنجنيق ورمى به، فأصاب المنجنيق فكسره، وخرج أهل البيرة في الليل وأحرقوا المنجنيقات وقتلوا العسكر وعادوا(١)، فكان لسُرعة بديهة الأسير المسلم وذكائه في إيصال المعلومة بطريق التورية وحسن فهم الرامي على المنجنيق الآخر دور في انتصار المحُاصَرين في القلعة.

وقد تُرسل رسالة بطريقة التورية، ولكن لا يتمكن المرسل إليه من فهم مقصدها فتفقد الرسالة أهميتها. من ذلك ما حدث في عهد السلطان فرج بن برقوق(٢)، وتيمور



---

(١) ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ)، تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيط، بيروت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ٢٠٠٩م، ص١٢٥. مرجع آخر، قاسم محمد مزعل غنيمات، الجيش المغولي في الفترة ما بين ٦١٥-٧٣٦هـ/ ١٢١٨-١٣٣٥م، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٣م، ص٧١.

(٢) برقوق بن أنص العثماني أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر (٧٣٨-٨٠١هـ) تسمى ببرقوق لنتوءٍ في عينيه، اتصل بخدمة الأشرف شعبان، وبعد مقتله ترقى حتى ولي أتابكية العساكر، وانتزع السلطنة من آخر بني قلاون، وانقادت له مصر والشام، بنى المدرسة البرقوقية بمصر، كان حازمًا شجاعًا، أبطل بعض المكوس، توفي بالقاهرة بعد أن اوصى للحكم من بعده لأبنه فرج. ابن العماد، شذرات الذهب، مج٩، مصدر سابق، ص ص١٦-١٧. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٤٨.

لنك[1] في العراق يهاجم الممالك الشامية آنذاك للاستيلاء عليها، حيث بعث إليه صاحب حلب برسالة كتبت بطريقة التورية، جاء فيها: أنه وقع بتلك البلاد سيل عظيم ساق جملة من الأُسد والنمّورة والحيّات، وأنه دفع حيّة عظيمة سعةُ رأسها بقَدر قَوس، وقرئ الكتاب بحضرة السلطان، وحملوا ذلك على ظاهره من أن المراد حقيقة السيل وأنه لقوته ساق تلك الحية والسباع وغيرها، وشاع ذلك بين الكافة من الأمراء ورجال الدولة وسائر الرعية، ثم ظهر أن المقصود بذلك السيل وما فيه هو تيمور لنك، وأنه كُنِيَ بالحية العظيمة عنه نفسه، وبالسباع والحيّات عن عساكره[2].

فالتعمية بالتورية لا تتبع قواعد محددة، وإنما تعتمد على نباهة وفطنة المتراسلين ومدى اتساع ثقافتهم لفهم معنى الرسالة الموَرَّاة، وهي إلى العمل الأدبي أقرب إلى التعمية بالمفهوم العلمي[3].



(1) قائد مغولي مسلم (٧٣٧-٨٠٨هـ) أقام إمبراطورية مترامية الأطراف، فتح الهند واستولى على بغداد ودمشق، تفككت إمبراطورتيه بعد موته بزمن قصير، الموسوعة العربية العالمية، مج٧، مرجع سابق، ص٣٩٩.

(2) القلقشندي، مصدر سابق، ص٢٥٠، مرجع آخر، البلوي، تاريخ أمن المعلومات، ص١٠١-١٠٣.

(3) الجزائري، علم التعمية، مرجع سابق، ص ١٦٦.

## المبحث الثَّاني

## الأسلوب الشعري

جاءت الأحاجي والألغاز[1] في الفصحى على قسمين: شعري ونثري، وتفاوتت مستويات هذا الفن في كل من الفصحى والعامية، غير أن بداية نشأته في الفصحى أكثر منه في العامية، وبدأ الإلغاز على ألسنة المتخصصين من النُّحاة والفقهاء والمحدثين واللغويين وأضرابهم، لذا فإن هذا اللون لا يمكن لأي طبقة أن تحاكيه دون المعرفة بقواعد اللغة والتعمق في الفنون الأخرى كالفقه والحديث والقراءات وبقية علوم التخصص، مما صعب على العامة فهمه وفك رموزه، لذا انصرفت طائفة من الناس عنه، إلا أنه حينما خرج - فيما بعد - من أيدي المتخصصين إلى غيرهم من الشعراء والناثرين الذين يفهمون الألغاز بروحها العامة، التي فيها التسلية وإعمال الفكر وكدُّ الخاطر، جاءت المرحلة الثَّانية التي شاركت فيها العامية الفصحى على ألسنة الشعراء وأخذ يتسع هذا الفن في العامية وفاق في كميته ما جاء في الفصحى[2].

وحظي شعر التلغيز والأحاجي بعناية الأدباء واهتمامهم، فانتشر انتشارًا كبيرًا حتى عُدَّ من الفنون الأصيلة التي ينبغي للشاعر أن ينظم فيهما، وأقبل الناس على

(١) تمَّ التعريف بهما في الفصل الأول.

(٢) السخاوي، علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد (ت ٦٤٣هـ)، منير الدياجي ودُرّ التّناجي وفوز المحاجي بِحوز الأحاجي والمعروف بمنير الدياجي في تفسير الأحاجي، تحقيق سلامة عبد القادر المرافي، ج١، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص ص١٠٩-١١٠.

المجالس الأدبية للإصغاء لمناظرة الأدباء ومناقشاتهم. وقد يسهمون في حلِّ هذه الألغاز فإذا نجحوا ازدادوا إقبالًا على المجالس التي كانت تطرح فيها، وهكذا راجت المراسلات بالألغاز، وذاع النَّظم بالمعمّيات، وأقبل كثير من الشعراء على هذا اللون الشائع يؤلفون الكتب والمنظومات والقصائد ويتراسلون بها شعرًا. وهذا القول لا يعني أنَّ الاشتغال بالألغاز كان مقصورًا على العصر المملوكي، فقد وجدت الألغاز قبله، ووجدت بعده، لكنها في هذا العصر اتسع نطاقها، وامتدت آفاقها في مصر والشام حتى لم يسلم منها شاعر ولم يخلُ منها ديوان على تفاوت ذلك بين الكثرة والقلة. فهو مظهر من مظاهر الرياضة الذهنية، والثقافية في هذا العصر، بل هو سمة من سمات هذه الحقبة[1].

إن تعمية المنظوم أو الشعر واستخراجه كان من الأهمية بمكان لدى أكثر أعلام التعمية، ولا عجب، فالشعر أحد قسمي الكلام، وهو إلى ذلك ديوان العرب، وتناولت مصنفات التعمية المعمَّى من الشعر، وطرق حله، وما يحتاج إليه مُستخرجه، وقد نصَّ الكندي، وهو من أوائل من صنَّف في التعمية، على ثلاثة مبادئ تستعمل في استخراجه، وهي: معرفة القوافي، ومعرفة عدد حروف البيت وفق أوزان

(١) أمين، بكري شيخ ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، ط٣، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠، ص١٧٦-١٧٧. مرجع آخر، عبدالرحمن، نداء فالح أحمد، لغة الألغاز في شعر العصر المملوكي الأول (٦٤٨-٧٨٤هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، ٢٠١٤م، ص ص ١٧-١٨.

الشعر، ومعرفة الحروف الخُرس وما يليها من مصوتات. وأما ابنُ عدلان فأفرد قاعدتين للأمور التي تعتمد في حلِّ المعمّى من الشعر وأهم ما فيهما: معرفة العروض والقافية، والتشاطير والرويّ، وعدد حروف كل بحر[1].

إن المتصدين لحل رسائل التعمية كانوا يدربون على مراحل تدريجية، فمن ذلك أن المبتدئين في الدِّراسة كانت تُكتب لهم التمارين من جُمل الشعر دون النثر، حيث يساعدهم وزن الشعر على حل الكلمات وسرعة التعلُّم[2].

وتنوَّعت طرق الشَّفرة عن طريق الشعر. فقد اشتهر عند الناس بيت شعر جُمعت فيه حروف المعجم، وهو:

قد ضَجَّ زَحْر وشَكا بثّه … مذ سَخِطتْ غصن على لافظِ

وقد استعملوا التعمية فيه، فإذا أرادوا الألف قالوا: الحرف الرَّابع من الرَّابع، وإذا أرادوا الحاء قالوا: الحرف الثَّاني من الثَّالث، وإذا أرادوا الميم قالوا: الحرف الأوَّل من السادس، وكذلك باقي الحروف، وكل شخص يستطيع أن يقول مثله ويصبح وسمًا بينه وبين من يكاتبه[3].

---

(١) علم، إسهامات علماء التعمية، مرجع سابق، ص٥٢٧-٥٢٨.

(٢) العدوي، إبراهيم أحمد ، نظام الشَفرة في المكاتبات العربية في العصور الوسطى، مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول، مصر، مج١٢، ج٢، ١٩٥٠م، ص ص١٠١-١٠٩، ص١٠٥.

(٣) ابن وهب، إسحاق بن إبراهيم بن سليمان (ت ٣٣٥هـ)، رسالة ابن وهب الكاتب: علم التعمية، تحقيق: مراياتي وآخرون، ج٢، مرجع سابق، ص١١٩.

ومن الطرق الأخرى لتعمية الشعر هو أن يعمد الشخص لبيت من أبيات الشعر فيصيغ حروفه ترجمةً يعيدُ منها شكل كل حرف على صورته إلى انقضاء البيت، إن شاء باسم الطير أو الرياحين أو الناس، أو غير ذلك، أو يجعل أشكالًا فارسية أو سريانية أو صورًا. ويفصل بين كلِّ كلمةٍ وكلمة بشكل ليس من الترجمةِ، أو يفصل بحلقة يورِّيها بالقلم أو بتبييض الموضع ليُعلم بذلك انفصال الكلمة من الكلمة. ثم يدفعه إلى مستخرجه فيقول ما عمّيتُ لك؟ فإذا أخرجه فأحسنُ شيءٍ أن يعمل في وزنه شعرًا إن كان شاعرًا، ويجعل البيت المعمّى مضمّنًا فيه(1).

ومن طرق التعمية الأخرى في الشعر أن يُورِّي باسم شخص كما فعل ابن نباته المصري(2) في مدح السلطان الكامل(3) قائلًا:

---

(1) مجهول، رسالة في استخراج المعمى من الشعر لصاحب أدب الشعراء، المصدر السابق، ص ٣٣٦.

(2) محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري (٦٧٦-٧٦٨هـ) شاعر عصره أصله من ميافارقين، نشأ بمصر، مهر في النظم والنثر والكتابة، رحل إلى الشام سنة ٧١٦هـ وولي نظارة القمامة بالقدس أيام زيارة النصارى لها، رجع للقاهرة سنة ٧٦١هـ فكان صاحب سر السلطان الناصر حسن، وله عدة دواوين من الشعر منها: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون. ابن حجر، شهاب الدين أحمد العسقلاني(ت٨٥٣هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٤، تحقيق: سالم الكرنكوي الألماني، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٦هـ، ص ص٢١٦-٢١٨. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٧، ص٣٨.

(3) محمد ابن محمد (العادل) ابن أيوب، أبو المعالي (٥٧٦-٦٣٥هـ) من سلاطين الدولة الأيوبية، صاحب مصر والشام وميافارقين وآمد والحجاز واليمن، وغير ذلك، كان عارفًا بالأدب، له شعر، وسمع الحديث ورواه، ولد بمصر وأعطاه أبوه الديار المصرية، فتولاها مستقلًا بعد وفاة أبيه (سنة ٦١٥هـ) ثم امتلك الديار الشامية، خُطب باسمه في مكة (سنة ٦٢٠هـ) توفي بدمشق ودفن بقلعتها، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٢، مصدر سابق، ص١٢٧-١٣١، مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٧، ص٢٤.

مَـن مبلـغُ الأَهلـينَ عنـي أَننـي      في الـشامِ فـزتُ بفـوق ظـنّ الآمـلِ
وأَخـذتُ مـن ريـبِ الزمـانِ أَمانَـه      وقبـضتُ حقَّ مآربي بالكـامـلِ[1]

وقد بلغ الاهتمام بتعمية الأشعار في هذا العصر مبلغًا كبيرًا من قبل الأدباء والوزراء وأصحاب دواوين الإنشاء حتى وصل للملوك، وأصبح بعضهم ينظم الشعر الملغز بنفسه ويحاور الشعراء.

ومن ذلك ما رواه الصفدي في كتابه "الوافي بالوفيات" فيما حدث بين الملك الكامل والمظفر الأعمى[2] من مُحاجاة في الشعر، فكان الملك جالسًا ليلة فدخل عليه مظفر الأعمى فقال له أجز يا مظفر وأنشد:

قد بلغ الشوق منتهاه



فقال مظفر:

وما درى العاذلون ما هو

فقال الملك:

ولي حبيب رأى هواني

---

(١) باشا، عمر موسى، أمير شعراء المشرق: ابن نباتة المصري، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣م، ص ٢٩٨.

(٢) المظفر بن إبراهيم بن جماعة بن علي العيلاني (٥٤٤-٦٢٣هـ) كان أديبًا شاعرًا، وكان ضريرًا، مولده ووفاته في القاهرة بسفح المقطم. له ديوان شعر ومختصر في العروض. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٥، مصدر سابق، ص ٦٥٨. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٧، ص٢٥٥.

فقال مظفر:

وما تغيَّرتُ عن هواه

فقال الملك:

رياضةُ النفسِ في احتمالي

فقال مظفر:

وروضة الحسن في حلاه

فقال الملك:

أَسمرُ لدنُ القوام أَلمىَ





فقال مظفر:

يعشقه كل من يراهُ

فقال الملك:

ريقته كلها مدام

فقال مظفر:

ختامها المسك مِن لَماهُ

فقال الملك:

ليلته كلها رقاد

فقال مظفر:

وليلتي كلها انتباهُ

فقال الملك:

وما يَرى أن يُهينَ عبدًا

فسكت مظفر ساعةً، فقام وقال:

بالملِكِ الكاملِ احتِماه[(١)]

وبلغ بعض الشعراء الذين برعوا في نظم الألغاز منزلة كبيرة لدى الحكام كابن عُنين[(٢)]، والذي كان مقربًا من الملك المعظم[(٣)] ابن الملك العادل صاحب دمشق،



(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، مصدر سابق، ص ص ١٩٥-١٩٦، مرجع آخر، باشا، مجمع الألغاز، ص ص٤٩-٥١.

(٢) محمد بن نصر الله بن مكارم بن حسن ابن عنين الأنصاري الدمشقي الزرعي (٥٤٩-٦٣٠ه)، أعظم شعراء عصره، مولده ووفاته في دمشق، من فحول الشعراء ولا سيما في الهجو، قلّ من سلم منه، حتى السلطان صلاح الدين والذي نفاه، فذهب إلى العراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان والهند واليمن ومصر، وعاد إلى دمشق بعد وفاة صلاح الدين، فمدح الملك العادل وتقرب منه، وتولى الوزارة للملك المعظم بدمشق في آخر دولته. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٢، مصدر سابق، ص٣٦٣. مرجع آخر، الزركلي الأعلام، ج٧، ص١٢٥-١٢٦.

(٣) عيسى (الملك المعظم) بن محمد (الملك العادل) ابن أيوب (٥٧٦-٦٢٤هـ)، ملك الشام، من علماء الملوك، كان له ما بين حمص والعريش والكرك والشوبك، فارسًا شجاعًا، له كتاب في العروض وديوان =

والذي اتخذه نديمًا له، وقرَّبه إليه حتى ولَّاه الوزارة، وكانت له مساجلات في ذلك، ومنها ما أنشده الملك المعظم له في بيت من الشعر مُلغزًا له في (الإسلام):

أي شـــيءٍ تـــراهُ حقـــًّا يقينـــًا    حالمـــا اعـــوَجَّ في الزمـــانِ اســـتقاما

فأجابه ابن عُنين:

أيهـا الـسيدُ الـذي جعـل الـشركَ    حطامـــــًا وشيـــــَّدَ الإســـــلاما

ولابن عُنين شعر مُلغز في الوزير قراقوش[1].

أُخفـي اسـمَ مَـن أُحبـهُ مخافـةً    وذكـــرُهُ في القلـــب شـــوقٌ وأَرَق
شُبّـــهَ بالـــورد الجنـــيّ خـــدّهُ    وخـــدّه مـــن ذاك أنـــدى وأَرَق

مقلوب (شوق أرق) قراقوش[2].



---

=

شعر، خلف آثارًا منها المدرسة المعظمية في صالحية دمشق، مولده ومنشؤه بدمشق. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٣، مصدر سابق، ص ص٥٠٠-٥٠٣. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ص١٠٧-١٠٨.

(١) قراقوش بن عبد الله الأسدي، أبو سعيد، بهاء الدين (ت ٥٩٧هـ) أمير، نشأ في خدمة السلطان صلاح الدين الأيوبي، وناب عنه في الديار المصرية، كان مولعًا بالعمران، وهو الذي بنى السور المحيط بالقاهرة، وبنى قلعة الجبل، وقناطر الجيزة، ولاه صلاح الدين مدينة عكا، وتنسب إليه أحكام عجيبة في ولايته، مكذوب عليه، فإن صلاح الدين كان يعتمد عليه في أحوال المملكة ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوضها إليه، و"قره قوش" كلمة تركية معناها "العقاب" الطائر المعروف. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٤، مصدر سابق، ص٢٢٣. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٥، ص١٩٣.

(٢) باشا، مجمع الألغاز، مرجع سابق، ص٢٤٥-٢٤٦، ص ٢٥٧.

كان المتصدي لحل الشَّفرة عن طريق الشعر يحتاج إلى حدس وقوة ذكاء لمعرفة المراد من البيت الملغّز، ومن ذلك ما رواه القلقشندي في "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" أنه ورد على السلطان الملك الناصر فرج برقوق(١) في أواخر دولته كتاب عن صاحب تونس من بلاد المغرب السلطان أبو فارس عبدالعزيز المتوكل(٢) في آخره خطاب للسلطان (وعلى إحسانكم المُعَوّل، وبيتُ الطُّغرائِيّ في لامِيّة العجم لا يُتأوّل)، فسأل بعضُ أعيان ديوان الإنشاء القلقشندي عن المراد من ذلك، ولم يكن الكتاب متضمّنًا غير الوصية على حُجّاج المغَاربة، وكان ركب المغاربة قبل

---

(١) فرج (الملك الناصر) ابن برقوق (الظاهر) ابن أنص (٧٩١-٨١٥هـ)، بويع بالقاهرة (سنة ٨٠١هـ) بعد وفاة أبيه وعمره عشر سنوات، رابط بدمشق عند قدوم تيمور لنك (سنة٨٠٣هـ) ناوش طلائع تيمور لنك ثم اضطر للعودة لمصر وترك دمشق فريسة لتيمور لنك وعساكره، واكتفى بتبادل الهدايا وبعض الأسرى مع تيمور لنك، اضطربت أحواله فترك الحكم واجتمع الأمراء ونصبوا أخاه عبد العزيز، وبعد شهرين عاد وقاتل أخاه ومن معه من الأمراء، وقتل أخاه، وعاد إلى السلطنة، وانتظمت له أمور الدولة حتى (سنة ٨١٤هـ) أفرط في قتل مماليك أبيه فخرجوا إلى دمشق وذهب إلى قتالهم وانهزم فطلب الأمان، فقاموا بسجنه في قلعة دمشق، ثم أثبتوا عليه الكفر وقتلوه في القلعة. ابن العماد، شذرات الذهب، مج٩، مصدر سابق، ص١٦٧. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٥، ص١٤٠.

(٢) أبو فارس عبدالعزيز أبن السلطان أبي العباس أحمد، صاحب إفريقية، ولد بمدينة قسنطينة (٧٦١-٨٣٧هـ) حكم بعد أبيه السلطان أبو العباس سنة(٧٩٦هـ)، ملك تلمسان وفزَّان وبسكرة. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي(ت٨٤٥هـ)، درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة، مج٢، تحقيق: محمود الجليلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص٢٨٢.

تلك الحجّة قد عرض لهم عارض من عرب درب الحجاز اجتاحوهم فيه، وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا، ونهبوا منهم أموالهم، فعرض القلقشندي ذلك على أبيات اللامية، فلاح له أنه يُشير إلى قوله فيها:

فقُلتُ أرجُوكَ للُجلّى لتَنصُرنِي وأنتَ تَخذُلُنِي في الحادِثِ الجَلَلِ

والجُلّي بضم الجيم هي الأمر الجليل العظيم، والجَلَل بفتح الجيم يقع على الشيء الجليل وعلى الشيء الحقير، كأنه يقول: أنا كنتُ أرجُوك للأمور العِظام لتنصُرَني فيها فخذلتني في هذا الأمر الخَسِيس، وهو الأخذُ بثأر حُجّاج بِلادي ممن اعتدى عليهم من عرب بِلادك: فخاب ظنيّ فيما كنتُ أرجُوه فيك، وأؤمّله منك، أشار بقوله لا يُتأوّلُ على الأمر الخَسِيس لأنه هو اللائق بالمقَام[1].

وكان لمعرفة القلقشندي بأشعار العرب ودواوينهم وذكائه دور في كشف المقصود من رسالة صاحب تونس أبو فارس عبدالعزيز بعد أن عرضها على لامية العجم للطغرائي[2].

وقد ظهر في العصر المملوكي شعراء وصفوا الحالة السياسية والاقتصادية

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، مصدر سابق، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٢) مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين بن علي ابن محمد بن عبد الصمد الأصبهاني، شاعر له لامية العجم، من غرر القصائد، ودرر الفوائد، لما اشتملت عليه من لطيف الغزل، واحتوت عليه من الحكم والأمثال، قتل سنة ٥١٤هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، مصدر سابق، ص٤٥٤-٤٥٥.

المتردية، ومدى معاناة الناس من البطالة وإبعاد عن مناصب الحكم ومراتب الجيش، ورمزوا لذلك عن طريق اللحن والتصحيف واستعمال الألفاظ العامية، ونظموا قصائدهم الفكاهية بطريقة الرمز والتورية خوفًا من الحكام، ومنهم: ابن دانيال الموصلي(١) صاحب طيف الخيال، وهو عبارة عن كتاب يحتوي على ثلاث مسرحيات هزلية، استخدم فيها الشعر والنثر الهزلي بلغة عامية، واصفًا الأحداث السياسية والاقتصادية السيئة في عصره باستخدام التورية(٢)، ومن شعره في ذلك شاكيًا حاله وشدَّة بؤسه:

أصبحت أفقر من يروح ويغتدي ... ما في يدي من فاقتي غير يدي
في منزلي لم يبقَ غيري قاعدًا ... فإذا رقدت رقدت غير مُمدَّد
لم يبقَ فيه سوى حصيرة ... ومخدَّة كانت لأم المُهتدي
مُلقى على طراحة في حشوها ... قمل كمثل السمسم
والفأر يركض كالخيول تسابقت ... من كل جرداء الأديم وأجرد

(١) شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعي الموصلي، شمس الدين (٦٤٧-٧١١هـ) طبيب رمدي (كحال) أصله من الموصل، نشأ وتوفي بالقاهرة، كان صاحب نكت ونوادر ومجون، له كتاب طيف الخيال، وأرجوزة سماها: عقود النظام في من ولي مصر من الحكام. ابن العماد، شذرات الذهب، مج٨، مصدر سابق، ص٥٠. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٦، ص١٢٠.

(٢) الجمَّال، أحمد صادق، الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م، ص ص٢٠١-٢٠٥.

هــذا ولــي ثــوب تــراه مُرقعــًا　　　من كل لون مثل ريش الهدهد[1]

ومن شعراء هذا الفن الهزلي أبو الحسين الجزار[2] القائل شاكيًا الفقر والاشتياق إلى أكل الحلويات، مُصورًا حياة الناس وبؤسهم عن طريق التورية:

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر　　　وجــاد عليهــا سكــر دائــم الــدر
وتبــًّا لأوقــات المــخلل إنـــها　　　تمر بلا نفع وتُحسب من عُمري
أهيم غرامـًا كلمـا ذكر الـحمى　　　وليس الحمى إلا القطارة بالسعر
وأشتاق إن هبَّت نسيم قطائف　　　السحور سحيرًا وهي عاطرة النشر
ولــي زوجة إن تشتهي قاهرية　　　أقول لها ما القاهرية في مصر[3]

استخدم الشعراء أسلوب التورية في قصائدهم بوصف سوء الأوضاع الاقتصادية، خوفًا من الحكام في حال إفصاحهم عن التذمر من الأوضاع المتردية والتي عاصروها.



---

(١) درويش، مهجة محمد كامل، صور من الأدب في العصر المملوكي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٧-١٩٨٨م، ص١٨١. مرجع آخر، أبو سعدة، شفيق عبد الرزاق، شعراء الخصاصة في العصر المملوكي، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ١٩٩١م، ص٥٤.

(٢) يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد، جمال الدين أبو الحسين الجزار (٦٠١-٦٧٩هـ) شاعر مصري ظريف، كان جزارًا بالفسطاط ثم استرزق بالمدح، وشاع شعره، مدح السلاطين، وتلقى منهم الجوائز، له العقود الدرية في الأمراء المصرية، وله ديوان شعر. ابن العماد، شذرات الذهب، مج٧، مصدر سابق، ص ص٦٣٦-٦٣٧. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٨، ص١٥٣.

(٣) الجَمَّال، الأدب العامي، مرجع سابق، ص١٩٤.

## المبحث الثَّالث

## الكتابة المُرمَّزه

تعتمد الكتابة المرمَّزة على الحروف، وطرق تعميتها لها عدَّة أشكال متنوعة، وكل طريقة من طرق الشَّفرة يكون لها مفتاح لحلها معروف لدى المرسل والمستقبل لهذه الرسالة، ومنها طرق بسيطة، وأخرى معقدة، كُل حسب نوع الرسالة ومدى حساسيتها وأهميتها، ومن أهم هذه الطرق في الشَّفرة:

**أ- التعمية بالقلب:**

تعتمد هذه الطريقة على تغيير مواضع الحروف في الكلمة على نسق محدد، وله طرق متنوعة، مثل:

- أن يكتب الكلمة معكوسة، مثالهُ (محمد: دمحم)، و(علي: يلع)[(١)].
- أن يقدم الحرف الآخِرَ فيكتب (محمد: دمحم)، و(علي: يعل)[(٢)].
- أن يبدل الأوَّل من الكلمة بالآخِرِ منها فيكتب (محمد: دحمم)، و(علي: يلع)[(٣)].
- أن يبدل الحروف المزدوجة، كل حرفٍ من الكلمة بثانيه، ويترك المفرد،

(١) ابن الدريهم، مفتاح الكنوز: علم التعمية، ج١، مراياتي وآخرون،مصدر سابق، ص٣٢٥.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

فيكتب (محمد: حمدم)، و(علي: لعي). ومنهم من يلتزم إبدال الحرف بثانيه مطلقًا في سائر الكلام، فيكتب (محمد أخو علي: حمدم خا عويل)[1].

• أن يبدل الحرف بثالثه، فيكتب (مسعود: عسمود)، و(علي: يلع)، و(أحمد: محاد)، أو يلتزم ذلك في جميع الكلام فيكتب (مسعود أخو أحمد: عومسخود أمداح). فيكون تقديم حرفين على حرفين، فبذلك يبدل الأوَّل بالثَّالث والثَّاني بالرَّابع[2].

• أن يبدل الحرف الأوَّل بالرَّابع، فيكتب (مسعود: وسعمد)، و(محمد: دحمم)[3].

• أن يبدل من كل كلمتين أوَّل الأوَّلى بأول الثَّانية، فيكتب (محمد ابن عم حسن: أحمد مبن حم عسن). أو يبدل آخر الأوَّلى بآخر الثَّانية، فيكتب (محمن إبد عن حسم). أو أوَّل الأوَّلى بآخر الثَّانية، فيكتب (نحمد ابم نم حسع). أو آخر الأوَّلى بأول الثَّانية، فيكتب (محما دبن عح مسن). ومنهم من يبالغ في التعمية فيبدل أوَّل الأوَّلى بأول الثَّانية، وآخر الأوَّلى بآخر الثَّانية معًا، فيكتب (محمد ابن عم حسن: احمن مبد حن عسم). أو يعكس فيبدل أوَّل الأوَّلى بآخر الثَّانية، وآخر الأوَّلى بأول

(١) المصدر سابق، نفس الصفحة.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

الثَّانية، فيكتب (نحما دبم نح مسع)[1].

• أن يضع كلمات إذا أخذت حرفًا وتركت حرفًا انتظم المقصود، فإذا فرغت الكلماتُ أخذتَ المتروكَ أيضًا على ذلك النظام. مثاله: (محمد ابن عم حسن)، تكتبه: (منحعممد حاسبن). أو تأخذُ حرفًا وتتركُ حرفين حتى تفرغَ الكلماتُ، ثم تفعل بالثَّاني كذلك، ثم بالثَّالث، فتكتب: (محمد ابن عم حسن: مامحبحمنسد عن). أو يأخذ حرفًا ويترك حرفًا كذلك، أو يترك أربعةً، أو يترك خمسة، إلى حيثُ يشاءُ[2].

## ب- التعمية بالإبدال:

تعتمد طريقة الإبدال على تبديل كل حرف من حروف الرسالة المعماة بحرف آخر من حروف أبجد أو حروف المعجم أو حروف الأقلام الأخرى[3]، كالقلم القُمّيّ[4] أو القلم الفهلوي[5]، أو أي قلم يصطلح عليه المرسل والمستقبل للرسالة

---

(١) المصدر سابق، ص٣٢٦.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) يقصد بها حروف اللغات المختلفة، فيبدل حروف اللغة العربية بحروف لغة أخرى وهو ما يكون صعبًا إدراكه وفهمه إلا لمن يعرف هذه اللغة.

(٤) نسبة إلى مدينة قُم في إيران، المصدر السابق، ص٣٢٧، انظر الشكل (١).

(٥) نسبة إلى فهلا، وهي البقعة التي فيها همدان وأصفهان وأذربيجان والري وما وراء نهاوند. الكردي، محمد طاهر بن عبد القادر المكي، تاريخ الخط العربي وآدابه، القاهرة، المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني، ١٩٣٩م، ص٣٨.

المعمَّاة، ومن أمثلة ذلك:

• أن يُبدل كل حرف بما بعده من حروف (أبجد)، فيُبدل الألف بالباء، والباء بالجيم، والجيم بالدال، على هذا النحو إلى أن يُبدل الغين بالألف لأن الحروف كالدائرة. فيكتب: (محمد: نطنه). أو يُبدل الحرف بثالثه، فيكتب: (محمد: سيسو). أو يُبدل الحرف برابعه، فيكتب: (محمد: عكعز).أو يُبدل الحرف بما قبله مع مراعاة اختلاف ترتيب حروف أبجد بين المشارقة والمغاربة(١).

• أن يبدل كل حرف بما بعده على ترتيب حروف المعجم، فيُبدل الألف بالباء، والباء بالتاء، والتاء بالثاء، هكذا إلى آخرها إلى أن يُبدل الياء بالألف، فيكتب: (محمد: نخنذ)، و(علي: غما). أو يُبدل الحرف بثالثه، فيكتب: (محمد: ودور). أو يُبدل الحرف بما قبله، فيُبدل الألف بالياء، والباء بالألف، فيكتب: (محمد: لجلخ)، و(علي: ظكلا)، وهكذا(٢).

• أن يُبدل حرفين حرفين كما مرَّ، فيكتب: (محمد: لجلخ)، و(علي: ظمو)(٣).

---

(١) يختلف ترتيب حروف أبجد بين المشارقة والمغاربة فحين ترتيب أبجد لدى المشارقة هو: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ، يكون ترتيبها لدى المغاربة على نحو: أبجد هوز حطي كلمن صعفض قرشت ثخذ ظغش، الدريهم، مفتاح الكنوز: علم التعمية، مراياتي وآخرون، ج١، مصدر سابق، ص٣٢٨-٣٢٩.

(٢) المصدر السابق، ص٣٢٩.

(٣) المصدر سابق، نفس الصفحة.

• أن يُبدل كل حرف بما يقابله بالقلم القمي:

كـم أو حَـطٍ صِـلا لـهُ دَر سَـع          في بَـز خَـشٍ غَـضّ ثَـجِ تَـذ نَـقُ

فيُبدل الكاف بالميم، والميم بالكاف، والألف بالواو، والواو بالألف، وهلمَّ جرًّا. فيكتب: (محمد: كطكر)، و(علي: سهف)، و(مسعود: كعسار). ويمكن من ذلك استخدام أقلام أخرى[1].

### ج- التعمية بزيادة الحروف أو نقصانها:

تعتمد هذه الطريقة على زيادة أو إنقاص حرف أو أكثر في الكلام المراد تعميته إما في أوَّل الكلمة أو ثانيها أو ثالثها أو آخرها، وتصبح هذه الحروف الزائدة أو الناقصة هي المفتاح لمعرفة الرسالة المعمَّاة، ومن أمثلة ذلك:

• أن يكرر الحروف أو يكرر المفرد منها[2].

• أن يسقط من الكلمة حرفًا حيث وقع، أو أن يُبدل بحرفين يختارهما إما متشاكلين أو متغايرين[3].

• أن يزيد في كل كلمة حرفًا من الحروف في أولها أو ثانيها أو ثالثها أو آخرها، أو حرفين دائمًا متماثلين أو متغايرين، أو حرفًا في كلمة وحرفًا في أخرى، أو يزيد في



---

(١) المصدر السابق، ص٣٢٧.

(٢) المصدر السابق، ص٣٣٠.

(٣) يعني بذلك أن يختار زوجًا أو أكثر من الحروف ويرمز لها بحرف واحد، كأن يرمز للمتشاكلين مثل (ط ظ) برمز واحد، وللمتغايرين مثل (ب ع) برمز واحد أيضًا، المصدر السابق، نفس الصفحة.

الأوَّلى ألفًا، وفي الثَّانية باءً، على هذا النحو إلى آخر الحروف، إما على اصطلاح (أبجد) أو (أ. ب. ت. ث)[1].

**د- التعمية المركبة:**

تكون باستعمال طريقتين أو أكثر من الطرق السابقة في نصٍّ واحد لزيادة التعمية، فإذا استعملنا طريقة القلب والتبديل في تعمية الجملة (محمد والد علي) تُصبح (هنمطن همبز كمف)[2].

**هـ- التعمية وفق مصطلح:**

تعتمد هذه الطريقة على إدخال حروف على الرسالة المشَفَّرة وفق اصطلاح محدد بين المرسل والمستقبل للرسالة المشَفَّرة، ومن أمثلة ذلك:



- أن يُدخل في الكلام حروفًا أجنبيةً، فيأخذ من كل كلمة أولها، فيكتب (محمد: ما حال مسكين دنف). ويكتب: (علي: عرفت الأمر يسيرًا). على هذا النمط. أو يأخذ من كل كلمة آخرها، فيكتب: (محمد: ظلم صريح شم العبد)، و(علي: ضيع مال أبي). أو أن يأخذ وسط الكلمة، فيكتب: (محمد: يمن بحب شمس خدر)، و(علي: دعد على خير)، وما شابههُ[3].

---

(١) المصدر سابق، نفس الصفحة.

(٢) الجزائري، علم التعمية، مرجع سابق، ص١٦٧.

(٣) الدريهم، مفتاح الكنوز: علم التعمية، ج١، مراياتي وآخرون مصدر سابق، ص٣٣٣.

● أن يأخذ من كل كلمة ثانيها، فيكتب: (محمد: لم يحسن عمل غده). و(علي: مع الصبر خير). أو يأخذ من كل كلمة ثالثهما، فيكتب: (محمد: ألم أرحك يوم نجد)، و(علي: سمعت قولك فجيت)(١).

● أن يأخذ من كل ثلاث كلمات أوَّل الأوَّلى وثاني الثَّانية وثالث الثَّالثة، فيكتب: (سعد: سيِّد يعرف مقداره). ومنهم من يضع كلامًا مقصده منه مفرد الرتب فقط، فيأخذ الأوَّل والثَّالث والخامس، وهكذا إلى آخره. مثاله: (محمد ابن عم علي: ما حتم قد قارب من نعيم بعمل خير)، أو يقصد رتبة الزوج، فيكتب ذلك: (كم تحوم قدماي بين نعيم يعجلني). ومنهم من يأخذ حرفًا ويترك حرفين، فيكتب ذلك: (ما أحسن منادمة أكابر الناس علومهم عقول قايدة)، على هذا النحو. وإن بدأ بالترك ثم أخذ الثَّالث والسادس والتاسع، فيكتب ذلك: (ألم أرحمكم ببدرة أوجبت أن يضعها من يعمل لدنياه). ومنهم من يأخذ حرفًا ويترك ثلاثةً، فيكتب ذلك: (من الحسن لمن يتدين بالقربى لجناب معدن أمان سعده التبجيل له). أو يبدأ بالترك. وهكذا إن شاء أسقط أربعةً أربعةً أو يسقط خمسةً خمسةً من الحروف الأجنبية التي أدخلها في الكلام(٢).

● أن يجعل إشارته إلى من يكتب إليه أنه لو ابتدأ الكلام بألف فإنه يأخذُ حرفًا ويترك حرفًا، وإن ابتدأه بباءٍ فيأخذ حرفًا ويترك حرفين، وإن ابتدأه بجيم فيأخذ حرفًا ويترك ثلاثةً، وهكذا على هذا النحو.

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) المصدر السابق، ص٣٣٣-٣٣٤.

ومنهم من يجعل أيَّ شيءٍ أراد من هذه الاصطلاحات معكوسًا يُقرأ من اليسار إلى اليمين[(١)].

### و- التعمية بحساب الجمل:

عُرفت طريقة حساب الجمل عند العرب قديمًا بيد أنها استخدمت في عصري الأيُّوبيين والمماليك لإخفاء الرسائل المهمة وفق طرق جديدة وضع أسسها علماء التعمية في ذلك العصر كابن دُنينير (ت ٦٢٧هـ)، وعلي ابن عدلان (ت ٦٦٦هـ) وابن الدريهم (ت ٧٦٢هـ)، ويكون ترتيب حساب الجمل على النحو التالي:

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ | ٨ | ٩ |
| أ | ب | ج | د | ه | و | ز | ح | ط |
| ١٠ | ٢٠ | ٣٠ | ٤٠ | ٥٠ | ٦٠ | ٧٠ | ٨٠ | ٩٠ |
| ي | ك | ل | م | ن | س | ع | ف | ص |
| ١٠٠ | ٢٠٠ | ٣٠٠ | ٤٠٠ | ٥٠٠ | ٦٠٠ | ٧٠٠ | ٨٠٠ | ٩٠٠ |
| ق | ر | ش | ت | ث | خ | ذ | ض | ط |
| ١٠٠٠ | غ [(٢)] | | | | | | | |



وقد توسَّع علماء التعمية في استخدام التعمية بحساب الجمل وأدخلوا طرقًا

(١) المصدر السابق، ص٣٣٤.

(٢) مجهول، مقالة في جمل القول على حلّ التراجم المسهّلة المستحسنة إلى الخروج: علم التعمية، ج٢، مراياتي وآخرون، مصدر سابق، ص٤٧.

جديدة في ذلك، ومن أهمها:

• إبدال الأعداد في الجُمل بالحروف عقدًا بالأصابع، ويستخدم هذا النوع من التخاطب الخفي بحضور من لا تريد أن يعرف ما يدور من حديث بين طرفين، وهذه لغة إشارة تُستعمل في التخاطب بين الخرس مثلًا، وتقوم على إيراد جملة العدد الذي تريد كتابته بعقد الأصابع وفق هيئات مخصوصة معروفة، منها العقد بالأصابع على مراتب الآحاد والعشرات والمئات والألوف[1].

• إبدال الأعداد في الجُمل بالحروف لفظًا، فتصبح تعمية (محمد: أربعون، وثمانية، وأربعون، وأربعة[2].

• الكتابة عِوضَ عدد الحروف حُرُوفًا، وهو أبلغ في التعمية، ومثاله:

| | |
|---|---|
| محمد: لي، بو، لي، اج | بتحليل العدد إلى مجموعة أعداد |
| كك، از، كك، بب | بتحليل العدد إلى مجموعة أعداد |
| ف، يو، ف، ح | بتضعيف العد |
| قك، كد، قك، يب | بتثليث العدد. |

(١) الدريهم، مفتاح الكنوز: علم التعمية، ج١، مراياتي وآخرون، مصدر سابق، ص١٨٣، كذلك، إبراهيم بن محمد إبراهيم ابن دنينير، مقاصد الفصول المترجمة عن حل الترجمة: علم التعمية، ج٢، مراياتي وآخرون، مصدر سابق، ص١٧٦-١٧٨، انظر الشكل رقم (٢).

(٢) الدريهم، مفتاح الكنوز: علم التعمية، ج١، مراياتي وآخرون، مصدر سابق، ص١٨٣.

تعتمد هذه الطريقة على التبديل بكتابة حروف عِوضَ عدد الحروف بعمليات حسابية كتحليل العدد إلى مجاميع الرقم، أو بتضعيفه، أو بتثليثه، ونحو ذلك، مثل أن يكتب في محمد (لي بو لي اج)؛ لأن اللام والياء بأربعين، وهي عدد ما للميم الأوَّلى، والياء والواو بثمانية، وهي عدد ما للحاء، واللام والياء أيضًا بأربعين، وهي عدد ما للميم الثَّانية، والألف والجيم بأربعة، وهي عدد ما للدال، فكأنه قال (م ح م د)[1].

وللتوضيح أكثر تكون تعمية قول: الله ولي التوفيق، على النحو التالي[2]:

| النص الواضح | ا | ل | ل | ه | و | ل | ي | ا | ل | ت | و | ف | ي | ق |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| حساب الجُمل | ١ | ٣٠ | ٣٠ | ٥ | ٦ | ٣٠ | ١٠ | ١ | ٣٠ | ٤٠٠ | ٦ | ٨٠ | ١٠ | ١٠٠ |
| المضاعفة مرة | ٢ | ٦٠ | ٦٠ | ١٠ | ١٢ | ٦٠ | ٢٠ | ٢ | ٦٠ | ٨٠٠ | ١٢ | ١٦٠ | ١٠ | ٢٠٠ |
| العودة للحروف | ب | س | س | ي | يب | س | ك | ب | س | ض | يب | قس | ك | ر |
| المضاعفة مرتين | ٤ | ١٢٠ | ١٢٠ | ٢٠ | ٢٤ | ١٢٠ | ٤٠ | ٤ | ١٢٠ | ١٦٠٠ | ٢٤ | ٣٢٠ | ٤٠ | ٤٠٠ |
| العودة للحروف | د | قك | قك | ك | كد | قك | م | د | قك | غخ | كد | شك | م | ت |



(١) المصدر سابق، نفس الصفحة. مصدر آخر، صبح الأعشى، القلقشندي، ج٩، ص٢٣٢-٢٣٣.

(٢) ابن دنينير، مقاصد الفصول: علم التعمية، ج٢، مراياتي وآخرون، مصدر سابق، ص١٨٢.

وقد توسَّع العرب في استخدام الأحرف عِوضًا عن الأرقام في مواضع مُتعدِّدة، منها استخدام الحروف في ضبط تواريخ الأحداث المهمة، ومن طريف ذلك ما روي عن أحدهم حينما سُئِلَ عن تاريخ وفاة السلطان برقوق فقال: "في المشمش"، ومعنى ذلك من خلال حساب الجمل أنه توفي سنة٨٠١هـ، لأن ف = ٨٠، ي = ١٠، أ = ١، ل = ٣٠، م = ٤٠، ش = ٣٠٠[١]، م = ٤٠، ش = ٣٠٠[٢]، فمجموعها يساوي =٨٠١، وهي تاريخ وفاة السلطان برقوق[٣].

## ز- التعمية بوضع الحروف على أسماء الأجناس:

تعتمد هذه الطريقة على تبديل الحروف بكلمات من أسماء الطيب والفواكه والطيور والأزهار، ووضع أشكال أخرى غير أشكال الحروف المتعارفة يصطلح عليها المتخاطبون لتأدية ما في ضمائرهم بالكتابة[٤].



يكون وضع أسماء الأجناس إما على ترتيب (أبجد) أو ترتيب (أ، ب، ت، ث)، ومثال الترتيب على أبجد: (إربِل بُرُّها يُحملُ من الجزيرة على الدّوابِّ).

---

(١) في المرجع ش = ٣٠، والصواب ٣٠٠، البلوي، تاريخ أمن المعلومات، مرجع سابق، ص١١٤.

(٢) في المرجع ش = ٤٠٠، والصواب ٣٠٠، المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) الكردي، تاريخ الخط، مرجع سابق، ص١٦٧. مرجع آخر، البلوي، تاريخ أمن المعلومات، ص١١٤.

(٤) ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، عناية: أبو صهيب الكرمي، عمّان، بيت الأفكار الدولية، (ب. ت)، ص٢٤١.

ومثال الترتيب على أ، ب، ت، ث: (إرِبِل بُرُّها يُحملُ من تِبريزَ على الثّيرانِ).

ومنهم من يصطلح بتبديل أوَّل الكلمة أو ثانيها أو وسطها أو آخرها، إن شاءَ في كُلّ الكلمات، وإن شاء في الكلمات المقصودة من الأجناس. ومثال ذلك: (رأيتُ بحلبَ أسدًا حطومًا فصدمَه ظهرُ مِجَنّي المرصّع وسطَ هالتِه بدُرّةٍ تَبهَرُ). فمن أسماء الأجناس هو (موسى)، ومن أوائلها (حامد)، ومن أوَّل الكلمات (ربِّ احفظ ما وهبتَ)[١].

**ح- التعمية بوضع أشكال مخترعة للحروف:**

أن تُرسم الحروف بأشكال، ويُخترع لها قلم، مقطعةً على ترتيب حروف المعجم، وطريقة ذلك أن يُثبتُ حروف المعجم، ثم يرتب تحت كل واحد شكل لا يماثل الآخر، فكلما جاءه في اللفظ ذلك الحرف كتبه بحيثُ لا يقع له غلطٌ، ثم يفصل بين كل كلمتين، إما بخط أو بنقط أو ببياض أو دائرة أو غير ذلك[٢].

**ط- الترجمة الـمُعَمَّاة بالتركيب ضمن ألفاظ رسالة:**

يتم ذلك بتركيب النَّص المراد تعميته على رسالة، وذلك بإدراج حروفه ضمن حروف الرسالة، فيقابل كل لفظة فيها حرف واحد، إما الأوَّل أو الثَّاني أو الأخير،

(١) الدريهم، مفتاح الكنوز: علم التعمية، ج١، مراياتي وآخرون، مصدر سابق، ص٣٣٨.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، مج٩، مصدر سابق، ص٢٣٣. مصدر آخر، الدريهم، مفتاح الكنوز: علم التعمية، ج١، مصدر سابق، ص٣٣٩.

أو غير ذلك، مثل قول (محمد علي) تُصبح على النحو التالي:

م ح م د ع ل ي

سلّم صالح عليكم فردًّ رافع مثل علي

مشى حامد محاذيًا دار عامر لكي يراه[1].




(١) ابن دنينير، مقاصد الفصول: علم التعمية، ج٢، مراياتي وآخرون، مصدر سابق، ص١٨٨.

## المبحث الرَّابع

## الشَّفرة عن طريق الهدايا

تُعَدُّ الهدايا بين الناس من أبلغ طرق الود، وعن طريقها يُعبّر الناس عن المودة لبعضهم البعض، وكانت الهدايا بين الحكام والسلاطين من الأمور المتعارف عليها عند تبادل السفارات بين الدول منذ القدم، غير أن بعض الهدايا تكون ذات مغزى مختلف عما هو متعارف من إبداء المودة والمحبة إلى التهديد والوعيد وإرسال إشارة ترمز لأمر معين.

استخدمت الشَّفرة عن طريق الهدايا في بعض الأحيان عند تعذر المخاطبة والمحاورة المباشرة بين طرفين، من ذلك أن بعض الأعيان تعلق قلبه بجارية وبادلته المحبة، ولم يستطع التقرب منها، فأرسلت له مرة هدية عبارة عن: زر من ورد ونرجس مع قطعة من العنبر داخل منديل صغير. فاحتار ولم يعرف ما المقصود من هديتها، فأبصره بعض ندمائه على هذه الحال من الحيرة والتفكير بعد اطلاعه على الأشياء المرسلة له من الجارية، فقال:

أَهدَت لَكَ العنبر فِي وسطِهِ ... زِرٌّ مِن الوردِ خَفِيُّ اللّحام
فالوردُ وَالعَنبَرُ معناهُما ... زُر هكذا مُستتِرًا فِي الظَّلاَمِ[1]

---

(١) كمال، الأحاجي والألغاز، مرجع سابق، ص ٢٨٧.

يحتاج المتعامل بالشَّفرة عن طريق الهدايا إلى قوة ذكاء من الـمُهدي وإلى فطنة وحدس قوي للمُهدى إليه، وشهد العصر المملوكي بعض هذه الهدايا المشَّفرة، ومن ذلك:

أرسل الفونسو ملك الفرنج بطُليطُلة من بلاد الأندلُس برسالة إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون هدية فيها سيف طويل وثوب بُندقي وطارقة طويلة رقيقة تشبه النعش كأنه يقول: أقتلك بهذا السيف، وأكفنك في هذا الثوب، وأحملك على هذا النعش، وفي هذا ما لا يخفى من استفتاح باب الشر والتصريح المعروف بالكناية، وكان الجواب أن أرسل له الملك الناصر حبل أسود وحجر، أي إنه كلب يُرمى بهذا الحجر أو يُربط في هذا الحبل[(1)].

وفي أوائل فترة حكم السلطان الظاهر برقوق حضر البريد في الخامس والعشرين من محرم سنة٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م برسل تيمورلنك ومعهم هدية إلى أوَّل حدود المملكة، فكتب الظاهر بقتلهم، فلما كان سلخ الشهر، قدمت رسل النواب بهدية تيمورلنك، وهي: تسعة مماليك، وتسع جوارٍ، وغير ذلك من الفرو والصوف

(١) ابن فضل الله، شهاب الدين أحمد بن يحيى العمري (ت ٧٤٩هـ)، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٩٢. مصدر آخر، صبح الأعشى، القلقشندي، مج٩، ص٢٥٠. مرجع آخر، طنطاوي، حسام عويس، الكتابة بالأشياء في مصر خلال العصر المملوكي، مج ٤، مؤتمر الفن واللغة، كلية الفنون الجميلة -كلية الآداب -كلية الألسن، جامعة المنيا، ٢٠١٣م، ص ص١٤٦-١٤٧.

والمخمل، فعرضوا المماليك التسعة فإذا فيهم مملوك واحد والثمانية: ولد وزير بغداد، و ولد قاضيها، وابن محتسبها، وابن أميرها، وابن تاجر فيها، وابن واليها، وابن محتسبها، وابن شيخ من مشايخها، فلما تحقق السلطان أطلقهم إلى حال سبيلهم وأحسن إليهم، وربَّى ولد القاضي وألبسه بزي القضاة، وكذا ولد المحتسب[1].

وفي ربيع الأوَّل من سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٤م أرسل تيمور لنك بعد مقتل سفرائه هدية أخرى للسلطان الظاهر برقوق عبارة عن: سيف وتركاش[2]، يعني بذلك تهديد السلطان برقوق وإظهار قوة التتار الحربية وأدرك السلطان برقوق ما تعنيه هذه الهدية، ورد على تيمور برسالة قال فيها: وأما إرسالُك السيف والتركاش لنا فقد



(١) المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر العُبيدي (ت ٨٤٥هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج٥، بيروت، دار الكتب العربية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٣٤٥. مرجع آخر، ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، إنباء الغُمر بابناء العُمر، تحقيق: حسن حبشي، ج١، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص٤٧٣-٤٧٤. مرجع آخر، الصيرفي، علي بن داود (ت ٩٠٠هـ)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠م، ص ٣٧٣.

(٢) التركاش: لفظ فارسي بمعنى الكنانة أو الجعبة التي يوضع فيها النشاب، دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، مرجع سابق، ص٤٤. وقد كانت أدوات القتال في العصور الوسطى كالسيف والتركاش من الهدايا الشائعة وتحمل معاني الود والصداقة، على عكس هدية تيمور لنك للسلطان برقوق التي حملت معنى التهديد والوعيد نظرًا للظروف التي أحاطت بها، طنطاوي، الكتابة بالأشياء، مرجع سابق، ص١٤٧.

تعجبنا منه إلى الغاية، وأنكرناه إلى النهاية: لأنك لم تَزَل في كُتُبك كلهّا تستشهِد بتاريخ جنكيز خان[1] وأخبارِه وأحوالِه، وتقتدي به في أقوالِه وأفعالِه، وما سمِعنا في التواريخ ولا اتّفق قطُّ من جنكيز خان، ولا ممن تقدّمه وتأخره من ملوك مملكته في زمنٍ من الأزمان، أنَّه أهدى إلى خادم الحَرَمين الشريفين[2] سَيفًا ولا تِركاشًا، ما اختلَفَ في ذلك اثنان. فإرسالُهما منك إلينا هل هو من باب المحبة أو لا، وإن كان تخويفًا، فنحن ما نخافُ سَيفك وتِركاشِك بعناية الله العظيم[3].

في سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م بعث زعيم دولة الشاه البيضاء عثمان قرايلوك[4] هدية



(١) جنكيز خان بن بيسوكي بن بهادر بن تريان بن قبل خان بن تومنيه خان بن باي سنقر وينتهي نسبه إلى امرأه تسمى الآن قوا، كان اسمه القديم تموجين، فلما توطد أمره وعلا قدره سمّي جنكز خان، من قبيلة من التتر تسمّى قيات، استطاع توحيد القبائل التترية تحت حكمه، وضع قوانين سماها إلياسة، كتبها وأمر أن تجعل في خزانته يتوارثها أبنائه من بعده. ابن فضل الله العُمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٣، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م، ص٩٣-٩٦. مصدر آخر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣١٠-٣١١.

(٢) المراد بالحرمين مكة المكرمةوالمدينة المنورة، واللقب من الألقاب السلطانية، أطلقه السلاطين المسلمون على أنفسهم اعتبارًا من العهد الأيوبي. المصدر السابق، ج٦، ص٤٦.مرجع آخر، الخطيب، معجم المصطلحات، ص١٥٦.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، مصدر سابق، ص٣٠٩. مرجع آخر، طنطاوي، الكتابة بالأشياء، ص١٤٧.

(٤) عثمان بن قطلوبك بن طور غلى الفخر التركماني، أمير التركمان بديار بكر وصاحب آمد وماردين، عُرف =

إلى السلطان برسباي[1] من جملتها... قرص مرآة مكفتة بالذهب، ومن جملتها خروف بإليتين، وخلعة[2] للسلطان من المخمل الأحمر مرقومة بالذهب، وبعض أثواب من مخمل، وصقور برسم الصيد، غضب السلطان برسباي من هدية قرايلوك

=

بقرايلوك، ولاه الناصر فرج نيابة الرها، عُرف بالقوة والشجاعة، عندما تسلطن الأشرف برسباي وطالت أيامه تغير ما بينهما وجهز لقتاله غير مرة وأُخذت الرها منه وقُبض على ابنه هابيل وحبس بقلعة الجبل حتى مات، جرد له برسباي حملة قادها بنفسه سنة ٨٣٦هـ وحاصر آمد زيادة على شهر ثم رحل عنها بعد وقوع الصلح بينهما، استمر يحكم حتى قُتل سنة ٨٣٩هـ عندما رمى بنفسه داخل خندق فشدخ رأسه هربًا من أسكند حاكم تبريز الذي نبش قبره وقطع رأسه وأرسله إلى الأشرف برسباي، والذي قام بتعليقه على باب زويلة لثلاثة أيام، دام في الحكم زيادة عن خمسين سنة. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٥، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ص ص١٣٥-١٣٦.

(١) برسباي الدقماقي الظاهري، أبو النصر، السلطان الملك الأشرف (٧٦٦-٨٤١هـ) جركسي الأصل، كان من مماليك الأمير دقماق المحمدي وأهداه إلى الظاهر برقوق فأعتقه واستخدمه في الجيش، فتقدم إلى أن ولي نيابة طرابلس الشام في أيام المؤيد، عندما توفي الظاهر ططر وبويع ابنه الصالح محمد، تولى برسباي تدبير المُلك أسابيع ثم خَلَع الصالح ونادى بنفسه سلطانًا، وتلقب بالملك الأشرف سنة ٨٢٤هـ، غزا قبرس ـ قبرص ـ وفتحها وأسر ملكها سنة ٨٢٩هـ، أنشأ بمصر مدارس وعمارات نافعة، توفي بالقلعة في القاهرة بعد أن مرض، أوصى بالحكم من بعده لأبنه يوسف، المرجع السابق، ج٣، ص ص٨-٩، مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٤٨.

(٢) الخلعة لغة: هي مايخلعه الخليفة أو الأمير على أحد الناس من الثياب الفاخرة. الخطيب، معجم المصطلحات، مرجع سابق، ص١٦٥.

وفهم المقصود منها، إذ يرمز الخروف إلى السلطان، وأنه هو وأمراءه عنده مثل النعاج، والمرآه تعني أن السلطان وأمراءه كالنساء، في حين أن الخلعة تشير إلى أن السلطان برسباي تابع له، فأمر برسباي بإحضار أحد الهزليين[1] وألبسه الخلعة فرقص بها، ثم أمر السلطان بإحراقها وذبح الخروف في حضرة الرسل، وأمر بإلقاء الرسل في البحيرة، وقص أذناب خيولهم، وأمرهم بأن يسافروا وقال لهم: قولوا لأستاذكم يُلاقيني على الفرات، فكان ذلك إعلانًا للحرب[2].

إن الهدايا التي صحبت السفارات السابقة كانت بمثابة رسائل كتابية عن طريق هدايا مادية تُعبّر بالوحي والإشارة عن أفكار ومعانٍ في نفس مُرسلها، فالهدايا القليلة تشير إلى معانٍ كثيرة بالإيحاء إليها، وبدلًا من المعتاد أن تكون الهدايا رمزًا للمحبة والصداقة والصلح، أصبحت هنا تحمل معاني الاستهزاء والتهديد والتهكم، ولكن بأسلوب غير مباشر عن طريق الكناية بالشيء فيُعرض به ولا يُصرّح[3].



(١) الهزلي أو البهلول: رجل يقوم ببعض الألعاب لإضحاك الناس. المرجع السابق، ص٩٠.

(٢) عاشور، مصر والشام، مرجع سابق، ص٣٦٠. مرجع آخر، طنطاوي، الكتابة بالأشياء، ص ص١٤٧-١٤٨، مرجع آخر، سليم، محمود رزق، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، مج٢، ط٢، القاهرة، دار الحمامي للطباعة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، ص ص٢٣٩-٢٤٠.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

# الفصل الثَّالث

## أدوات الكتابة السِّرِّيَّة

- **المبحث الأوَّل**: أنواع الوَرَق.
- **المبحث الثَّاني**: أنواع الأقلام.
- **المبحث الثَّالث**: الأحبار السِّرِّيَّة.

## المبحث الأوَّل

## أنواع الورق

الوَرَق (بفتح الراء) اسم جنس يقع على القليل والكثير، واحده ورقة، وجمعه أوراق، وجمع الوَرَقة وَرَقات. وبه سمي الرجل الذي يكتب ورَّاقًا. جاء ذكره في القرآن باسم قِرطاس وصحيفة فقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[1]. ويسمى أيضًا الكاغَدَ (بغين ودال مهملة)، ويقال للصحيفة أيضًا طِرْس، ويجمع على طُروس[2].

استخدم العرب في جاهليتهم والمسلمون في صدر الإسلام مواد مُتعدِّدة للكتابة قبل معرفتهم للوَرَق، مثل: أكتاف الإبل، واللخاف المصنوعة من الحجارة البيضاء الرقيقة، والألواح الخشبية، وعسب النخل، والرقوق المصنوعة من الجلود، وأوراق البردي المسماة القراطيس المتوافرة في مصر، والمهارق المصنوعة من الحرير[3].

---

(١) سورة الأنعام، آية ٧.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، مصدر سابق، ص ٤٧٦. مصدر آخر، الصائغ،عبد الرحمن (ت ٨٤٥هـ)، رسالة في الخط وبري القلم، تحقيق: فاروق سعد، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٧م، ص ص٢٤٦-٢٤٧.

(٣) عليان، ربحي مصطفى، صناعة الورق في الحضارة الإسلامية: دراسة تاريخية، مجلة الأمن والحياة (أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية)، المملكة العربية السعودية، ع٢٤٩، مج٢٢، صفر ١٤٢٤هـ/ مايو٢٠٠٣م، ص ص٣٠-٣٣، ص ص٣٠-٣١.

عُرفت صناعة الورق قديمًا في بلاد الصين، وبدأ صنع الورق في العالم الإسلامي في سمرقند[1]، نتيجة معركة إطلاخ[2]. فقد وقع في الأسر عدد من الصينيين الذين كانوا يعرفون صناعة الورق وعلَّموه المسلمين الذين تنبهوا لأهمية هذه المادة وطوروها، وهكذا أُسس أوَّل مصنع للورق في العالم الإسلامي في سمرقند سنة ١٣٣هـ، ثم انتقلت صناعته إلى بغداد، ومنها انتشرت في سائر البلاد الإسلاميَّة[3].

أشار النويري في "نهاية الأرب" إلى سمرقند وخصائص ورقها قائلًا: "ومن خصائصها: الكَوَاغدُ التي عطَّلَتْ قراطيس مصر، والجلود التي كان الأوائل يكتُبُون عليها، لأنها أحسن وأنعمُ وأرفَقُ وأرقُ. ولا تكون إلا بها وبالصين"[4].

---

(١) سمرقند: يُقال لها بالعربية سُمران، بلد مشهورة، مبنية على جنوبي وادي الصغد، مرتفعة عليه، قل إنها من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، الحموي، معجم البلدان، مج٣، مصدر سابق، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٢) معركة حدثت بين جيش المسلمين وجيش الفرغانيين أحلاف الصينيين سنة ١٣٣هـ، انتصر فيها المسلمون وأسروا بعض الصينيين العارفين بصناعة الوَرَق. قدورة، وحيد بن الطاهر، تاريخ الطباعة العربية في إستنبول وبلاد الشام، ط٢، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، حاشية ص١١١.

(٣) سعيد، خير الله، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، مج٢، بيروت، الانتشار العربي، ٢٠١١م، ص ص٢٤-٢٥. مرجع آخر، عواد، كوركيس، الورق أو الكاغد صناعته في العصور الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العربي، سوريا، مج٢٣، ج٣، ١٩٤٨م، ص ص٤٠٩-٤٣٨، ص ص٤١٧-٤١٨. مرجع آخر، حمادة، محمد ماهر، المواد التي استعملها المسلمون في الكتابة، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود، ع٩، ١٩٧٩م، ص ص٥٧٧-٥٩٣، ص ص٥٨٦-٥٨٧.

(٤) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١، تحقيق: مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص٣٤٠.

حينما عرف المسلمون صناعة الورق، رأوا منه مادة خفيفة لينة، سهلة الحمل والنقل، لا تتطلب حيزًا كبيرًا، كما الجلود والرقوق، أكثروا من استخدامه، وبدأت أعداد الكتب تتضاعف نتيجة الكتابة على الوَرَق[١].

بدأت صناعة الوَرَق في بغداد في نهاية القرن الثَّاني الهجري، وحلَّ الوَرَق محل الرقّ في دواوين الدولة، وذلك لأن الوَرَق قد كثر في زمن هارون الرشيد، فأمر ألا يُكتب إلا في الكاغد تجنبًا لحالات الغش والمحو والإعادة والتزوير التي تحدث في الرقوق، لأن الوَرَق لا يقبل ذلك، وتميز الوَرَق البغدادي بالجودة، وشاع استخدامه في شتى الأقطار الإسلاميَّة[٢]، وتحدث عنه القلقشندي قائلًا:

"وأحسن أنواع الوَرَق ما كان ناصع البياض صَقيلًا، متناسب الأطراف، صبورًا على مُرُور الزمان. وأعلى أجناس الوَرَق فيما رأيناه البَغْدَادي: وهو وَرَق ثخين مع ليونة ورِقَّةِ حاشية وتناسب أجزاء، وقطعه وافر جدًّا، ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة. وربما استعمله كُتَّاب الإنشاء في مكاتَبَات القانات"[٣]، ودونه في الرتبة الشامي، وهو على نوعين: نوع يُعرف بالَحَمويّ، وهو دون القطع البغدادي. ودونه في القدر وهو المعروف بالشاميّ، وقطعه دون القطع الحمويّ، ثم الوَرَق

(١) عواد، الورق أو الكاغد، مرجع سابق، ص٤١٧.

(٢) سعيد، موسوعة الوراقة، مج٢، مرجع سابق، ص ص٢٧-٢٨.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، مصدر سابق، ص٤٧٦.

المصري، وهو أيضًا على قطعين: القطع المنصوريّ، وقطع العادة، والمنصوريّ أكبر قطعًا[1].

وخضعت مقاييس الوَرَق، وحجوم قطعه، إلى حاجاته في الاستخدام بين دوائر الدولة وفق قياسات مُعيَّنة، وهي: الثلثان، والنصف، والثلث، والربع، والسدس، ويُعبر عن الفرخة منه بالطُّومار، وهو: الورقة الملفوفة الكاملة، وغالبًا ما تعني: لفافة وَرَق البردي أو الكاغد، واستخرجت هذه المقادير من القطع البغدادي أساسًا في التقسيم والقطع والمفاضلة، لأنه يحتمل هذه المقادير، بخلاف الشامي[2].

يذكر القلقشندي في "صبح الأعشى" مقادير الوَرَق المستخدمة بديوان الإنشاء بالديار المصرية على النحو الآتي[3]:

المقدار الأوَّل: قَطع البغدادي الكامل. وعَرضُ دَرْجه[4]، عرضُ البغدادي

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة. كذلك، الصائغ، رسالة في الخط، مصدر سابق، ص٢٤٧.

(٢) القلقشندي، أحمد بن علي، ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر، تصحيح: محمود سلامة، القاهرة، مطبعة الواعظ، ١٩٠٦م، ص٤١٣. مرجع آخر، سعيد ، موسوعة الوراقة، مج٢، ص٣٧، مرجع آخر، السامرائي،قاسم، علم الاكتناه العربي الإسلامي، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٢٧٨.

(٣) لفظ تركي- فارسي، أصله قآن أو قاغان، ويلفظ قاقان، وهو عند المغول وأهل الصين: ملك الملوك. الخطيب، معجم المصطلحات، مرجع سابق، ص١٥٧.

(٤) أي عرض الصحيفة منه، السامرائي، علم الاكتناه،مرجع سابق، ص٢٧٨.

بكماله، وهو: ذراع واحد بذراع القُماش المصريّ[1]، وطولُ كلّ وصل من الدَّرج المذكور ذراع ونصف. وفيه تُكْتب عهودُ الخلفاء وبيعاتهم، والمكاتبات إلى الطبقة العُلْيا من الملوك، كأكابر القاناتِ من ملوك الشَّرق.

المقدار الثَّاني: قَطع البغدادي الناقص. وعَرْض دَرْجه دون عَرْض البغدادي الكاملِ بأربع أصابع مطبوقة. وفيه يُكْتب للطبقة الثَّانية من الملوك.

المقدار الثَّالث: قَطْع الثلثين من الورق المِصريّ. والمراد به ثُلُثا الطُّومار من كامل المنصوريّ، وعرض دُرْجه ثُلُثَا ذراع بذراع القُماش المِصريّ أيضًا. وفيه تُكْتَب مناشِيرُ الأمراء المقَدمين، وتقاليدُ النُّواب الكِبَار والوزراء وأكابر القُضاة ومن في معناهم.

المقدار الرَّابع: قَطْع النصِف. والمراد به قَطْع النصف من الطُّومار المنصوريّ، وعَرْضُ دَرْجه نصفُ ذراع. وفيه تُكْتَب مناشيرُ الأمراء الطَّبْلَخاناه[2]، ومراسيمُ الطبقة الثَّانية من النُّوّاب، والمكاتباتُ إلى الطبقة الثَّانية من الملوك.

---

(١) ذراع الحديد المستعمل في القماش بمصر في القرن التاسع للهجرة يساوي ذراعًا إلا ثمن ذراع، وهو شبران تقريبًا أو قدمان، وهو أربع وعشرين إصبعًا مطبوقة، ولهذا يساوي الذراع الشرعي: ٢٠،٤٦سم، المرجع السابق، ص٢٧٨.

(٢) هم الأمراء الذين يصح أن تضرب الطبول على أبوابهم، ويكون في خدمة الأمير منهم ٤٠-٧٠ مملوكًا. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، مرجع سابق، ص٢٢.

المقدار الخامس: قَطْع الثُلث. والمراد به ثلثُ القَطْع المنصوريّ، وعرضُ دَرْجه ثُلُـثُ ذراع. وفيـه تُكتَـب مناشـير أمـراء العـشرات[1]، ومراسـيمُ صـغار النُّـواب، والمكاتباتُ إلى الطبقة الرَّابعة من الملوك.

المقدار السادس: القَطْع المعروف بالمنصوريّ. وعَرْضه تقـديرُ رُبُـع ذراع. وفيـه تُكتَب مناشيرُ الممالك السلطانية ومقدَّمِي الحَلْقة[2]، ومناشيرُ عـشرات التُّرْكُمَـان[3]، ببعض المماليك الشامية، وبعض التواقيع وما في معنى ذلك.

المقـدار الـسابع: القَطْـع الـصغير، ويقـال فيـه قَطْـع العـادة. وعَـرض دَرْجـة تقـدير سُدُس ذراع. وفيه تُكْتَب عامةُ المكاتبات لأهل المملكة وحُكَّامهـا، وبعـض التواقيـع والمراسِيم الصغار، والمكاتبات إلى حُكَّام البلاد بالمماليك.

المقدار الثامن: قطعُ الشاميّ الكاملُ. وعرضُ دَرجـه عـرضُ الطُّومـار الـشامي في طُوله، وهو قليل الاستعمال بالديوان، إلا أنه ربما كُتِب فيه بعضُ المكاتبات.

المقـدار التاسـع: القَطْـع الـصغير. وهـو في عَـرْض ثلاثـةِ أصـابع مطبوقـةً مـن الـوَرَق

(١) رتبة عسكرية في الجيش المملوكي ونصيب كل أمير منهم في الحرب إمرة عشرة فرسان، ومن هذه الطبقة يُعين صغار الولاة، المرجع السابق، ص٢٢.

(٢) هم الجنود المرتزقة من غير مماليك السلطان، ولكل أربعين جنديًا يُقدم عليهم واحد منهم، ليس لـه حكم إلا إذا خرجوا إلى الحرب أو السفر فحينئذٍ يقودهم مُقدَّمُهم، المرجع السابق، ص١٢.

(٣) يكون في البلاد الشامية والحلبية متحدثًا عن طوائف التركمان الذين يُقدّم عليهم، المرجع السابق، ص١٤٢.

المعروف بورق الطَّير، وهو صِنف من الورق الشاميّ رقيق للغاية. وفيه تُكتَب ملطَّفات الكُتُب وبطائق الحمامِ[١]، ويُعبر عنه بأوراق الطَّريق أو أوراق الجَوَاز[٢].

ويذكر القلقشندي أربعة مقادير للوَرَق استخدمت بديوان الإنشاء بالممالك الشامية على النحو الآتي:

المقدار الأوَّل: قطعُ الشاميّ الكاملُ. وهو الذي يكن عَرْضه عُرْض الطُّومار الشاميّ الكاملِ في طوله. وفيه يُكْتَب عن النوَّاب لأعلى الطبقات من أرباب التَّوَاقيع والمراسيم ليس إلاَّ.

المقدار الثَّاني: قَطْع نصف الحَمَويّ. وعَرْض دَرْجة عرضُ نِصف الطُّومار الحَمَويّ، وطوله بطول الطُّومار. وفيه يُكْتَب للطبقة الثَّانية من أرباب التواقيع والمَرَاسيم الصادرةِ عن النواب.

المقدار الثَّالث: قَطْع العادةِ من الشاميّ. وعَرْض دَرْجه سُدُس ذراع بذراع القماش المِصريّ في طول الطُّومار أو دُونَه. وفيه يُكْتَب للطبقة الثَّالثة من أرباب التواقيع والمراسيم الصادرة عن النُّواب وعامَّة المكاتبات الصادرةِ عن النُّوّاب إلى السلطان فَمنْ دُونَه من أهل المملكة وغيرهم.

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، مصدر سابق، ص ص١٩٠-١٩٢.

(٢) المصدر السابق، ج٧، ص٢٣١.

المقدار الرَّابع: قَطْع ورق الطير المقدَّم ذكره في الديار المصرية. وفيه تُكتب المَلَطَّفات وبطائق الحمامِ[(١)].

وأكثر ما استخدم من الوَرَق للمكاتبات السِّرِّيَّة بطائق الحمام لسرعتها في إيصال الرسائل وخفائها عن عيون العدو، غير أن الرسائل السِّرِّيَّة لم تقتصر على بطائق الحمام، وإنما كُتبت على أنواع أخرى من الوَرَق ونُقلت بطرق سرية مختلفة، سيأتي ذكرها في الفصل الرَّابع.

تشكَّل الوَرَق من مواد مختلفة تنوعت بمرور الزمن، بدأت بالحرير، وتلتها مواد أخرى كقشور النباتات، والقطن، والكتان[(٢)]، والقِنَّب، وشِباك الصيد والخرق البالية[(٣)]، وأدّى اختلاف المواد الأوَّلية للوَرَق إلى ظهور أنواع متنوعة منه، تختلف في سمكها وصقلها ولونها ولينها[(٤)].

وتمر صناعة الوَرَق بعدَّة مراحل حتى يكون مهيَّأً للكتابة عليه، وهي:

---

(١) المصدر السابق، ج٦، ص ص١٩٢-١٩٣.

(٢) الكتان: هو نبات دقيق الأوراق والساق، أزرق الزهر. الأنطاكي، داود بن عمر (ت ١٠٠٨هـ)، نزهة الأذهان في إصلاح الأبدان، تحقيق: محمد ياسر زكور، دمشق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٠٧م، ص٣١٥.

(٣) الطوبي، مصطفى، المخطوط العربي الإسلامي بين الصناعة المادية وعلم المخطوطات، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، الإصدار ٧٩، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص ص١١-٦٠، ص ص٣١-٣٢.

(٤) عواد، الورق أو الكاغد، مرجع سابق، ص٤٢١.

المرحلة الأوَّلى: صقل الورق وسقيه حتى لا ينتشر المداد في مسامه، ويتم ذلك بمسح سطح الورقة بمحلول زلال البيض أو محلول النشا[١] مع الصمغ[٢] القليل، أو الإسفيداج[٣]، أو الغراء، وذلك باستخدام فرشة عريضة ثم تترك الورقة حتى تجف، ثم تفرد على لوح من الخشب أو الرخام، ثم تدعك بالمحَّار أو أي قطعة صقيلة محدَّبة من الرخام أو البرونز أو الحديد أو الزجاج لإكساب الوَرَقة نوعًا من النعومة واللمعان، وبالتالي سد مسامها[٤].

ويكون الصقل بطيئًا لكي لا تحمى الورقة بالصقل وتجف فيسهل كسرها ولا تصلح للكتابة، وإذا أراد الكاتب أن تكون الوَرَقة أكثر قوة ولمعانًا فإنه بقوم بتشميع الوَرَقة بعد صقلها، وذلك بأن يُدحرج الشمعة على الورقة عدَّة مرَّات، قبل البدء بالتسطير[٥].



المرحلة الثَّانية: تسطير الوَرَقة ويتم ذلك بأخذ ورقة سميكة غير الورقة المراد

---

(١)النشا هو: ما يُستخرج من الحنطة إذا نقّعت حتى تلين وتخالط الماء وصُفّيت وجففت. الأنطاكي، نزهة الأذهان، مصدر سابق ص٤٢٧.

(٢) الصمغ العربي: هو صمغ شجرة القرظ. المصدر السابق، ص٤٠٨.

(٣) الإسفيداج: هو رماد الرصاص، ومعناه الماء الأبيض أو الغراء، السامرائي، علم الاكتناه، مرجع سابق، ص٢٦٥.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) سهيلة الجبوري، المواد المستعملة في كتابة الكتب بالخط العربي في العصر العباسي، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، ع٤، ١٩٦١م، ص ص٤٦٥-٤٧٠، ص ص٤٦٩-٤٧٠.

تسطيرها، وتقسم الوَرَقة إلى أقسام متساوية ومتوازية ثم تُحزم تلك الخطوط لمتوازية بخيوط تأخذ شكلًا متوازيًا من وجه الورقة المسطرة. أما الوجه الثَّاني فتكون الخيوط غير متوازية. ثم توضع الورقة المراد تسطيرها على وجه الورقة ذات الخيوط المتوازية ويبدأ بالضغط على سطح الوَرَقة بمسطرة عاجية فتنطبع تقسيمات الخيوط على الوَرَقة المراد تسطيرها[١].

لم يقتصر المسلمون على صناعة الوَرَق بل تفننوا في طرق تلوينه، وذلك بإضافة مواد إلى عجينة الكاغد، أو بطلاء الوَرَقة البيضاء بمحلول ملون[٢]، أو بمسح الوَرَقة بماء الحنة الصافي ليكون لونها مائلًا للحمرة، أو مسحها بصفار البيض المخلوط بالبودرة البيضاء والماء مع قليل من الصمغ العربي ليصبح لونها أصفر[٣]، وشاع استعمال الأوراق المطلية بالألوان في مصر والشام في القرن الثامن للهجرة، واستمر صنعه حتى أواخر العصر المملوكي[٤]، ولبعض ألوان الوَرَق دلالات متنوعة، فاستُعمل اللون الأسود دلالة على الهزيمة[٥]، واللون الأحمر دلالة على الاعتذار

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) السامرائي، علم الاكتناه، مرجع سابق، ص٢٦٦.

(٣) الجبوري، المواد المستعملة في كتابة الكتب، مرجع سابق، ص٤٧٠.

(٤) السامرائي، علم الاكتناه، مرجع سابق، ص٢٦٦.

(٥) الدواداري، ابن أيبك (ت ٧٣٢هـ)، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة، المعهد الألماني للآثار، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ص٢٤٥.

والخجل[١]، وكان نادرًا ومرتفع السعر، لذلك اعتبرت الكتابة عليه امتيازًا لا يناله إلا الاغنياء وكبار موظفي الدولة، واستخدم اللون الأزرق لرسائل التعزية وأوامر الإعدام، واستخدم الحكام في مراسلاتهم اللون البنفسج الفاتح دلالة على الولاء[٢].

وانتقلت صناعة الوَرَق إلى أوروبا عن طريق المسلمين، عبر الأندلس وصقلية وقبرص عن طريق الاتصال التجاري، وعبر بلاد الشام زمن الحروب الصليبية[٣]، ويعتبر المصنع الذي تم إنشاؤه في مدينة فابريانو جنوبي إيطاليا سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م أوَّل مصنع للورق في أوروبا، ومن ثمَّ انتشرت مصانع الوَرَق في أنحاء أوروبا[٤].




(١) الصفدي، أعيان العصر، ج٥، مصدر سابق، ص٤٣٦.

(٢) حمادة، المواد التي استعملها المسلمون، مرجع سابق، ص٥٨٨.

(٣) عليان، صناعة الورق، مرجع سابق، ص٣٣.

(٤) حمادة، المواد التي استعملها المسلمون، مرجع سابق، ص٥٨٨.

# المبحث الثَّاني

## أنواع الأقلام

القلم أشرف آلات الكتابة وأعلاها رتبة، إذ هو المباشر للكتابة، قال الله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[1]. فأقسم الله بالقلم، وذلك غاية الشرف[2]، وشرَّف الله القلم عندما أضاف التعلم بالقلم إلى نفسه، إذ يقول الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾[3].

وتعدَّدت مُسمَّيات القلم، فمنها: المذبر أو المزبر[4] الذي يزبر به، أي يكتب به، وقيل اليراع[5]، والمرقم[6]، وأكثر التسميات شيوعًا القلم[7].



(١) سورة القلم، آية ١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، مصدر سابق، ص٤٣٥.

(٣) سورة العلق، آية ٣-٤. العبيدي، صلاح حسين، الدواة والقلم في الآثار العربية الإسلامية في العصر العباسي، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، العراق، ع٢٨، ١٩٨٠م، ص ص٦٣٧-٦٥٨، ص٦٥٢.

(٤) فرَّق بعض اللغويين بين ذبرت وزبرت، فقيل زبرت بالزاي أي كتبت، وذبرت بالذال أي قرأت. عثمان، محمد عبد الستار، دور المسلمين في صناعة الأقلام، مجلة الدارة، المملكة العربية السعودية، ع١، مج١١، ١٩٨٥م، ص ص٣١-٥٢، الحاشية ص٤٦.

(٥) اليراع: القصب، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص٧٧٧.

(٦) سمي القلم بالمرقم لأنه أداة الرقم، أي الكتابة بخط جيد، عثمان، دور المسلمين في صناعة الأقلام، مرجع سابق، حاشية ص٤٧.

(٧) المرجع السابق، ص٣١.

وسُمِّي القلم قلمًا إما لاستقامته أو لأنه قُلّم أي قُطع منه، ومنه قلامة الظفر للذي يقطع منه، وقيل مأخوذ من القلَّام: وهو شجر رخو، وقيل: لا يُسمّى قَلَما حتى يُبْرى، وإلا فهو قصبة[1].

وقد نال القلم اهتمام الأمم منذ أن عرفت الكتابة، واختلفت أشكاله[2]، والمواد التي صنع منها باختلاف المواد التي يُكتب عليها، فالأقلام المصنوعة من القصب تظهر قواعد الكتابة، وهي سهلة الاستعمال، ومتانة القصب تسمح بكتابة رفيعة الخط، وتختلف جودة القصب باختلاف بيئته وتربته، والتي له تنسب بمُسمَّياتها المختلفة كالأقلام الصخرية والبحرية والمصرية والفارسية والنبطية، وغيرها، ولكل نوع ما يميزه عن غيره، ففضل الكتاب بعض الأقلام على الآخر[3].

وللكتَّاب أقلام متنوعة تختلف باختلاف المادة التي يكتبون عليها، فإذا كانت المادة رخوة لينة يختارون لها قلمًا لين الأنبوب كثير الشحم وفي قشره صلابة، وإن كانت المادة صلبة فيختارون لها قلمًا صلب الأنبوب، قليل الشحم، فالمادة الرخوة

(١) الزفتاوي، محمد بن أحمد (ت ٨١٦هـ)، منهاج الإصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة: موسوعة تراث الخط العربي، تحقيق: هلال ناجي، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ٢٠٠٢م، ص ص٢٢٤-٢٢٥، مصدر آخر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٤٠، مرجع آخر، الجبوري، المواد المستعملة في كتابة الكتب، ص٤٦٥.

(٢) انظر الشكل (٣).

(٣) عثمان، دور المسلمين في صناعة الأقلام، مرجع سابق، ص٣٢-٣٣.

تحتاج إلى مداد أكثر من الصلبة[١].

وخير الأقلام ما استحكم نُضْجه في جرمه، ونَشِف ماؤه في قشره، وقُطِع بعد إلقاء بذره، وبعد أن اصفرَّ لِحاؤه ورَقَّ شجره، وصلب شحمُه، وثقُل حجمه، وكان طولُه ما بين ست عشرة إصبعًا إلى اثنتي عشرة، وامتلاؤه ما بين غِلَظِ السَّبَّابة إلى الخنصر[٢].

وتختلف الأقلام الجيدة باختلاف بريها[٣] على أجناس الخطوط، فأحسنها وأجمعها لخصال الجودة أن يكون ذا صلابة واستقامة، متوسطًا بين الطول والقصر، والرقة والغلظ، والتحريف والاستواء، وأن يختار من السكاكين[٤] ما رقَّت حديدته، وأن يكون حدُّه قاطعًا صلبًا ثخينًا[٥].



(١) الزفتاوي، منهاج الإصابة: موسوعة تراث الخط، مصدر سابق، ص٢٢٩. مرجع آخر، العبيدي، الدواة والقلم، ص٦٥٦.

(٢) ابن مقلة، محمد بن علي (ت ٣٢٨هـ)، رسالة ابن مقلة في الخط والقلم: موسوعة تراث الخط العربي، مصدر سابق، ص١٢٦، مصدر آخر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٤٤.

(٣) يُقال: بَرَيْتُ القلم أبْريه بَرْيًا وبِرايةً، وهو قلم مَبْريًّ، وأنا بارٍ للقلم، ويقال أيضًا: بَرَوْت القلم والعُودَ بَرْوًا. الزفتاوي، منهاج الإصابة: موسوعة تراث الخط، مصدر سابق، ص٢٤٥.

(٤) انظر الشكل (٤).

(٥) الصنهاجي، المعز بن باديس (ت ٤٥٤هـ)، عُمدةُ الكُتاب وعُدةُ ذوي الألباب، تحقيق: عبد الستار الحلوجي وعلي عبد المحسن زكي، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، الإصدار ٧٩، ١٤٣٥هـ/ =

وبري القلم ينقسم لأربعة أقسام:

١-الفتح: أن ينزل على القلم بالسكين بشكل مُستوٍ، ثم يميل القطع إلى ما يلي رأس القلم، ويكون طول الفتحة بمقدار عقدة الإبهام[١].

٢-الشق: يُشَقُّ القلم بحسب نوعه، فإن كان صلبًا شُقَّ أكثر الجلفة[٢]، وإن كان رخوًا يكون الشق بمقدار ثُلُث الجلفة، وإن كان القلم معتدلًا بين الصلابة والرخاوة فيكون الشق متوسطًا[٣].

٣-القطّ: قططتُ القلم أَقُطّه قطًّا فأنا قاطّ وقَطَّيْتُ إذا قطعت سنّه، وقيل أصل القطّ القطع، وأجود أنواع القطّ المحرَّف، ويكون بتحريف السكين في حال القطّ على سطح أملس صلب غير مثلم خشن لئلا يتشظّى القلم[٤].

٤-النحت: والنحت نحتان: نحت باطن القلم باستئصال شحمة القلم بحسب



=

٢٠١٤م، ص ص٦٤٥-٧٨٠، ص٦٧٠. مصدر سابق، الهيتي، عبد الله بن علي (ت ٨٩١هـ)، العمدة رسالة في الخط والقلم: موسوعة تراث الخط العربي، ص٤١٥.

(١) الزفتاوي، منهاج الإصابة: موسوعة تراث الخط، مصدر سابق، ص٢٤٦.

(٢) الجلفة من القلم: هي ما بين مبراه إلى سنة. ابن رسول، المظفر يوسف بن عمر بن علي (ت ٦٩٤هـ)، المخترع في فنون من الصنع، تحقيق: محمد عيسى صالحية، الكويت، مؤسسة الشراع العربي، ١٩٨٩م، حاشية ص١٠٠.

(٣) ابن الصائغ، رسالة في الخط، مصدر سابق، ص١٠٦.

(٤) الزفتاوي، منهاج الإصابة: موسوعة تراث الخط، مصدر سابق، ص ص٢٤٩-٢٥٠.

الصلابة والرخاوة، ونحت جوانبه بأن يكونا محددين بحيث يظهر فيه التسنيم وتصير الجلفة مسنمة[1].

وتتنوع الأقلام بحسب مقادير الورق المستخدم للكتابة، وتختلف رءُوس الأقلام باختلاف الأقلام التي جرى الاصطلاح عليها بين الكُتَّاب[2]، ويستخدم شَعْر الفرس في تقدير مساحة رأس القلم عند البري، وقد أورد القلقشندي في "صبح الأعشى" مجموعة من الأقلام المستخدمة في ديوان الإنشاء تختلف باختلاف نوع الوَرَق، ومنها:

القلم الأوَّل: قلم الطُّومار، والمراد به الطُّومار الكاملُ من مقادير قَطْع الوَرَق، فأضيف هذا القلم إليه لمناسبة الكتابة فيه، وهو أجلُّ الأقلام مساحة، عرضه أربع وعشرون شَعْرة من شَعْر البِرْذَوْن[3]، وبه كانت الخلفاءُ تكتُب علاماتِهم في الزمن المتقدّم في أيام بني أُمَيَّة ومنْ بعدهم[4].

القلم الثَّاني: قلم مختصر الطُّومار، وهو الذي يُكتب به في قَطْعِ البغداديّ الكامل،

---

(١) الهيتي، العمدة: موسوعة تراث الخط، مصدر سابق، ص٤١٦.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، مصدر سابق، ص٤٥٤.

(٣) البِرْذَوْن: الفرس، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص١١٨٠.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، مصدر سابق، ص٥٣. مصدر آخر، البغدادي، شعبان بن محمد الآثاري القرشي الموصلي (ت ٨٢٨هـ)، العناية الربانية في الطريقة الشعبانية: موسوعة تراث الخط العربي، مصدر سابق، ص٢٩٥.

ومقداره ما بين عرض ست عشرة شعرةً من شعر البِرْذَوْن وبين أربع وعشرين شعرةً[(١)].

القلم الثَّالث: قلم الثُلث الثقيل، وهو الذي يُكتب به في قَطْعِ الثُلثين، وتُقدَّر مساحته بثماني شعرات من شعر البِرْذَوْن[(٢)].

القلم الرَّابع: قلم الثُلث الخفيف، وهو الذي يُكتب به في قَطْعِ النصف، وتُقدَّر مساحته بمساحة الثُلث الثقيل، غير أنه أدق منه قليلًا بنزر يسير[(٣)].

القلم الخامس: قلم التوقيع، وهو الذي يُكتب به في قَطْعِ الثُلث، ويُسمى القلم الرياسيّ نسبة للرياسة لاختصاصه بالكتب السلطانية[(٤)].

القلم السادس: قلم الرِّقَاع، وهو الذي يُكتب به في الرِّقَاع جمع رُقْعَةٍ، وهي الورَقَة الصغيرة التي تُكتب فيها المكاتبات اللطيفة والقِصَص وما في معناها، وهو الذي يُكتب به في قَطْعِ العادة من المنصوريّ والقطع الصغير[(٥)].

القلم السابع: قلم الغُبَارِ، أو غُبار الحِلْية، وهو قلم دقيق جدًّا، سُمّي بذلك لأنه

(١) القلقشندي، ج٣، مصدر سابق، ص٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص٦٢.

(٣) المصدر السابق، ص١٠٤.

(٤) المصدر السابق، ص١٠٤.

(٥) المصدر السابق، ص١١٩.

يشبه ذرّات الغبار، كأن النظر يضعُف عن رؤيته لدقته كما يضعُف عن رؤية الشيء عند ثَوَرانِ الغُبَار وتغطيته له، وهو الذي يُكتب به في القطع الصغير من وَرَق الطير، وبه تُكتب بطائق الحمام التي تحمل على أجنحتها في ورق الطير، وبعظهم يُسمّيه قلم الجناح، وكذلك يسمّى قلم المؤامرات، وتطور هذا القلم إلى قلم الشَّفرة لاستخدامه في الأمور السِّرِّيَّة في الحروب وغيرها(1).

صنعت أقلام أخرى باستخدام أدوات مختلفة، كالأقلام المأخوذة من شَعْر الحيوانات، أو من ريش الطيور، مثال ذلك:

أ-الأقلام الريشية: يؤخذ من أجنحة النسور ما غلظ من ريش الجناح، ويُتخيَّر منها الموضع الصفيق الصلب فيُجرد ويبرى كما يبرى القلم، ويُقط بالمقص عوضًا عن السكين لأنها لا تقطعه، ويُجعل جلفته قصيرة، ويُزال ما فيها من الشحم ليرقّ، ويكون المقص الذي يبرى به قلم الريش قصير الرأس قاطعًا، رقيق الحد(2).

ب- أقلام الشَعْر: أن يؤخذ من شعر ابن عُرْس(3)، أو شعر آذان البقر الناعم

---

(1) المصدر السابق، ص١٣٢. مصدر آخر، ابن الصائغ، رسالة في الخط، ص١٩٦. مرجع آخر، الجبوري، عبدالله، الغباريون أو أصحاب الكتابة الدقيقة، مجلة العرب، المملكة العربية السعودية، ع٣-٤، مج٣٨، ديسمبر ٢٠٠٢، ص ص١٥٣-١٥٨، ص١٥٣.

(2) الصنهاجي، عمدة الكتاب، مصدر سابق، ص١٠٠. مصدر آخر، بن رسول، المخترع، ص ص٧٤٧-٧٤٨.

(3) ابن عُرس: حيوان يألف البيوت، يشبه الفأر، والفرق بينهما طول رجليه ورأسه. الأنطاكي، نزهة الأذهان، مصدر سابق، ص٣٦٣.

أو شَعْر الحمار، فتؤلف رؤوسه الدقاق كله إلى جهة واحدة، ثم يُخرط عود من عود هندي[1]، أو صندل[2]، أو عاج أو أبنوس[3]، ويكون رقيقًا ليخف على اليد، ويُجعل في رأسه موضعًا للشدّ، ويُلف الشعر عليه دائرًا برأسه بعد أن يُدهن رأسه بغراء السمك[4] ليمسك الشعر، وأدق هذه الأقلام ما كان على أربع شعرات، ويُعمل على أدق من ذلك، لكن هذا أقوى، ويُشدّ بخيط من حرير، ثم يؤخذ من الدهن الصيني المعمول بالسندروس[5]، ويُذر عليه من مسحوق الزبدي[6] بعد سحقه، ثم يُدهن به على الخيط الحرير المشدود به الشعر، ويُترك في الشمس حتى يجف فيصبح مثل الرخام في الصلابة، وإذا غسل بالماء لا ينحل أو يتغير[7].

---

(١) عود هندي: نبت صيني يكون بجزائر الهند، وهو أشجار وقيل غصون توجد في نفس الأشجار لأكلها، وأجودها الأسود الدسم. المصدر السابق، ص٣٤٢.

(٢) صندل: شجر بالصين وجبال تنوب، يشبه الجوز، يحمل ثمرًا في عناقيد، له أنواع الأبيض والأحمر والأصفر. المصدر السابق، ص٣٣٩.

(٣) أبنوس: شجرة حرجية، شديدة الخضار القاتم، أزهارها بيضاء اللون، خشبها أسود متين، تنبت في الهند وجزيرة سرنديب. غالب، أدوار، الموسوعة في علوم الطبيعة، مج١، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٥م، ص٩.

(٤) غراء السمك: يُعمل من نفاخة السمك. الأنطاكي، نزهة الأذهان، مصدر السابق، ص٤١٢.

(٥) السندروس: صمغ أصفر فيه شيء من المرارة. المصدر السابق، ص٣٣٥.

(٦) الزبدي: أي البورق الزبدي، وهو حجر صلب، الصنهاجي، عمدة الكتاب، مصدر سابق، حاشية ص٧٤٨.

(٧) المصدر سابق، ص ص٧٤٨-٧٤٩. مصدر آخر، ابن رسول، المخترع، ص ص١٠٠-١٠١.

# المبحث الثَّالث

## الأحبار السِّرِّيَّة

الحِبْرُ، بالكسر: النّقْسُ [١]، والنّقْس: المداد وهو الذي يُكتب به[٢]، والمقصود بالمِداد ما يمد به الدَّواة من الحِبْر المستعمل للكتابة[٣]، وسمي الحِبْرُ نقسًا ويجمع على أنْقَاس، والحِبْر أصله اللون، يقال فلان ناصع الحِبْر يراد به اللون الخالص الصافي من كل شيء، والحِبْر: الأثَر، يعني أثَر الكتابة في القرطاس[٤].

أنتشرت صناعة الحِبْر في الصين، وجُلب منها للبلاد العربيَّة، ثم تعلم العرب صناعته وأدخلوا في صناعته الكثير من المواد المستخرجة من النبات أو الحيوان أو الجماد، كالعَفْص [٥] والزَّاج [٦] والصَّمْغ والصَّبِر والخل والكافور والنوشادر[٧] والفحم والدخان والكبريت الأبيض وغيرها من المواد، واختلفت أنواع الأحبار وألوانها



(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص٣٧٠.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مج٣، مصدر سابق، ص٣٩٨.

(٣) المِشوَخي، الحبر والمداد، مرجع سابق، ص ١١١-١١٢.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، مصدر سابق، ص ٤٦١.

(٥) العفص: هو ثمار شجر البلوط، الأنطاكي، نزهة الأذهان، مصدر سابق، ص٣٤١.

(٦) الزاج: هو كبريتات أول أوكسيد الحديد، ويوجد في الطبيعة متكون فوق النحاس والحديد. الحسني، عبد السلام بن محمد العلي، ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس، الرباط، مكتبة دار التراث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص٦٧.

(٧) النشادر: مادة كيميائية تُعرف بكلوريدات النشادر، ، المرجع السابق، ص١٣٣.

وجودتها باختلاف المواد والمقادير التي يتم خلطها مع بعضها البعض في أثناء صناعته، بالإضافة إلى الاختلاف في طريقة إعداده ومزجه وطبخه، وكذلك مدى مهارة الصانع وإتقانه في اختيار المواد المناسبة والمقادير المطلوبة لصناعة الحِبْر[1].

وعُرفت الأحبار السِّرِّيَّة منذ زمن بعيد فقد استخدمها الإغريق القدماء[2]، واستخدمتها الفرق الإسلاميَّة المعارضة للدولة العباسية، وكان تضمين الأسرار في الكتب من المهمات التنظيمية لديهم[3]، لكي لا ينكشف أمرهم، ثم تطورت وتنوَّعت الأحبار السِّرِّيَّة، واستخدمها الحكام في مراسلاتهم السِّرِّيَّة متى ما دعت الحاجة لذلك خصوصًا في فترة الحروب والثورات، وشهدت فترة حكم الأيُّوبيين والمماليك ابتكار أنواع جديدة من هذه الأحبار السِّرِّيَّة.

إن الحبر السري هو: ما يُكتب بشيء لا يظهر في الحال، فإذا وصل إلى المكتوب إليه فعل فيه فعلاً ليُظهِرهُ يكون مقررًا بين المرسِل والمرسَل إليه من إلقاء شيءٍ على الكتابة، أو مسحه بشيءٍ، أو عرضه على النار، ونحو ذلك[4]، وفيما يلي بعض أنواع الأحبار السِّرِّيَّة وطرق تركيبها:

---

(١) المِشوَخي، الحبر والمداد، مصدر سابق، ص١٣٠-١٣٢.

(٢) البلوي، تاريخ أمن المعلومات، مصدر سابق، ص١٥٤.

(٣) سعيد، خير الله، وراقوا بغداد في العصر العباسي، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص١١٤؛ موسوعة الوراقة، مج١، مرجع سابق، ص ص١٨٧-١٨٨.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٩، مصدر سابق، ص٢٢٩.

- أن يُكتب في الوَرَق بلبن حليب وتوجهه لمن تريد فينثر عليه رمادًا سخنًا من رماد القراطيس فتظهر الكتابة(١).
- أن يُكتب بلبن حليب ونُشادر ولا تظهر الكتابة إلا في الليل أو عند تقريبه من النار(٢).

---

(١) الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (٢٥١هـ-٣١٣هـ)، زينة الكتبة، تحقيق: لطف الله قاري، مجلة عالم المخطوطات والنوادر، القاهرة، ع٢، مج١٦، رجب – ذو الحجة ١٤٣٢ هـ/ يوليو – ديسمبر٢٠١١م، ص ص٢١١-٢٤٢، ص٢٢٥؛ رسالة زينة الكتبة في كتابه، نصوص نادرة من التراث العلمي، القاهرة، مكتبة الإمام البخاري، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص٤١. مصدر آخر، ابن عبدربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، ج٤، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣هـ، ص٢٧٣. مصدر آخر، الصنهاجي، عمدة الكتاب، ص٧٣٨. مصدر آخر، الجوبري،عبد الرحمن بن عمر، المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار، تحقيق: منذر الحايك، دمشق، دار صفحات، ٢٠١٤م، ص١٥٢. مصدر آخر، بن رسول، المخترع، ص٩٣. مصدر آخر، القللوسي، أبو بكر محمد بن محمد الأندلسي (ت ٧٠٧هـ)، تحف الخواص في طُرَف الخواص (في صنعة الأمدَّة والأصباغ والأدهان)، تحقيق: حسام أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٣٦. مصدر آخر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، ص٢٢٩. مرجع آخر، البياتنة، دعاء وصفي محمود ، علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩م، ص٢٠. مرجع آخر، سعيد، موسوعة الوراقة، مج١، ص١٨٨. مرجع آخر، المِشوَخي، الحبر والمداد، ص١٣٨. مرجع آخر، السامرائي، علم الاكتناه، ص٣٣٧.

(٢) العراقي، محمد بن أحمد (ت ٥٨٠هـ)، عيون الحقائق وإيضاح الطرائق،، برقم ٦٢٣٠ف/ ١٢٤٩/ ٣، نسخ: محمد بن عبد القادر سلمان، تاريخ النسخ ١٢٧٢هـ، مخطوطة بجامعة الملك سعود، ٧١ق، ق٤٢. مصدر آخر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، ص٢٢٩، كذلك، محمد بن أبي الخير الحسني =

• يؤخذ من لبن الماعز الماصر – الحامض – وزن درهمين[1]، ووزن درهمين من لبن الحُمر الوحشية، فيلقى الجميع في وزن خمسة دراهم رُبّ[2] عنب – عسل العنب – ويبقى فيه عشرة أيام، ثم يُحلّ بخمسة عشر درهمًا من لبن ناقة أدمى، وهي التي يضرب بياضها إلى حُمرة، ثم يُكتب به فلا يُقرأ إلا في ضوء السراج[3].

• يؤخذ نصف مثقال[4] نُشادر ويذاب على هيئة ما يُكتب به، ثم يُلقى عليه وزن درهم خَولاَنًا[5]، ثم يُترك عشرين يومًا لا يرى الشمس ثم يُغلى غليانًا بالغًا، ثم يُخلط

=

الدمشقي (توفي أواخر القرن ١٠هـ)، النجوم الشارقات في ذكر بعض الصنائع المحتاج اليها في علم الميقات، حلب، طبعة محمد راغب الطباخ، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م، ص٣٠-٣١. مصدر آخر، المغربي، محمد بن عوض، صناعة الأحبار والليق والأصباغ: فصول من مخطوطة – قطف الأزهار – للمغربي، تحقيق: بروين بدري توفيق، مجلة المورد، العراق، ع٣، مج١٢، ١٩٨٣م، ص ص٢٥١-٢٧٨، ص٢٧٢. مرجع آخر، البياتنة، علم التعمية، ص٢٠. مرجع آخر، البلوي، تاريخ أمن المعلومات، ص١٥٥.

(١) الدرهم يساوي ٢،٣٣ جرام، حلاق، محمد صبحي بن حسن، الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١٨٥.

(٢) الُربّ والربوب هو: ما يعتصر مما يمكن عصره وطبخ غيره إلى ذهاب صورته من الفواكه، الحسني، ضياء النبراس، مرجع سابق، ص٦٥.

(٣) الصنهاجي، عمدة الكتاب، مصدر سابق، ص٧٣٩.

(٤) المثقال يساوي ٣،٤٩ جرام، حلاق، الإيضاحات العصرية للمقاييس، مرجع سابق، ص٢٤٣.

(٥) الخولان: هو الحضض وهو عصارة شجرة لها زهر أصفر وفروع كثيرة تثمر حبًا أسود كالفلفل، الأنطاكي، نزهة الأذهان، مصدر سابق، ص٣٢٥.

بوزن درهمين زئبقًا ويُترك أربعين يومًا ثم يُلقى فيه وزن عشرة دراهم لبنًا حامضًا ويُكتب به فإنه لا يُقرأ إلا في ظلام(١).

- يؤخذ ماء البصل ويُكتب به فلا تظهر الكتابة إلا إذا قُربت من النار أو أُلقي عليها رماد ساخن وتظهر الكتابة حمراء(٢).
- يؤخذ ماء البصل ويضاف إليه نُشادر ويُكتب به فإذا قُربت للنار ظهرت الكتابة سوداء(٣).
- يؤخذ ماء البصل ويضاف إليه مرارة كبش ويُكتب به فإذا قُربت الكتابة من النار ظهرت بلون أصفر(٤).
- أن تُدقّ قشور البصل الأحمر بصورة متواصلة، حتى تصبح كتلة متماسكة، فإذا أريد الكتابة بها وضعت على النار مع إضافة الماء حتى تذوب ثم يُكتب بها



---

(١) الصنهاجي، عمدة الكتاب، مصدر سابق، ص٧٣٩. مرجع آخر، المِشوَخي، الحبر والمداد، ص١٣٨. مرجع آخر، السامرائي، علم الاكتناه، ص٣٣٧.

(٢) العراقي، عيون الحقائق، مصدر سابق، ق٤٢. مصدر آخر، الجوبري، المختار في كشف الأسرار، ص١٥٢. مصدر آخر، القللوسي، تحف الخواص، ص٣٦. مصدر آخر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، ص٢٢٩. مرجع آخر، البياتنة، علم التعمية، ص٢٠. مرجع آخر، الجبوري، المواد المستعملة في كتابة الكتب، ص٤٦٧. مرجع آخر، السامرائي، علم الاكتناه، ص١١٥. مرجع آخر، البلوي، تاريخ أمن المعلومات، ص١٥٥.

(٣) الجوبري، المختار في كشف الأسرار، مصدر سابق، ص١٥٢.

(٤) المصدر السابق، ص١٥٢.

وتظهر الكتابة بلون بني[1].

• أن يُكتب على الوَرَق بماء خلط به زاج أبيض فلا تظهر الكتابة إلا إذا مُسح بماء قد خُلط بعفص مدقوق[2].

• أن يُكتب على الوَرَق بماء العفص فلا تظهر الكتابة إلا إذا مُسح بماء الزاج، أو يذر عليه مسحوق الزاج فتظهر الكتابة[3].

---

(١) الجبوري، المواد المستعملة في كتابة الكتب، مرجع سابق، ص٤٦٧. مرجع آخر، السامرائي، علم الاكتناه، ص ١١٥.

(٢) الرازي، زينة الكتبة: نصوص نادرة، مصدر سابق، ص٤١. مصدر آخر، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٧٣. مصدر آخر، الصنهاجي، عمدة الكتاب، ص٧٣٨. مصدر آخر،العراقي، عيون الحقائق، ق٤٢. مصدر آخر، الجوبري، المختار في كشف الأسرار، ص١٥١، مصدر آخر، ابن رسول، المخترع، ص٩٣. مصدر آخر، القللوسي، تحف الخواص، ص٣٦. مصدر آخر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، ص٢٣٠. مرجع آخر، البياتنة، علم التعمية، ص٢٠. مرجع آخر، المِشوَخي، الحبر والمداد، ص١٣٨. مرجع آخر، السامرائي، علم الاكتناه، ص٣٣٦. مرجع آخر، البلوي، تاريخ أمن المعلومات، ص١٥٥-١٥٦.

(٣) الرازي، زينة الكتبة: نصوص نادرة، مصدر سابق، ص٤١. مصدر آخر، الصنهاجي، عمدة الكتاب، ص٧٣٨. مصدر آخر، الجوبري، المختار في كشف الأسرار، ص١٥١. مصدر آخر، ابن رسول، المخترع، مصدر، ص٩٣. مصدر سابق، القللوسي، تحف الخواص، ص٣٦. مصدر آخر، الزرخوني، محمد بن أبي بكر (ت ٨٠٨هـ)، زهر البساتين في علم المشاتين، تحقيق: لطف الله قاري، القاهرة، مكتبة الإمام البخاري، ٢٠١٢م، ص ص١٣٩-١٤٠. مرجع آخر، المِشوَخي، الحبر والمداد، ص١٣٨. مرجع آخر، السامرائي، علم الاكتناه، ص٣٣٦.

• أن يُكتب على الوَرَق بماء الزاج الأبيض فلا تظهر الكتابة إلا إذا وضع عليه غبار الزاج [1].

• أن يؤخذ نُشادر فينقع في ماء قليل ويُترك حتى ينحل، فإذا انحل وصار كله ماء، يُكتب به ويُترك حتى يجفّ فلا تظهر الكتابة حتى يُبخر باللبان، أو بقشر اللبان، أو بنخالة الحنطة[2].

• أن يُكتب بماء النُشادر فلا تظهر الكتابة حتى تغمس في الخل[3].

• أن يجعل قليلًا من النُشادر في الفم ويُلّك حتى يختلط بالريق ويُكتب به فلا تظهر الكتابة حتى يُقرب من النار فتظهر الكتابة سوداء[4].

• أن يُنقع الكندر [5] في الماء ثم يُكتب به فلا تظهر الكتابة حتى



---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، مصدر سابق، ص٢٧٣. مرجع آخر، المِشوَخي، الحبر والمداد، ص١٣٨. مرجع آخر، سعيد، موسوعة الوراقة، مج١، ص١٨٧.

(٢) الرازي، زينة الكتبة: نصوص نادرة، مصدر سابق، ص٤٢. مصدر سابق، الصنهاجي، عمدة الكتاب، ص٧٣٨. مصدر آخر، المظفر، المخترع في فنون من الصنع، ص٩٣. مصدر آخر، القللوسي، تحف الخواص، ص٣٦. مرجع آخر، المِشوَخي، الحبر والمداد، ص١٣٨. مرجع آخر، السامرائي، علم الاكتناه، ص٣٣٧.

(٣) الجوبري، المختار في كشف الأستار، مصدر سابق، ص١٥١.

(٤) القللوسي، تحف الخواص، مصدر سابق، ص٣٦.

(٥) الكندر: هو اللبان الذكر، وهو صمغ شجرة شائكة لا تكون إلا بالشحر (ساحل البحر بين عُمان وعدن) وجبال اليمن. الأنطاكي، نزهة الأذهان، مصدر سابق، ص٣٥٢.

يُذرَّ عليها الرماد[١].

• أن يُنقع الشبّ[٢] في الماء ويُكتب به فلا تظهر الكتابة إلا بعد ذرّ الرماد عليها[٣].

• أن يُنقع الأشق[٤] والكندر في الماء ويُكتب به فلا تظهر الكتابة حتى يُبخر بقشر الكندر أو بنخالة دقيق الشعير أو يُذرّ عليه الرماد فتظهر الكتابة[٥].

• أن يُنقع الأشق في الماء فإذا صار الماء قليلًا يُكتب به ولا تظهر الكتابة إلا بعد ذر الرماد عليه[٦].

• أن يُنقع النشا في الماء ويُكتب به فلا تظهر الكتابة إلا بذر الرماد عليها[٧].

---

(١) الرازي، زينة الكتبة: نصوص نادرة، مصدر سابق، ص٤١. مصدر آخر، القللوسي، تحف الخواص، ص٣٦.

(٢) الشبّ: هو ملح معدني بلوري التركيب، يتكون في الطبيعة من كبريتات الألومينيوم والبوتاسيوم. غالب، الموسوعة في علوم الطبيعة، مج٢، مرجع سابق، ص٤.

(٣) القللوسي، تحف الخواص، مصدر سابق، ص٣٦.

(٤) الأشق أو الوشق: هو صمغ شجرة الأمونياقوم. الأنطاكي، نزهة الأذهان، مصدر سابق، ص٣٠٩.

(٥) الرازي، زينة الكتبة: نصوص نادرة، مصدر سابق، ص٤٢. مصدر سابق، ابن رسول، المخترع، ص٩٤. مصدر آخر، القللوسي، تحف الخواص، ص٣٦. مصدر آخر، الحسني، النجوم الشارقات، ص٣١. مصدر آخر، المغربي، قطف الأزهار، ص٢٧٢.

(٦) الرازي، زينة الكتبة: نصوص نادرة، مصدر سابق، ص٤١. مصدر آخر، ابن رسول، المخترع، ص٩٤.

(٧) ابن رسول، المصدر السابق، ص٩٤.

• أن يُنقع شيء من الكثيراء[1] في الماء ويُكتب به فلا تظهر الكتابة إلا بذر الرماد عليها[2].

• أن يُكتب على ورقة بماء الليمون ولا تظهر الكتابة إلا بعد تسخينها على النار[3].

• أن يؤخذ نصف درهم صمغ عربي[4]، ووزن درهم ونصف لبن بقر، ووزن درهم كثيراء، تُخلط وتغلى غليانًا غير بالغ، ثم تترك أربعين يومًا ثم يُجعل عليها وزن ثلاثة دراهم ماء، ويُكتب بها فلا تظهر الكتابة حتى يُذرّ عليها الرماد[5].

• أن يُكتب بلبن التين - المادة التي تخرج من التين الأخضر كالحليب - فلا تظهر الكتابة حتى يُقرب من النار ويكون لونها أحمر[6].

• أن تؤخذ نوى الإجاص فتسحق وتغربل ويؤخذ منها وزن درهمين، ومن الباروق[7] وزن درهم، ومن العفص الرومي وزن درهمين. يُخلط ذلك كله ويُترك



---

(١) الكثيرا أو الكثيراء: هو صمغ يؤخذ من شوك القتاد يوجد لاصقًا به زمن الصيف، وهو نوعان أبيض يختص بالأكل، وأحمر للطلاء. الأنطاكي، نزهة الأذهان، مصدر سابق، ص٤١٤.

(٢) ابن رسول، المخترع، مصدر سابق، ص٩٤.

(٣) الزرخوني، زهر البساتين، مصدر سابق، ص١٣٩.

(٤) الصمغ العربي: هو صمغ شجرة القرظ. الأنطاكي، نزهة الأذهان، مصدر سابق، ص٤٠٨.

(٥) الصنهاجي، عمدة الكتاب، مصدر سابق، ص٧٤٠.

(٦) الحسني، النجوم الشارقات، مصدر سابق، ص٣١. مصدر آخر، المغربي، قطف الأزهار، ص٢٧٢.

(٧) الباروق أو البورق: هو ملح معدني طبيعي مركب من الصوديوم، غالب، الموسوعة في علوم الطبيعة، مج١، مرجع سابق، ص١٧٤.

في الظل شهرًا ثم عشرة أيام في الشمس، ثم يُلقى عليه وزن خمسة دراهم من لبن النساء ويُكتب به فلا تظهر الكتابة حتى يُذرّ عليه سحيق الحُـوّاري[1].

- أن يؤخذ اللوز المسموط ويُدق ناعمًا ويُذاب في الماء ثم يُكتب به على الورق ويُترك حتى ينشف، وتُغمس الوَرَقة في التراب فتظهر الكتابة على لون التراب[2].
- أن يُكتب على الوَرَق غير المُنَشّى بشبّ يماني محلول بخل مقطر فإذا جف لا تظهر الكتابة حتى يُلقى في الماء فتظهر الكتابة بيضاء[3].
- أن يُكتب على الوَرَق غير المُنَشّى بالشبّ المحلول بماء المطر، ثم يُلقيه في الماء أو يمسحه به، فإذ جفّ ظهرت الكتابة[4].
- أن تأخذ الورس[5] المسحوق وتكتب به في وَرَق أصفر مصبوغ بالزعفران ويُجعل في الماء قليل من مسحوق الورس، فإذا نزل في الماء ظهرت الكتابة حمراء[6].



(١) سحيق الحُوّاري: هو الدقيق الأبيض. الصنهاجي، عمدة الكتاب، مصدر سابق، ص٧٤٠.

(٢) الزرخوني، زهر البساتين، مصدر سابق، ص١٣٩.

(٣) العراقي، عيون الحقائق، مصدر سابق، ق٤٣.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، مصدر سابق، ص٢٣٠. مرجع آخر، البياتنة، علم التعمية، ص٢٠. مرجع آخر، البلوي، تاريخ أمن المعلومات، ص١٥٦.

(٥) الورس: هو الكركم، الحسني، ضياء النبراس، مرجع سابق، ص١٣٧.

(٦) الزرخوني، زهر البساتين، مصدر سابق، ص١٤٠.

• أن يُكتب بماء الكركم في خرقة من حرير أصفر فلا تظهر الكتابة إلا إذا غُمست الخرقة في ماء النورة فتظهر الكتابة حمراء[١].

• أن يُكتب على وَرَق ببياض البيض فلا تظهر الكتابة إلا إذا غُمست الورقة في ماء مُذاب فيه مغرة[٢] فتظهر الكتابة حمراء ولا تعلق المغرة على الكتابة أو أرضية الوَرَق[٣].

• أن يُكتب بمرارة السلحفاة فلا تظهر الكتابة إلا في الليل ولا تظهر بالنهار[٤].

• أن يُكتب بمرارة سمكة تسمى النطاب[٥] فلا تظهر الكتابة إلا في الليل كأنه الذهب[٦].

---

(١) القللوسي، تحف الخواص، مصدر سابق، ص٣٦.

(٢) المغرة: هي تراب صلصالي. غالب، الموسوعة في علوم الطبيعة، مج٢، مرجع سابق، ص٤٩٨.

(٣) الزرخوني، زهر البساتين، مصدر سابق، ص١٤٠

(٤) الرازي، زينة الكتبة: نصوص نادرة، مصدر سابق، ص٤٤. مصدر آخر، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٧٣. مصدر آخر، القللوسي، تحف الخواص، ص٣٦. مصدر آخر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، ص٢٣٠. مرجع آخر، البياتنة، علم التعمية، ص٢٠. مرجع آخر، المِشوَخي، الحبر والمداد، ص١٣٩. مرجع آخر، سعيد، موسوعة الوراقة، مج١، ص١٨٨. مرجع آخر، البلوي، تاريخ أمن المعلومات، ص١٥٦.

(٥) وردت باسم سمكة النطاف لدى القللوسي في تحف الخواص، ص٣٦.

(٦) الرازي، زينة الكتبة: نصوص نادرة، مصدر سابق، ص٤٤. مصدر آخر، القللوسي، تحف الخواص، ص٣٦.

• أن يُكتب بدم الحمام بعد خلطه بمداد، فإنه لا يرى الكتابة بعد أن تجف، حتى تذاب[1].

لم تقتصر الكتابات السِّرِّيَّة على استخدام الحبر السري على الوَرَق والكاغد ونحوهما، بل ابتكر العلماء المسلمون كتابات سرية على البيض وجسد الإنسان، تخفي في طياتها مدى براعتهم في التنوع لإخفاء الرسائل السِّرِّيَّة. ومن هذه الأمثلة:

• أن تؤخذ بيضة وتُغسل من أوساخها وزفرها غسلًا جيدًا، ثم يُكتب على البيضة بالزاج القبرصي وبماء العفص، ثم تُعاد الكتابة عليها ثلاث مرَّات، ثم تسلق في ماء الفول، فإن الكتابة تظهر على بياض البيضة بعد تقشيرها[2].

• أن تؤخذ بيضة وتُغسل من زفرها، ثم يُكتب عليها ويُذاب الشمع على الكتابة، ثم توضع في ماء الفول لثلاثة أيام، فيأكل الماء القشر المكشوف كله حتى يحرقه، ثم توضع البيضة في ماء ساخن فيذوب الشمع وتظهر الكتابة منقوشة[3].

• أن تُثقب البيضة ثقبًا خفيفًا ثم يُستخرج ما فيها، ثم يُجعل فيها ماء الطل[4]، ثم يُسد الثقب ويُكتب على جنبها باللبن الحليب، فإذا حماها حر الشمس نشف الطل

---

(١) الرازي، زينة الكتبة: نصوص نادرة، مصدر سابق، ص٤٤. مصدر آخر، القللوسي، تحف الخواص، ص٣٦.

(٢) الزرخوني، زهر البساتين، مصدر سابق، ص١٠٥-١٠٦.

(٣) الزرخوني، المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) الطل: هو المطر الخفيف أو الندى. غالب، الموسوعة في علوم الطبيعة، مج٢، مرجع سابق، ص١٠٠.

منها فتظهر الكتابة على البيضة باللون الأحمر[١].

- أن يُكتب على البيضة من الخارج بماء قد حُلّ فيه قلقند[٢]، وتكرر الكتابة ثلاث مرَّات ثم تُسلق وبعد أن تجف تُقشر فتظهر الكتابة على البيضة بلون أحمر[٣].
- أن يؤخذ من الليمون الأسود وعروق الحنظل[٤] المقلُوَّةَ بزيت الزيتون، جزآن متساويان ويُسحقان سحقًا ناعمًا، ثم يضاف إليهما دهن صفار البيض ويُكتب به على جسد الشخص المراد منه إرسال الرسالة السِّرِّيَّة إلى مكان بعيد فينبت الشعر مكان الكتابة[٥].

ومن عجيب ما وصل إليه المسلمون من فنون عجيبة في صناعة الأحبار أن كتب بعض المغاربة قصيدة إلى الملك الكامل بن العادل بن أيوب في ورقة بيضاء أن قُرئت في ضوء السراج كانت فضية، وإن قُرئت في الشمس كانت ذهبية، وإن قُرئت في الظل كانت حبراً أسودَ[٦].



---

(١) الجوبري، المختار في كشف الأسرار، مصدر سابق، ص١٦٦.

(٢) القلقند: هو نوع من الزاج، من أملاح النحاس. الأنطاكي، نزهة الأبدان، مصدر سابق، ص٤١٣.

(٣) العراقي، عيون الحقائق، مصدر سابق، ق٢٦-٢٧.

(٤) الحنظل: هو نبات يمتد على الأرض كالبطيخ إلا أنه أصغر ورقًا، عليه ثمر كثير، ينبت بالرمال في البلاد الحرة وهو شديد المرارة. الأنطاكي، نزهة الأذهان، مصدر سابق، ص٣٢٥.

(٥) العراقي، عيون الحقائق، مصدر سابق، ق٤٣. مصدر آخر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، ص٢٣٠.

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، اعتناء: هلموت ريتر، فيسبادن، فرانز شتاينر، مصدر سابق، ص١٩٧. مرجع آخر، المِشوَخي، الحبر والمداد، ص١٣٩. مرجع آخر، السامرائي، علم الاكتناه، ص٣٣٩.

إن من أهم الأشياء في استخدام الحبر السري، عدم وجود دليل، يكشف وجود الرسالة السِّرِّيَّة، ويُفضل لذلك استخدام ريشة طائر في الكتابة حتى لا تترك أثرًا يدل على وجود كتابة عند تعريضها للضوء أو عند رش مسحوق فوقها، ولا بد من كتابة الرسالة السِّرِّيَّة بين سطور رسالة أخرى، فليس من المعقول أن تكون الصفحة خالية من الكتابة، مما يثير الشك عند من تقع الرسالة في يده[١].

ولم يقتصر الاستخدام على الأحبار السِّرِّيَّة في المراسلات السِّرِّيَّة، فهناك رسائل تُكتب بأحبار أخرى مع احتفاظ الرسالة بسريتها، كالملطفات، وبطائق الحمام، وغيرها من الرسائل المخفية بطرق متنوعة، ومن الأنواع المُتعدِّدة من الأحبار الأخرى:

- أن يؤخذ عفص وقشر رمان، فيُرضان معًا ويُنقعان في الماء ثلاثة أيام، ثم يوضع على النار ويُصب عليه قليل من القلقند مع التحريك حتى يصبح لونه شديد السواد، وإذا لم يوجد القلقند يضاف بدلًا عنه الزاج الفارسي، ثم يُلقى عليه صمغ عربي ويُنزل عن النار[٢].
- أن تؤخذ أوقية[٣] عفص فتُرض، وأوقية صمغ عربي فتخلطان معًا ويضاف

---

(١) البياتنة، علم التعمية، مرجع سابق، ص٢١.

(٢) الصنهاجي، عمدة الكتاب، مصدر سابق، ص٦٩٨.

(٣) الأوقية = ٩٣،٣١ جرام ، حلاق، الإيضاحات العصرية للمقاييس، مرجع سابق، ص١٥٥.

عليهما ماء، مقدار كليهما ثماني مرَّات، ويوضعان في قنينة في الشمس ثلاثة أيام، ثم يُصفى بعد ذلك ويُطرح فيهما أربعة دراهم من الزاج الرومي أو العراقي، ويُترك الخليط في الشمس أربعة أيام في الصيف، أو اثني عشر يومًا في الشتاء[١].

• أن يُخلط جزآن متساويان من العفص والصمغ، ويُسحقان حتى يصيرا في قوام الكحل ويضاف إليهما نصف جزء من الزاج الأخضر، ويُسحق الجميع سحقًا ناعمًا، ويُضاف إليه بياض البيض حتى يصير مثل العجين، ويُجعل على شكل حبات البندق ويُجفف في الظل، ومتى ما احتيج لشيءٍ منه حُلَّ في الماء واستُعمل[٢].

• أن يؤخذ من العفص أربع أواقٍ ومثلها من حب الأثل[٣]، ومثلها من الصمغ العربي، يُدق كل واحدٍ على حدة، ويوضع العفص وحب الأثل في إناء جديد مع أربعة أرطال[٤] من ماء على النار حتى يذهب النصف منه، ويلقى عليه الصمغ مع أوقية ونصف من الزاج ويُغلى غليتين أو ثلاثًا، ويُترك حتى يصفو، ويؤخذ صفوه ويُستعمل ويُزاد على تفله[٥] الماء ويُطبخ ثم يُترك حتى يصفو ويؤخذ ويستعمل

(١) ابن رسول، المخترع، مصدر سابق، ص٧١.

(٢) القللوسي، تحف الخواص، مصدر سابق، ص٢٤.

(٣) الأثل: شجر بري، من نباتات حوض البحر المتوسط، أغصانه غليظة متفرعة، أزهاره صغيرة بيضاء أو وردية اللون، يُجنى منه مادة سكرية غذائية. غالب، الموسوعة في علوم الطبيعة، مج١، مرجع سابق، ص١٩.

(٤) الرطل يساوي ٢٩٨ غرامًا تقريبًا، حلاق، الإيضاحات العصرية للمقاييس، مرجع سابق، ص١٧٧.

(٥) التفل: الزَّبد. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص٩٧٠.

ويُرمى التفل[1].

لقد شهد العصرين الأيوبي والمملوكي إزدهارًا في تركيب وصناعة الأحبار السرية، فتميز بعضها بالإبتكار عن طرق إدخال عناصر جديدة في تركيب الأحبار السرية، كاستخدام مكونات نباتية أو معدنية أو حتى بعض أجزاء الحيوانات والطيور، للوصول إلى أنواع جديدة من الأحبار السرية بحيث يصعب إكتشافها من قبل الأعداء فضلًا عن معرفة طريقة تركيبها.




(١) القللوسي، تحف الخواص، مصدر سابق، ص٢١.

# الفصل الرَّابع

## طرق نقل الرسائل السِّرِّيَّة

- **المبحث الأَوَّل**: البريد البري.
- **المبحث الثَّاني**: الحمام الزاجل.
- **المبحث الثَّالث**: المناور.
- **المبحث الرَّابع**: إخفاء الرسائل.

## المبحث الأوَّل

## البريد البري

البريد معناه المسافة بين محطتين من محطات البريد أو سِككه أو مراكزه، وهي مقدرة باثني عشر ميلًا[1]، وقد قدَّره الفقهاء وعلماء المسالك والممالك بأنه أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال[2].

اختُلف في أصل كلمة البريد فقيل: إنها مستمدة من كلمة (BEREDOS) اليونانية، والتي تعني خدمات البريد، وقيل إن أصلها لاتيني من كلمة (Veridus)، بمعنى خيل[3]. وذَهَب آخرون إلى أنه فارسي مُعرَّب من كلمة: بريده دم، ومعناه مقصوص الذَّنَب، وذلك أن ملوك الفرس كانت من عاداتهم أنهم يقصوا أذنَاب بغال البريد ليكون علامة له، وقيل إنه عربي مشتق من بَرَدتُ الحديد إذا أرسلتَ ما يخرجُ

(١) ١٢ميلًا = ٢٢،١٧٦ كيلو متر، حلاق، الإيضاحات العصرية للمقاييس، مرجع سابق، ص٤٧.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، مصدر سابق، ص٣٦٦. مرجع آخر، الزعارير، طه حسن عقاب، البريد في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠١م، ص٢. مرجع آخر، فرخ، ماهر عبد الغني، ديوان البريد المملوكي في بلاد الشام ٦٥٩-٨٠٣هـ/ ١٢٦١-١٤٠١م، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، ع١٠٠، س٢٥، خريف٢٠٠٧م، ص ص٧٣-٩٨، ص٧٤. مرجع آخر، حلاق، الإيضاحات العصرية للمقاييس، ص٤٧.

(٣) الزعارير، البريد في مصر والشام، مرجع سابق، ص٧.

منه، وقيل: من أبردتهُ إذا أرسلته(١). والبَريدُ: الرسل على دواب البريد، وبَرَدَهُ وأبْرَدَهُ: أرسله بريدًا(٢).

كان البريد موجودًا زمن الأكاسرة ملوك الفرس، والقياصرة ملوك الروم، ثم قرره في الإسلام معاوية بن أبي سفيان أيام خلافته، فوضع البريد لتسرع إليه الأخبار من أطراف البلاد، وبقي بعد ذلك أيام خلفاء بني العباس، يستمر تارة وينقطع أخرى بحسب ما يقتضيه الحال، وعُمل بالبريد أيام الزنكيين في بلاد الشام(٣).

في العصرين الأيوبي والمملوكي ازداد الاهتمام بالبريد نتيجة الظروف السياسية والعسكرية التي مرَّت بها بلاد الشام بصفة خاصة، والعالم الإسلامي بصفة عامة، فكانت الحاجة لربط مركز الدولة بالأطراف وربط الأطراف ببعضها البعض،



(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، مصدر سابق، ص٣٦٧. مرجع آخر، عادل محمد نبهان، نظام البريد ودوره في الصراع بين المماليك والمغول (٦٦١-٧٢٣هـ/ ١٢٦٣-١٣٢٣م)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الإمارات العربية المتحدة، ع١، مج٨، ربيع الأول ١٤٣٢ هـ/ مارس ٢٠١١م، ص ص٤٥-٦٣، ص٤٦.

(٢) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص٢٦٧.

(٣) ابن فضل الله، التعريف بالمصطلح الشريف، مصدر سابق، ص ص٢٣٩-٢٤١. مصدر آخر، الأنصاري، عمر بن إبراهيم الأوسي (ت بعد ٨١٤هـ)، تفريج الكروب في تدبير الحروب، تحقيق: جورج سكانلون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦١م، ص١٤. مرجع آخر، الجزار،هاني فخري، النظام العسكري في دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية في غزة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١٠٤.

لمعرفة أخبار العدو وعدد جيشه وتسليحه والطرق التي يسلكها والخطط التي يضعها، وأسهم البريد الذي بلغ درجة عالية من السرعة والدقة والتنظيم في تحقيق الانتصارات على الأعداء، والحركات المناوئة للدولة[(١)].

نُظمت مراكز البريد على امتداد البلاد بين مركز الحكم في قلعة الجبل – مقر الحكم– بالقاهرة إلى نواحي الدولة، وزودت مراكز البريد بما يحتاجه المسافر من زاد وعلف، وتفاوتت الأبعاد بين مراكز البريد تبعًا للقرب من الماء، أو الأنس بقرية[(٢)]. وكانت محطات البريد في الغالب تتألف من خان[(٣)] ومسجد وسقاية وفيها دواب البريد من بغال وخيل وإبل، ومن يتعهد بخدمتها والعناية بها[(٤)].

(١) البكوش، حمزة محمد، دور البريد العسكري الأيوبي في الصراع الصليبي الإسلامي في بلاد الشام، مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، ليبيا، ع٢٠، ٢٠١١م، ص٢١-٣٢، ص٢٣؛ دور البريد في خدمة الإدارة العسكرية عند المماليك في بلاد الشام، مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية، ليبيا، ع١٦، س٩، ٢٠١٢م، ص ص٥٩١-٦١٣، ص ص٥٩٤-٥٩٥.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، مصدر سابق، ص٣٧٢. مصدر آخر، المقريزي،تقي الدين أحمد بن علي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: المعروف بالخطط المقريزية، ج١، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٨م، ص٦٣٣. مرجع آخر، نبهان، نظام البريد، ص٤٨.

(٣) لفظ فارسي، بمعنى المنزل الكبير، أو: الفندق الذي ينزل فيه التجار ويعرضون بضائعهم فيه. الخطيب، معجم المصطلحات، مرجع سابق، ص١٥٧.

(٤) الزعارير، البريد في مصر والشام، مرجع سابق، ص٨٠.

فقد أولى صلاح الدين الأيوبي عنايته بطرق البريد بين مصر والشام، فقام بتشييد الحصون والقلاع على امتداد الطريق وزودها بالحراس والزاد والماء، وصارت القوافل الحربية والتجارية تعبرها بأمان(١)، وعُهد للعربان القاطنين بين العريش(٢) ومصر بحماية طرق البريد، حتى صار الطريق في عهد السلطان الكامل بن العادل يمر به الراكب بالذهب والأحمال من غير خوف، وسُرق مرة فيه بساط، فأحضر السلطان الكامل العربان القائمين على حماية الطريق وألزمهم بإحضار البساط والسارق لمعاقبته(٣).

تفرَّعت من قلعة الجبل أربع جهات(٤) هي:

١-جنوبًا إلى قوص(٥) وما يتصل بذلك من أسوان(٦) وما يليها من



(١) سعداوي، نظير حسان، نظام البريد في الدولة الإسلامية، القاهرة، دار مصير للطباعة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م، حاشية ص١٢٧.

(٢) بلدة على شطّ بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط - بين مصر والشام، جنوب رفح بمسيرة يوم. أبن شاهنشاه، عماد الدين اسماعيل بن محمد(ت٧٣٢هـ)، تقويم البلدان، تصحيح: رينود وماك كوكين، باريس، دارالطباعة السلطانية، ١٨٤٠م، ص١٠٩.

(٣) المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ص٣٨١. مرجع سابق، سعداوي، نظام البريد، حاشية ص١٢٧.

(٤) انظر الشكل (٥).

(٥) مدينة كبيرة واسعة، قصبة الصعيد، وهي محط التجار القادمين من عدن، بينها وبين بحر اليمن خمسة أيام. الحموي، معجم البلدان، مج٤، مصدر سابق، ص٤١٣.

(٦) مدينة كبيرة في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل في شرقية. المصدر السابق، مج١، ص١٩١.

بلاد النوبة[(١)] جنوبًا.

٢-شرقًا إلى عيذاب[(٢)] وما يليها من سواكن[(٣)] شرقًا.

٣- غربًا إلى الإسكندرية.

٤- شمالًا إلى دمياط[(٤)]، ثم إلى غزة[(٥)]، ومنها إلى باقي بلاد الشام: الكرك[(٦)] ودمشق وصفد[(٧)].

---

(١) بلاد واسعة في جنوب مصر. المصدر السابق، مج٥، ص٣٠٩.

(٢) بلدة على ضفة بحر القلزم - البحر الأحمر - وهي مرسى المراكب القادمة من عدن إلى الصعيد. المصدر السابق، مج٤، ص١٧١.

(٣) بلد على ساحل البحر الأحمر بالقرب من عيذاب، وهي مرفأ للقادمين من جدة. المصدر السابق، مج٣، ص٢٧٦.

(٤) مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين البحر والنيل. المصدر السابق، مج٢، ص٤٧٢.

(٥) مدينة أقصى الشام من ناحية مصر، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان. المصدر السابق، مج٤، ص٢٠٢.

(٦) قلعة حصينة في طرف الشام من نواحي البلقاء، وهي على سن جبل عالٍ تحيط بها أودية إلا من جهة الربض. المصدر السابق، ص٤٥٣.

(٧) مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهي من جبال لبنان، المصدر السابق، مج٣، ص٤١٢. مصدر آخر، العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص ص٢٤٣-٢٤٧. مصدر آخر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص٣٧٣. مرجع آخر، الجزار، النظام العسكري، ص١٠٥. مرجع آخر، نبهان، نظام البريد، ص١٠٥.

٥- طريق الحجاز شرقًا بمحاذاة البحر حتى الوصول إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهو طريق الحجاج، ويقطع في مسير شهر، ومن كان مجدًا في السير فيقطعها في نحو أحد عشر يومًا.[١]

اعتمد الأيوبيون والمماليك في نقل رسائلهم عن طريق البر على الخيل والإبل والسعاة، وكان البريديون يُختارون من بين أشخاص عُرفوا بالكفاءة والأمانة والذكاء، والمعرفة بطبيعة الأرض التي يسلكون دروبها، نظرًا لأهمية ما يحملونه من رسائل مهمة. وفي صفات البريدي يقول القلقشندي: "على رسول الملك أن يكون صحيح الفِكْرة والمِزَاج، ذا بيان وعارضة ولين واُستحكام مَنَعة، وأن يكون بصيرًا بمخارج الكلام وأجوبته، مؤديًا للألفاظ عن الملك بمعانيها، صدوقًا بريئًا من الطمع"[٢].



تولى أمر البريد في العصر الأيوبي شخص يسمى صاحب البريد، وفي العصر المملوكي أُنيط أمر البريد لصاحب ديوان الإنشاء وأصبح أكثر تنظيمًا، وكان للبريد ألواح من فضة أو نحاس تحت أمر كاتب السر بالأبواب السلطانية، منقوش على

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، مصدر سابق، ص ص٣٨٥-٣٨٦.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص١١٦. مرجع آخر، حماد، فتحي أحمد محمد، العيون والجواسيس في بلاد الشام في العهدين الزنكي والأيوبي (٥٢٢-٦٤٨هـ/ ١١٢٨-١٢٥٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١١م، ص٥١. مرجع آخر، حسين، الجيش الأيوبي، ص١١١.

وجهي اللوح نقش مزدوج ما صورته: "لا إله إلا الله محمد رسوُلُ الله، أرسَلَه بالهُدى ودِينِ الحَقّ ليُظْهِرَهُ على الدينِ كُلّهِ وَلَو كَرِه المـُشرِكُون. ضُرب بالقاهرة المحروسة". وعلى الوجه الآخر اسم السلطان. ولا يختلف ذلك عما كان بديوان الإنشاء في الشام إلا محل ضرب اللوح، سواءً في دمشق أو حلب أو سائر الممالك. وكان في هذا اللوح ثقب معلق به شُرَّابة(١) من حرير أصفر ذات بندين(٢)، يجعلُها البَرِيديُّ في عُنُقه، بإدخاله رأسه بين البندين، ويصير اللوح أمامه تحت ثيابه، والشُّرَّابة خلفه من فوق ثيابه. فإذا أُرسل البريدي إلى جهة من الجهات، أُعطي لوحًا من تلك الألواح، تبين لأصحاب السكك والمراكز أنه بريدي فيسهلون له مهمته(٣).

وقد اهتم الأيوبيون والمماليك بالخيل والهجن(٤)، وأعدوا لذلك



---

(١) نسيج رقيق إذا طوي لا يصير له حجم، وكان له سوق رائجة ومنه الإشارب أو الشُرابة. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، مرجع سابق، ص٩٧.

(٢) العَلَم الكبير، وأصل معناه رَبَطَ والرِبَاط. شير، ادّي ، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، ط٢، القاهرة، دار العرب، ١٩٨٨م، ص٢٧.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، مصدر سابق، ص ص٣٧١-٣٧٢. مصدر آخر، السحماوي، الثغر الباسم، ج١، ص٣٣٤-٣٣٥. مرجع آخر، ماجد، عبد المنعم ، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ج١، ط٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م، ص ص٦٢-٦٣. مرجع آخر شتاين، آدم ج سيلفر، النظم البريدية في العالم الإسلامي قبل العصر الحديث، ترجمة: عمر سعيد الأيوبي، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ٢٠١٠م، ص٢٤٨.

(٤) الهجن: الإبل البيض الكرام. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)، العين، ج٤، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٢٩٥.

النُّجُبُ(١) المُنتَخَبَةَ، للاعتماد عليها في نقل الأخبار، وكانت تستخدم لقطع المسافات الطويلة خاصة عبر الصحراء، فالهجن أسرع وأصبر على السير من السعاة، وغالبًا ما كان يُجهز اثنان منهم في الأوقات الضرورية حتى يسهل وصول الأخبار بأقصى سرعة(٢)، فكان النجّاب يقطع المسافة من القاهرة إلى حلب في خمسة أيام(٣).

كان البريد يُنقل بالهجن إلى جميع الممالك الشامية(٤) والمصرية، وكان بالقاهرة اصطبل خاص يُعرف بالمناخ، يتولى أمره كاتب السر، وظلت الهجن مستخدمة حتى نهاية العصر المملوكي(٥)، وقد بلغت أعداد الجمال في المناخات

---

(١) النّجيبُ من الإبل، والجمع النُّجُبُ والنَّجائبُ، وهو القوي منها، الخفيف السريع، ابن منظور، لسان العرب، مج١، مصدر سابق، ص٧٤٨.

(٢) كذلك، الأنصاري، تفريج الكروب، مصدر سابق، ص١٤-١٥. مصدر سابق، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص٣٧٠. مصدر آخر، السحماوي، الثغر الباسم، ج١، ص٣٣٦-٣٣٧. مرجع آخر، سيد، التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي، ص١٠٣-١٠٤. مرجع آخر، البلوي، سلامة محمد، نظم الاستخبارات الأيوبية في عصر صلاح الدين، مؤتة للبحوث والدراسات - العلوم الإنسانية والاجتماعية، الأردن، ع٤، مج٢٢، ٢٠٠٧م، ص ص١١-٣٦، ص١٩.

(٣) البكوش، دور البريد العسكري الأيوبي، مرجع سابق، ص٢٧.

(٤) سميت بهذا الأسم لأن صلاح الدين عند موته فرق الممالك بين أولاده، وجعل لكل مملكة كرسي، وكانت دمشق أكبر هذه الممالك وتفرع عنها ست نيابات تابعة لها وهي: القدس، وصرخد، وبعلبك، وحمص، وعجلون، ومصياف. السحماوي، الثغر الباسم، ج١، مصدر سابق، ص ص٤٧٤-٤٥٣.

(٥) الزعارير، البريد في مصر والشام، مرجع سابق، ص٩١.

زمن السلطان برقوق ما يقارب خمسة عشر ألف جمل[(١)].

استخدم الأيوبيون والمماليك الخيل لنقل الرسائل لما تمتاز به من سرعة، وسُميت بخيل البريد، وجُعل لها اصطبل خاص عُرف باسم: اصطبل البريد[(٢)]، ويشرف على هذه الخيول (أمير آخور البريد)[(٣)]، وله الإشراف على اصطبل البريد والقائمين عليه من سوّاس[(٤)]، وهذه الخيول لا يُسمح بركوبها إلا في نقل البريد وفي حالات نادرة بمرسوم سلطاني، وحتى الولاة في الأقاليم لا يستطيعون ركوبها إلا بإذن السلطان[(٥)].

يقوم نقل البريد على الخيل من مركز لآخر بالتناوب على مراحل، حيث تسير بسرعة قصوى في مرحلة وتسلم إلى أخرى مستريحة، وهكذا[(٦)]، وبلغ عدد خيول

(١) المقريزي، الخطط، ج٣، مصدر سابق، ص٩٥. مرجع آخر، الزعارير، البريد في مصر والشام، ص٩١.

(٢) ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، ج١، مرجع سابق، ص٦١.

(٣) آخور: لفظ فارسي معناه: الإسطبل، والآخورجي: المشرف على إطعام الحيوانات في الحظيرة، أضيف إلى شاغلها أحد كبار الأمراء فقيل: أمير آحور. الخطيب، معجم المصطلحات، مرجع سابق، ص٩.

(٤) جمع سائس، وسُواق، مفردها سواق أو سائق. الزعارير، البريد في مصر والشام، مرجع سابق، ص٨٦-٨٧.

(٥)المقريزي، الخطط، ج١، مصدر سابق، ص٦٣٣. مرجع آخر، الزعارير، البريد في مصر والشام، مرجع سابق، ص٨٦-٨٧. مرجع آخر، ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، ج١، ص٦١-٦٢.

(٦) الزعارير، البريد في مصر والشام، مرجع سابق، ص٨٧. مرجع آخر، سيد، التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي، ص١٠٣.

البريد في كل مركز ما يقارب خمسة وعشرينحصانًا[١].

بلغ البريد البري من السرعة حتى صار الخبر في عهد الملك الظاهر بيبرس يصل من قلعة الجبل إلى دمشق في أربعة أيام ويعود في مثلها[٢]، وفي عهد السلطان المنصور قلاوون زاد من اهتمامه بالبريد حتى وصل إلى سرعة لم يصل إليها نظام بريدي من قبل، فوصل البريد من قلعة الجبل بالقاهرة إلى دمشق في يومين وسبع ساعات[٣].

---

(١) ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد الأسدي الدمشقي (ت ٨٥١هـ)، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج١، تحقيق: عدنان درويش، دمشق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٤م، ص٢٢١. مرجع آخر، البكوش، دور البريد في خدمة الإدارة العسكرية عند المماليك، ص٥٩٧.

(٢) استخدم المسلمين في قياس الوقت الساعات المائية والساعات الرملية، وهما عبارة عن وعاء خاص يوضع فيه الماء أو الرمل وله ثقب صغير في أسفله يتسرب منه الماء أو الرمل بمعدل ثابت، ولعل أبرز هذه الساعات ما اهداه هارون الرشيد إلى ملك فرنسا شارلمان سنة ٨٠٧م. ابن عبدالظاهر، محيي الدين، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م. مصدر آخر، المقريزي، الخطط، ج١، ص٦٣٣.مرجع آخر، الجميلي، صادق محمود، من الموروث البغدادي قصة الساعات في بغداد، مجلة المورد، العراق، ع٤، مج٨، ١٩٧٩م، ص ص٥٣٩-٥٥٢، ص٥٤١. مرجع آخر، الزعارير، البريد في مصر والشام، ص٨٧. مرجع آخر، الجزار، النظام العسكري في دولة المماليك، ص١٠٥.

(٣) الشافعي، محمد بن خليل القدسي (ت ٨٨٨هـ)، دول الإسلام الشريفة البهية وذكر ما ظهر لي من حكم الله الخفية في جلب طائفة الأتراك إلى الديار المصرية، تحقيق: صبحي لبيب وأُولريش هارمان، بيروت، مؤسسة دار الريحاني، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ص٤١-٤٢. مرجع آخر، البكوش، دور البريد في خدمة الإدارة العسكرية عند المماليك، ص٥٩٥-٥٩٦.

وكثيرًا ما كانت تتعرض مراكز البريد للخراب والسلب والنهب، ويقوم السلاطين على إعادة إصلاحها وإعمارها، ففي سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م اختلت مراكز البريد فجمع لها السلطان الصالح إسماعيل بن محمد قلاوون[١] ثمانمائة فرس ووزعها على مراكز البريد[٢].

وفي سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م وردت الأخبار للسلطان المظفرحاجي بن محمد بن قلاوون[٣] باختلال مراكز البريد بطريق الشام، فجمع من الأمراء المماليك الخيول لتوزيعها على مراكز البريد، وجعل حصيلة بعض الإقطاعات مرصودة لمراكز البريد[٤].

وفي سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٥م طلب السلطان برقوق من الأمراء المماليك خيولًا لعمارة مراكز البريد التي كانت قد خُربت من قبل غارات تيمورلنك، فتم توزيع الخيول على مراكز البريد[٥].



(١) إسماعيل بن محمد بن قلاوون (ت ٧٤٦هـ) الملك الصالح، بويع بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الناصر أحمد سنة ٧٤٣هـ، كانت أمور الدولة مختلة فأصلحها وحسنت سيرته، توفي عن نحو عشرين سنة، تولى الملك بعد وفاته أخوه الكامل شعبان. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، مصدر سابق، ص ص٢١٩-٢٢٠. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج١، مرجع سابق، ص٣٢٤.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، مصدر سابق، ص٤٠٦. مرجع آخر، الزعارير، البريد في مصر والشام، ص٨٨.

(٣) حاجي بن محمد الناصر قلاوون (٧٣٢-٧٤٨هـ) الملقب بالملك المظفر، ولي الحكم بعد مقتل أخيه الكامل شعبان سنة ٧٤٧هـ، شُغل باللهو واللعب بالحمام، لصغر سنه، ساءت سيرته وفتك ببعض القواد، فعاجلوه بالقتل، مدة حكمه سنة وأربعة أشهر، الزركلي، الأعلام، ج٢، مرجع سابق، ص١٥٣.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٤، مصدر سابق، ص٤٦. مرجع آخر، الزعارير، البريد في مصر والشام، ص٨٨.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٥، مصدر سابق، ص٣٧١. مرجع آخر، الزعارير، البريد في مصر والشام، ص٨٨.

رتَّب الأيُّوبيون والمماليك أمر السعاة لنقل الرسائل في حال تعذر نقلها على دواب البريد، فالسعاة أو القصاد هم: الرجال الذين يسيرون على أرجلهم بالملطفات عند تعذر إيصالها بالبريد إلى ناحية من النواحي[1]، فينتدب كاتب السر بأمر السلطان من يُعرف بسرعة المشي وشدّة العدو للسفر ليوصل ذلك الملطف إلى المكتوب إليه والإتيان بجوابه، وربما كُتِب الكتابان فأكثر إلى الشخص الواحد في المعنى الواحد ويجهز كل منهما صحبة قاصد مفرد خوف أن يعترض واحد فيمضي الآخر إلى مقصده[2]، ويعتبر القاصد بمثابة المبعوث الخاص للرسائل المهمة.

وفي غالب الأمر عند مرور القصاد بأرض العدو والخوف من انكشاف أمرهم للعدو يمشون ليلًا ويكمُنُون نهارًا وإذا مشَوا في الليل يأخذون جانب الطريق، ويكون بين كل اثنين منهم مقدار رمية سهم حتى لا يُسمع لهم حس، فإذا طلع النهار كمنوا متفرقين مع مُواعدتهم على مكان معلوم يلتقون فيه عند المسير[3].

وللسعاة نقيب قائم على أمورهم في كل ممالك الدولة، ولهم رواتب معلومة تُصرف لهم في الحال حتى لا يتأخر أحدهم بعد أخذه الكتاب لحظة واحدة، وبلغ من سرعتهم في إيصال الرسائل أن الواحد منهم يصل من دمشق لقلعة الجبل في

(١) الأنصاري، تفريج الكروب، مصدر سابق، ص١٥. مرجع آخر، العجلاني، منير، عبقرية الإسلام في أصول الحكم، بيروت، دار النفائس، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٢٨١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، مصدر سابق، ص١٢٧. مرجع آخر، الزعارير، البريد في مصر والشام، ص٩٤.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، مصدر سابق، ص١٢٧.

ظرف أسبوع واحد مع راحة[١].

أدَّى البريد دورًا مهمًا في حركة الجهاد ضد الصليبيين والمغول وحفظ الأمن الداخلي، وشهدت بعض الحوادث الدور الكبير الذي قام به البريد البري في سرعة نقل الأخبار، والذي كان له دور في تغيير ميزان القوى في بعض المعارك أو في حفظ الأمن والقضاء على الشائعات، ومن أمثلة ذلك:

في موقعة الرملة[٢] سنة ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م حينما انهزم الجيش الأيوبي بقيادة صلاح الدين وصلت أخبار الهزيمة لمصر وانتشرت الشائعات بمقتل صلاح الدين، فكان للبريد الذي أرسله صلاح الدين عبر النجَّابين دور في تطمين الناس بسلامته والقضاء على شائعات مقتله[٣].

وفي سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م حاصر صلاح الدين الأيوبي قلعة الكرك عشرة أيام، ومع قلة الزاد، أمر جنوده بالرحيل والعودة إلى مصر، فبينما هم عائدون جاءت



---

(١) السحماوي، الثغر الباسم، ج١، مصدر سابق، ص٣٣٦.

(٢) بلدة بفلسطين، وكانت رباطًا للمسلمين، تبعد عن بيت المقدس مسير يوم، كثيرة المياه والفواكه، استنقذها صلاح الدين من الصصليبيين سنة ٥٨٣هـ وخرّبها خوفًا من معاودة استيلائهم عليها مرة أخرى. الحموي، معجم البلدان، مج٣، مصدر سابق، ص٦٩. مصدر آخر، ابن شاهنشاه، تقويم البلدان، ص٢٤١.

(٣)أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت ٦٦٥هـ)، الروضتين في أخبار الدولتين النُّورية والصلاحية، ج٢، تحقيق: إبراهيم الزيبق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٤٦٥. مرجع آخر، حماد، العيون والجواسيس، مرجع سابق، ص٥٠.

الأخبار عن طريق النجَّابين بانتصار ابن أخيه عز الدين فرخشاه[(١)] في غزوة دبورية[(٢)(٣)].

وفي سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م حاصر المغول قلعة البيرة[(٤)] فأرسل السلطان بيبرس أربعة آلاف فارس لفك الحصار عنها، وشرع السلطان بيبرس في تجهيز قوة بقيادته للتوجه للبيرة لفك الحصار عنها، فجاءته الأخبار عن طريق البريد بهروب المغول عند مشاهدتهم القوات المملوكية[(٥)]، "وكان السلطان، حين ورود هذا الخبر، بحمّام المخيم، فلم يهمل حتى يخرج، بل قرئ عليه وهو بداخل الحمام، وأمر بالكتابة إلى سائر الممالك بالبشارة"[(٦)].

---

(١) فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب (ت ٥٧٨هـ) أبو سعد، عز الدين، من ملوك الأيوبيين، صاحب بعلبك، ابن أخ صلاح الدين، ناب عنه في الشام، فقام بضبط أمورها وإصلاح أحوالها، كان كثير الصدقة والتواضع، له وقائع مع الإفرنج في ساحل الشام، له علم بالأدب والنثر. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٣، مصدر سابق، ص ص٧٥٨-٧٥٩. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٥، مرجع سابق، ص١٤١.

(٢) دبورية: بليدة قرب طبرية من أعمال الأردن. الحموي، معجم البلدان، مج٢، مصدر سابق، ص٤٣٧.

(٣) ابن شاهنشاه، محمد بن تقي الدين عمر الأيوبي (ت ٦١٧هـ)، مضمار الحقائق وسر الخلائق، ط٢، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥م، ص ص١١٩-١٢٠. مرجع آخر، حماد، العيون والجواسيس، ص٥٠.

(٤)البيرة: بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهي قلعة حصينة. الحموي، معجم البلدان، مج١، مصدر سابق، ص٥٢٦.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ج٣٠، تحقيق: نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي، مصدر سابق، ص١٦٦-١٦٧. مرجع آخر، نبهان، نظام البريد، مرجع سابق، ص٤٩.

(٦) ابن عباس، شافع بن علي، حُسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، ط٢، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله الخويطر، الرياض، مؤسسة الجريسي، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص١٧٩.

وفي سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م تولى السلطان المنصور قلاوون الحكم، والمغول يُعدون جيشًا لمهاجمة بلاد الشام، فكانت الأخبار تصل لقلاوون بتحركات المغول[١]، "ولما تأكدت هذه الأخبار عند مولانا السلطان بكُتب مُكاتبيه، وقُصاد أخباره الذين لا يزالون لمشافهة أخبارهم مُشافهيه. فإن مولانا السلطان مَلَكَ والمكاتبون ببلاد التتار مُنْبَثُون، ولغامض أخبارهم مكاتبون........ يُطالعون بالأخبار أوَّلًا بأول. ولهم رسوم جزيلة لا تنقطع عنهم، وأموال جمّة تُحمّل إليهم"[٢].

فكانت الأخبار تصل عبر البريد البري للسلاطين من أقاصي البلاد، مخبرةً بأحوال الأعداء وتحركاتهم.




(١) نبهان، نظام البريد، مرجع سابق، ص٤٩-٥٠.

(٢) ابن عباس، شافع بن علي، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص٥٤.

## المبحث الثَّاني

## الحمام الزاجل

الحمام هو: كل ذي طوق من الطيور، ومفرده حمامة، وهي تقع على المذكر والمؤنث، والجمع حمائم، وحمامات، وحمام[١]، والزَّجل: إرسال الحمام الهادي من مزجل بعيد، وزَجَل الحمام يَزجُلها زَجلًا: أرسلها على بُعد، وهي حمام الزَّاجِل[٢].

الحمام هو أشد الطيور ذكاءً، فهو يعرف علامات برجه وهو في الهواء، ويكون طيرانه مدورًا كمن يصعد المنارة، ولا يزال يصعد في الهواء حتى يرى شيئًا من علامات بلده، فإذا رأى ذلك يهبط إليه[٣].

اتُّخذ الحمام الزاجل لنقل المكاتبات لمسافات طويلة والعودة إلى موطنه وعُرف بأسماء مختلفة منها: الحمام الرسائلي، وحمام البطائق، والحمام

(١) ابن منظور، لسان العرب، مج١٢، مصدر سابق، ص١٥٨. مرجع آخر، عبدالعزيز، نبيل محمد، الحمام الزاجل وأهميته في عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، مصر، مج٢٢، ١٩٧٥م، ص٤١-٨٠، ص٤١. مرجع آخر، بوحليقة، محمد سعيد، نظام البريد وتطوره في الدولة الإسلامية، المجلة الليبية العالمية، ليبيا، ع١٥، مارس ٢٠١٧، ص ص١-١٤، ص١٢.

(٢) الفراهيدي، العين، ج٢، مصدر سابق، ص١٧٥. مصدر آخر، ابن منظور، لسان العرب، مج١١، ص٣٠١.

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٢٠، مصدر سابق، ص٧٩.

الهدي[١]، والهادي والهوادي[٢] لقدرته على الاهتداء إلى عشه ولو ابتعد عنه مسافات بعيدة[٣].

عرف سكان الشرق الأدنى القديم استخدام الحمام وغيره من الطيور لنقل الرسائل منذ أقدم العصور[٤]، كما جاء في قصة سيدنا سليمان - عليه الصلاة والسلام - مع الهدهد في نقل أخبار مملكة سبأ، وإيصاله رسالة سيدنا سليمان إلى ملكتهم لدعوتها إلى الإسلام وترك عبادة الشمس.

استُخدم الحمام الزاجل لنقل البريد عند المسلمين منذ أوائل العصر العباسي،

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، مصدر سابق، ص٣٨٩. مرجع آخر، الزعارير، البريد في مصر والشام، ص٩٦. مرجع آخر، أحمد،عبد الله محمد، الحمام الزاجل بين البريد والأدب، مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية - جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان، ع٢، مج١٣، نوفمبر ٢٠١٢م، ص١٧١-١٨٨، ص١٧٢.

(٢) الغريب، سلامة هليل، الحمام الهوادي في ترسل كتاب الإنشاء (في العصرين الأيوبي والمملوكي)، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، الأردن، ع٤، مج١٠، أكتوبر ٢٠١٤م، ص ص٢٢٥-٢٥٠، ص٢٣٠.

(٣) نصرة الله محمد، يوسف، الاستراتيجية العسكرية الإسلامية ضد الصليبيين حتى نهاية العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طيبة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص٥٣.

(٤) نبهان، عادل محمد، دور الحمام الزاجل في الصراع الصليبي الإسلامي في بلاد الشام (٤٩٠-٦٩٠هـ/ ١٠٩٧-١٢٩١م)، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، فلسطين، ع٧، نيسان ٢٠٠٦م، ص ص٣٨٩-٤١٢، ص٣٩٢.

ثم استخدمه الفاطميون والزنكيون، وازداد الاهتمام به في عصر الأيُّوبيين والمماليك نتيجة الظروف السياسية والعسكرية التي مر بها العالم الإسلامي [١]، فأنشأوا أبراجًا للحمام تبدأ من قلعة الجبل بالقاهرة إلى سائر أنحاء الدولة [٢]، وفي كل برج من هذه الأبراج رجال متخصصون بتدريبه يسمون البراجين [٣]، لهم مرتبات وأرزاق [٤].

نُظمت مطارات الحمام [٥]، وهي أبراجه التي يُسرح منها على مسافات مختلفة، وله محطات أشبه بمحطات البريد البرِّي، وربما زادت على مراكز البريد البري. ومن أهمها:

- من قلعة الجبل إلى قُوص وأسوان وعيذاب.
- من قلعة الجبل إلى الإسكندرية.
- من قلعة الجبل إلى دمياط.



(١) فرخ، ديوان البريد المملوكي، مرجع سابق، ص٧٧. مرجع آخر، البكوش، دور البريد العسكري الأيوبي، ص٢٣.

(٢) نبهان، دور الحمام الزاجل، مرجع سابق، ص٤٠٣.

(٣) البراج: لقب الموكل ببرج الحمام الزاجل الذي يعمل في حقل البريد، معروف من العصر العباسي. الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب، مرجع سابق، ص٧١.

(٤) الظاهري، زبدة كشف الممالك، مصدر سابق، ص١١٧.

(٥) انظر الشكل (٦).

- من قلعة الجبل إلى السويس[(١)].

- من قلعة الجبل إلى بلبيس[(٢)]، ومنها إلى غزة، ومنها إلى باقي الديار الشامية[(٣)].

يبدأ تدريب الحمام على الزجل بقيام البَرَّاج بإطعام الأفراخ من يده وسقيها من فمه، ثم يقوم بمتابعتها والمشي أمامها حتى تأنس، وبعد أن تشتد وتقوى على الطيران يضع كل أنثى مع ذكر ولا يطيرهما سويًا إلا بعد أن يألفا، ويقوم البَرَّاج بتدريب الحمام للطيران لمسافات أبعد مع وضع علم على البرج ليستدل به الحمام ويعود، ثم يرسل الحمام داخل أقفاص إلى البلد المراد مراسلته، فيقوم البَرَّاج الآخر بحبسه وإطعامه بيده حتى يألف عليه وعلى المكان، ثم يسرح أحد الزوجين إلى برجه السابق ويبقي الآخر حتى يعود[(٤)]، ويُنقل حمام كل برج إلى البرج الذي يليه، فإذا سُرح برسالة عاد إلى برجه الذي أَلِفَ عليه[(٥)]، وهكذا يُعمل في باقي الأبراج.

---

(١) بلد على ساحل بحر القلزم - البحر الأحمر - من نواحي مصر وهي ميناء أهل مصر إلى مكة والمدينة. الحموي، معجم البلدان، مج٣، مصدر سابق، ص٢٨٦.

(٢) مدينة على طريق الشام، تبعد عن فسطاط مصر بعشرة فراسخ. المصدر السابق، مج١، ص٤٧٩.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، مصدر سابق، ص٣٩٢.

(٤) الزعارير، البريد في مصر والشام، مرجع سابق، ص٩٩-١٠٢. مرجع آخر، صباغ، ميخائيل بن نقولا بن إبراهيم، مسابقة البرق والغمام في سعاة الحمام، مجلة المورد، العراق، ع٣، مج٢، حزيران ١٩٧٣م، ص ص١٤٤-١٥٢، ص ص١٤٩-١٥٠.

(٥) السحماوي، الثغر الباسم، ج١، مصدر سابق، ص٣٤٣.

وعند حدوث أمر مهم أو عند ورود بريد مما يحتاج إلى عرضه على السلطان من الأمكنة التي فيها أبراج الحمام، يُكتب على ورق الطير، وتُرسل بطاقتان، لاحتمال أن يعرض للطير عارض يمنعه من الوصول إلى مقصده،[(١)]، ويُعلَّق كل منهما في جناح طائر لحفظها من المطر ولقوة الجناح[(٢)]، فإذا وصل الطائر إلى البرج الذي أُرسل إليه، أمسكه البَرَّاج وأخذ البطاقة من جناحه وعلقها بجناح طائر من حمام البرج الذي يليه، وعل ذلك حتى ينتهي إلى برج القلعة فيأخذ البَرَّاج الطائر، والبطاقة في جناحه ويحضره إلى الدَّوادار[(٣)] فيضع البطاقة عن جناحه بيده، فإن كان الأمر الذي بالبطاقة خفيفًا لا يحتاج لمطالعة السلطان به، استقل الدَّوادار به، وإن كان مهمًا استدعى كاتب السر ليقرأهُ على السلطان[(٤)]، وقد لا يضع البطاقة من الطائر إلا السلطان بيده من غير واسطة أحد؛ فإن كان يأكل لا يُمهل حتى يفرغ، وإن كان نائمًا لا يُهمل حتى يستيقظ، بل يُنبه[(٥)].

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، مصدر سابق، ص ص١١٨-١١٩.

(٢) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م، ص٣١٣.

(٣) الدَّوادار: لقب لمن كانت مهمته تبليغ الرسائل والأوامر الموجهة من لسلطان. الخطيب، معجم المصطلحات، مرجع سابق، ص١٨٦.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، مصدر سابق، ص١١٩.

(٥) السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، مصدر سابق، ص٣١٤.

وجرت العادة في ورق الطير أن يُكتب عليه بقلم الغبار لدقته[1]، ولا يُكتب في أوائلها بسملة، ويُكتب في رأس الورقة في الوسط موضع الاسم: "الله الهادي. سُرح الطائرُ الميمونُ ورفيقُه، هداهما الله تعالى"، وتؤرّخ بالساعة واليوم والشهر والسنة، ولا يكثر في نعوت المخاطب فيها، ولا يذكر في البطائق حشو الألفاظ، ولا يُكتب إلا لبّ الكلام وزبدته، وتكون الأسطر متلاصقة بغير هامش، ويُكتب في آخرها: "وحسبنا الله ونعم الوكيل"، حفظًا لها[2].

أدى الحمام الزاجل دورًا بالغًا في حفظ المدن والثغور، لسرعته في نقل أخبار الأعداء وتحركاتهم في أسرع وقت من جهة وإيصال الأوامر والتَّعليمات لأنحاء الدولة من جهة أُخرى. ومن الأمثلة على ذلك ما حدث عند محاصرة الصليبيين لعكا[3]، فقد كان الحمام إحدى وسائل الاتصال بين صلاح الدين والمحاصرين في المدينة[4].

يقول في ذلك العماد الأصفهاني[5]: "ويحملون كتبًا وطيورًا ويعودون بكتب

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، مصدر سابق، ص١٣٢.

(٢) المصدر السابق، ج٧، ص٢٣٤. مصدر آخر، السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣١٤.

(٣) مدينة حصينة على ساحل بحر الشام، وقد حاصرها الصليبيون برًا وبحرًا لثلاث سنوات ٥٨٤-٥٨٧هـ. الحموي، معجم البلدان، مج٤، مصدر سابق، ص١٤٣-١٤٤.

(٤) صالح، أشرف، سيرة الحمام الزاجل التاريخية، دورية كان التاريخية، الكويت، ع٤، يونيو ٢٠٠٩م، ص ص٧٨-٨٣، ص٨٠.

(٥) محمد بن محمد بن حامد بن عبدالله بن علي، المعروف بالعماد الكاتب الأصفهاني =

وطيور، ونكتب إليهم ويكتبون إلينا على أجنحة الحمام بالترجمة المصطلح عليها سر الأمور، ويودع المكتوب والمكتوم ما نطلعهم عليه من الخفي المستور"[1].

وفي رجب من عام ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م[2] وقعت معركة بين المماليك بقيادة

=

(٥١٩-٥٩٧هـ) ولد في أصفهان، وقدم لبغداد واشتغل بصناعة الكتابة فبرع فيها، واتصل بالوزير ابن هبيرة فولاه نظر البصرة ثم واسط، وانتقل بعدها لدمشق وعمل بديوان الإنشاء زمن نور الدين وبعد موته التحق بصلاح الدين إلى أن مات، فاستوطن دمشق حتى توفي بها، له مؤلفات عديدة منها: خريدة القصر، البرق الشامي، الفتح القسي، السيل على الذيل، وله ديوان رسائل وديوان شعر. الحموي، معجم الأدباء، مصدر سابق، ص ص٢٦٢٣-٢٦٢٦. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٧، ص٢٦-٢٧.

(١) الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧هـ)، الفتح القُسي في الفتح القُدسي: حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس، (د. م)، دار المنار، ٢٠٠٤م، ص١٩٤. مصدر آخر، أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص١١٨.

(٢) في نهاية ربيع الأخر من سنة ٦٨٠هـ وصلت الأخبار لدمشق عن طريق القصاد بقدوم المغول، فجمع السلطان قلاوون الأمراء واستشارهم بموقع ملاقاة المغول فأشاروا عليه بأن يكون في مرج حمص بخلاف رغبة السلطان بأن يكون في مرج دمشق، وفي بداية جماى الآخرة بدأ خروج العساكر إلى حمص، وفي اليوم السادس والعشرين من نفس الشهر خرج السلطان مع بقية الأمراء الكبار، واجتمعوا عند قبر خالد بن الوليد- رضي الله عنه- وتعاهدوا أنهم لا ينهزمون، ثم تهيئوا لملاقاة جيش المغول بقيادة منكوتمر البالغ مائة ألف، وفي اليوم الرابع عشر من شهر رجب التقى الجيشان، فكسرت ميمنة التتار ميسرة المسلمين، وكسرت ميمنة المسلمين ميسرة المغول، فلما رأى منكوتمر إنكسار ميسرته نزل عن فرسه ونظر من تحت حوافر خيله الأثقال والدواب وقد سدت الأرض، فرمى الله الرعب في قلبه، وركب خيله وولى هاربًا، وحمل المسلمون عليهم حملة واحدة، فكتب الله لهم النصر. الدواداري، كنز الدرر،ج٨، مصدر سابق، ص ص٢٤١-٢٤٣.

السلطان قلاوون والتتار بقيادة منكوتمر[1] بالقرب من حمص، وكانت الغلبة في أوَّل الأمر للتتار، فأرسلت بطاقة على جناح طائر في أوَّل النهار ملطخة باللون الأسود - دلالة على الهزيمة - إلى دمشق، وما لبث أن تمكن الجيش المملوكي من معاودة الهجوم وهزيمة التتار في المعركة، فأرسلت البطائق على جناح الحمام تبشر بالنصر[2].

بلغ الاهتمام بالحمام الزاجل أن بلغ عددها في سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م ألف وتسعمائة طائر، موزعة في سائر أنحاء الدولة، في مصر والشام، وما بين أسوان إلى الفرات، تنقل من قلعة الجبل بالقاهرة إلى سائر الجهات، وكان لها علامات على أرجلها ومناقيرها تدل على أنها طيور سلطانية، وبلغت من السرعة أن وصلت من قلعة الجبل إلى دمشق في يوم واحد، وكان ذلك في سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م[3].



(١) منكوتمر بن هولاكو بن تولي قان بن جنكيز خان، أخو الملك أبغا مقدَّم التتار، كان ذا شجاعة وإقدام وسفك دماء، قصد بلاد الشام ، واعتراه صرع، فتوفي سنة إحدى وثمانين وستمائة وقيل توفي آخر سنة ثمانين وستمائة، بقرية تلّ خنزير وعمره ثلاثون سنة أو أكثر، الصفدي. الوافي بالوفيات، ج٢٦، مصدر سابق، ص٤٢٨-٤٢٩.

(٢) الدوادار، بيبرس المنصوري (ت ٧٢٥هـ)، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: دونالد س، ريتشاردز، بيروت، مؤسسة حسيب درغام وأولاده، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ص١٩٧-١٩٩. مصدر آخر، الدواداري، كنز الدرر، ج٨، ص ص٢٤٤-٢٤٥.

(٣) المقريزي، الخطط، ج٣، مصدر سابق، ص ص١٠٩-١١١.

## المبحث الثَّالث

### المناور

المناور: هي مواضع رفع النار في الليل والدخان في النهار[1]، للإعلام بحركات العدو، فإن كان في الليل أوقدوا النار على رأس جبل عال، وإن كان في النهار أثاروا الدخان، فيراهم من على رأس الجبل الذي يليه، فيفعل كذلك حتى يصل الخبر إلى المكان المقصود[2].

يقول العرب: أشهر من نار على علم، والعلم: هو الجبل، وحيث إن دائرة الأفق تتسع بالارتفاع[3] فقد استفاد المسلمون في المناطق الجبلية من هذه الظاهرة بنقل الرسائل العاجلة عن طريق المنارات[4].



(١) العمري، التعريف بالمصطلح، مصدر سابق، ص٢٥٩. مصدر آخر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص٣٩٨.

(٢) الأنصاري، تفريج الكروب، مصدر سابق، ص١٢.

(٣) توجد معادلة رياضية بين الارتفاع ودائرة الأفق، فكلما ارتفع موقع النظر اتسعت دائرة الأفق، فالواقف على الأرض لا يرى إلا ميلين، بينما يرى الواقف على هضبة ارتفاعها١٠٠ قدم نحو ١٠ أميال، فوضع المنارات على الجبال والأماكن العالية يقلل من عددها، على سبيل المثال إذا كانت الأرض المنبسطة تحتاج إلى ٢٥ منارة، فإن الأرض الجبلية لا تحتاج إلى أكثر من منارتين. الشيراوي، يوسف أحمد، الاتصالات والمواصلات في الحضارة الإسلامية، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٢م، حاشية ص٣٨.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

والمناور تارةً تكون على رؤوس الجبال، وتارةً تكون على أبنية عالية، وتمتد من أقصى الثغور الإسلاميَّة كالبيرة والرُّحبة(١) حتى غزة(٢)، ومنها ينتقل الخبر إلى قلعة الجبل عن طريق الحمام الزاجل، فيصل الخبر في يوم واحد(٣) وتفرعت من هذه الطرق عدة مناور في نواحي الدولة بلغت ما يقارب الثلاثين منورًا(٤).

والسبب لانقطاع المناور عند غزة أنه لا توجد جبال ومرتفعات في الطريق للقاهرة، فالمناور تحتاج قممًا عالية كي تُشاهد النار إذا أشعلت في منارة لتشاهد في المنارة التالية، فتقوم وسائل البريد الأخرى كدواب البريد والحمام الزاجل بنقل الرسائل(٥).

ووضعت المناور من ظاهر بيروت إلى رأس بيروت العتيقة، فجبل بوارش(٦)،



(١) الرُّحبة: مدينة على الفرات بين الرقة وعانة، وقد خُربت، واستحدث شيركوه بن أحمد شيركوه صاحب حمص في جنوبها الرحبة الجديدة، على نحو فرسخ من الفرات، وأصبحت محط القوافل من العراق والشام، وهي أحد الثغور الإسلامية. ابن شاهنشاه، تقويم البلدان، مصدر سابق، ص٢٨١.

(٢) انظر الشكل (٧).

(٣) ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، مصدر سابق، ص٢٥٩-٢٦١. مصدر آخر، الأنصاري، تفريج الكروب، ص١٢-١٣.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، مصدر سابق، ص٣٩٩.

(٥) الزعارير، البريد في مصر والشام، مرجع سابق، ص١١٢. مرجع آخر، الشيراوي، الاتصالات والمواصلات، ص٣٩.

(٦) جبل بوارش: هو أحد فروع جبل لبنان. بن يحيى، صالح (عاش في القرن ٩هـ)، تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البُحْتُريين من بني العرب، ط٢، تحقيق: لويس شيخو اليسوعي، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٢٧م، حاشية ٨، ص٤٠.

ومنه إلى جبل يبوس[١]، ومنه إلى جبل الصالحية، ومنه إلى قلعة دمشق، فيصل الخبر في ليلة[٢].

وأخذت هذه المناور عن ملوك الهند، ففي بلادهم مناور على جبال عالية، تُرى النار فيها على بُعد[٣]، واستعملتها الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى وبلاد الشام إبان سيطرتها السابقة على هذه البلاد[٤].

واستعملها الأيُّوبيون والمماليك في حروبهم مع الصليبيين والمغول لنقل الأخبار، وعُدت من أسرع الوسائل لمعرفة تحركات العدو. وأرصدوا في كل منور الديادب[٥] والنظارة لرؤية ما وراءهم وإيراء ما أمامهم، وجعلوا لهم رواتب مقررة[٦]،

(١) جبل يبوس: هو جبل بالشام بوادي التَّيم من دمشق، المصدر السابق، حاشية ٩، نفس الصفحة.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة. مرجع آخر، الشدياق، طنوس (ت ١٨٦١م)، أخبار الأعيان في جبل لبنان، ج١، نظر فيه ووضع مقدمته وفهارسه: فؤاد أفرام البستاني، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٦٩م، ص٢٠٩. مرجع آخر، فرخ، ديوان البريد المملوكي، ص٧٩.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، مصدر سابق، ص٤٠٠.

(٤) الهذّال، ناديا أحمد على، البريد وطرقه في بلاد الشام والعراق في العصر العباسي (١٣٢-٤٥٠هـ/ ٧٥٠-١٠٥٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٦م، ص١٤٣. مرجع آخر، ميتز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ط٥، مج٢، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، بيروت، دار الكتاب العربي (ب. ت)، ص٤٢٢.

(٥) الديدب والديدبان، كلمة فارسية مركبة من ديد أي نظر، ومن بان أي صاحب، ادّي شير، معجم الألفاظ الفارسية ،مرجع سابق، ص٦١.

(٦) ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح، مصدر سابق، ص٢٥٩. مصدر آخر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٣٩٨.

ويكون ذلك بإظهار الدخان بطريقة مُعيَّنة في النهار، وفي الليل يكون التلويح بالنيران بطريقة لا يفهمها إلا الديدبان، الذي كان يُشترط عليه أن يكون حاد النظر حتى يُحدد معاني الإشارات المرسلة(١)، ولهذه الإشارات دلالات على حالة العدو أو عدده أو غير ذلك(٢)، فهي بمثابة أنظمة إنذار مبكر في العمليات العسكرية(٣).

وقد استخدم الأيوبيون تلك الإشارات عند حصار الصليبيين لهم في عكا سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م(٤)، فكلما أحدث الصليبيون ثغرة في سور عكا "أشارت الحامية على الفور بعلامة ما إلى صلاح الدين الذي كان يشن في الحال هجومًا على المعسكر، ومن ثمّ يسحب المعتدين بعيدًا عن الأسوار"(٥).




وكان الملك المعظم عيسى يرتب النيران على الجبال، من نابلس(٦) إلى عكا،

---

(١) نصرة الله محمد، الاستراتيجية العسكرية، مرجع سابق، ص٥٦.

(٢) ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح، مصدر سابق، ص٢٥٩. مصدر آخر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص٣٩٨. مرجع آخر، الزعارير، البريد في مصر والشام، ص١١٣.

(٣) شتاين، النظم البريدية، مرجع سابق، ص٢٥٥.

(٤) نصرة الله محمد، الاستراتيجية العسكرية، مرجع سابق، ص٥٦.

(٥)رانسيمان، ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية، ج٣، ترجمة: نور الدين خليل، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص٨٧.

(٦) نابلس: مدينة بأرض فلسطين بين جبلين، كثيرة الماء، أرضها حجر. الحموي، معجم البلدان، مج٥، مصدر سابق، ص٢٤٨.

وله جواسيس على جبل الكرمل[١] - المقابل لعكا - من الصليبيين يخبرونه بتحركات أعدائه عن طريق شفرات سرية متفق عليها، وأكثرهم من نساء الخيالة، وكانت طاقات بيوتهم مقابلة الكرمل، فإذا علموا بخروج الفرنج لمهاجمة المسلمين فتحت المرأةُ طاقاتها، فإن خرج مائة فارس، أوقدت شمعة واحدة، وإن كانوا مائتين أوقدت شمعتين، وتُشير بهذه الشموع إلى الجهة التي يُريد الفرنج قصدها، فما إن يقصدوا جهة حتى يجدوا جنود المعظم أمامهم، وكان لهؤلاء النسوة الجواسيس مال وفير يُمنح لهم مقابل تجسسهم لصالح المسلمين[٢].

اقترن استخدام المناور بفترة الفتن والحروب بين الأيُّوبيين والمماليك وبين أعدائهم من مغول وصليبيين، وهذا النوع من البريد استخدم للأمور العسكرية دون غيرها، وشكل دورًا هامًا مع وسائل البريد الأخرى (البريد البري والحمام الزاجل) في سرعة نقل الأخبار وتبادلها بين أطراف الدولة[٣].



---

(١) الكرمل: جبل مشرف على حيفا بسواحل بحر الشام، المصدر السابق، مج٤، ص٤٥٦.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، مصدر سابق، ص٩٤. مرجع آخر، سيد، التجسس، ص١١١.

(٣) البكوش، دور البريد، مرجع سابق، ص٦٠٠. مرجع آخر، شتاين، النظم البريدية، ص٢٥٥.

## المبحث الرَّابع

### إخفاء الرسائل

استخدم الأيوبيون والمماليك الحيلة لإخفاء الرسائل عند تعذر إيصال البريد بالطرق التقليدية، بسبب الأعداء، فعرفوا وسائل متنوعة لإيصال رسائلهم السِّرِّيَّة حتى لا ينكشف أمرها، ومن هذه الطرق: استخدام السهام والملطفات ونقل الرسائل عبر الممرات المائية وتصغير الكتابة.

استخدمت السهام لنقل الأخبار غالبًا في أيام الحصار وانقطاع السبل، وذلك بالكتابة عليها ورميها إلى المكان المراد إرسال الخبر إليه(١)، وذلك بالكتابة بورق الملطفات، حيث تُلف كالبطاقة وتربط على سهم في نشاب، ويُرمى به إلى أعلى القلعة، فيقع على من يأخذ السهم الموجود ويوصله إلى نائب القلعة(٢)، وقد استخدمها الأيُّوبيون والمماليك في حصار القلاع.

في سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م حاصر الجيش الأيوبي آمد(٣)، وأمر صلاح الدين أن يُكتب على السهام إلى من في الحصن، عبارات فيها ترغيب وتهديد لمن بداخله

(١) زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، ج١، القاهرة، مطبعة الهلال، ١٩٠٢م، ص١٨٣.

(٢) ابن كنان، حدائق الياسمين، مصدر سابق، ص٧٦. مرجع آخر، سيد، التجسس، ص١٠٣.

(٣) بلد قديم حصين، على نهر دجلة، وهي أعظم مدن ديار بكر. الحموي، معجم البلدان، مج١، مصدر سابق، ص٥٦.

يحثهم على الاستسلام[١].

في سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٨م حاصر الصليبيون دمياط من البر والبحر، وحفروا على معسكرهم خندقًا، وبنوا عليه سورًا، ومنعوا الأقوات عن أهل المدينة، فخرج السلطان الكامل لمواجهتهم ولم يستطع الوصول إليها لمناعة التحصين، فاشتد الأمر على أهل دمياط وقلت المؤن، وكان من أهل دمياط أحد الأمراء[٢]، فكتب أبياتًا من الشعر يستنجد بها الكامل ليفك الحصار عن أهل المدينة، وربطها في سهم نشاب وألقاها على معسكر الكامل، وجاء في مطلعها:

يا مالكي دمياط ثغر هُدِمت ... الله ضامن أجره وكفيله شرفاتهُ
يقريك من أزكى السلام تحية ... كادت تجث أصولهُ
ويقول عن بعد وإنك سامع ... كالمسك طاب دقيقه وجليلهُ
يا أيها الملك الذي ما إن يرى ... حتى كأنك جاره ونزيلهُ
هذا كتاب موضح من حالتي ... بين الملوك شبيهه وعديلهُ
أشكو إليك عدو سوء أحدقت ... ما ليس يمكنني لديك قولهُ

وما إن وصلت الرسالة للكامل إلا وأرسل إلى أهل القاهرة ومصر بالنفير للجهاد[٣].

(١) البنداري، الفتح بن علي (ت ٦٤٣هـ)، سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحية النبراوي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٩م، ص٢١٨. مرجع آخر، البلوي، نظم الاستخبارات، ص٢٠.
(٢) الأمير جمال الدين الكناني. المقريزي، السلوك، ج١، مصدر سابق، ص٣١٦.
(٣) المصدر سابق، ص٣١٦-٣١٧.

وفي حصار عكا سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م وقع على معسكر المسلمين من القلعة سهم وفي نصله ورقة مشدود عليها بخيط، فأخذه الجنود وأحضروه إلى السلطان الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون فوجد فيها مكتوبًا بالعربي:

"بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، إن الدين عند الله الإسلام، يا سلطان المسلمين احفظ عسكرك من الكبسة في هذه الليلة، فإن أهل عكا قد اتفقوا على ذلك، وهم قاصدون الهجوم عليك، واحتفظ أيضًا من أمرائك فإنهم ذكروا أن فيهم تخابرًا عليك".

وكانت هذه الورقة مرسلة من شخص يكتم إسلامه من أهل عكا، فأمر السلطان أن يُبلغ الأمراء بهذا الأمر سرًا فيما بينهم، وأن يحتفظ كل أمير بمكانه، فما أن هجم الفرنج على مواقع العسكر حتى وجدوهم مستعدين لهم، فتصدوا لهم وهزموهم[(١)].

وقد استخدمت الملطفات لنقل الرسائل السِّرِّيَّة، فبعد الكتابة عليها تُلف وتُختم ثم توضع في مكان خفي كنصاب سكين، أو سواك، أو عصا، أو عكاز ونحو ذلك، بحيث تُجوف من داخلها، وتوضع الرسالة السِّرِّيَّة، وتُسلم إلى من أُرسلت إليه سرًا[(٢)].

---

(١) العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ)، عِقد الجُمان في تاريخ أهل الزمان، ج٣، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص ص٥٧-٦٠.

(٢) الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج٢، مصدر سابق، ص٢٦٨. مصدر آخر، ابن كنان، حدائق الياسمين، ص٧٦.

وفي سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م أثناء تولي صلاح الدين الأيوبي الوزارة في مصر، تآمر مؤتمن الخلافة مع جماعة من المصريين للقضاء على صلاح الدين، فقاموا بمراسلة الصليبيين طلبًا للمساعدة، وسيروا كتابًا مع شخص يثقون فيه، فصادف أن لقيه رجل تركماني، فرأى معه نعلين جديدين ليس بهما أثر مشي، وكان رث الهيئة، فأرتاب في ذلك وقام بأخذ النعلين إلى صلاح الدين، ففتقهما، فوجد الرسالة وعلم بأمر الخيانة(١).

وفي رجب سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م وأثناء محاصرة الظاهر بيبرس لقلعة شقيف أرنون(٢) قدم قوم مسلمون من عكا ومعهم كتب إلى من بالقلعة، وكانت أوراقًا مقصوصة عوض الكتابة بالخط الفرنجي، فتُرجمت فكان مضمونها: "لا يهولنكم نزول هذا العدو عليكم، وقاتلوه أشدَّ قتال، وإن احتجتم إلى شيءٍ تصرفونه فيما يعينكم عليه فخذوا من فلان"، وسموا لهم رجلًا، وذكروا أمورًا باطنة تؤكد وصاياهم لهم، فلما وقف بيبرس على ما في الكتب من الأسرار، أمر أن يُكتب مثلها وأن يُزاد فيها: "وإن أنتم رأيتم من أنفسكم عجزًا عن قتاله، فسلّموا الحصن إليه، واجعلوا فيما تشترطون عليه سلامة أنفسكم وأولادكم وحريمكم"، ثم أعاد إرسال

---

(١) ابن الأثير، الكامل، مج١٠، مصدر سابق، ص١٨-١٩. مصدر آخر، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص١٣٠-١٣١. مرجع آخر، البلوي، نظم الاستخبارات، ص٢٣. مرجع آخر، خضر، مهدي قادر، الأمن في مصر في العصر الأيوبي، أربيل، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، ٢٠١١م، ص٢٣١.

(٢) شقيف أرنون: قلعة حصينة في كهف من الجبل، قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل. الحموي، معجم البلدان، مج٣، مصدر سابق، ص٣٥٦.

الكتب وزاد في مضايقة الحصن، فلما وصلتهم الكتب وتيقنوا صحتها بما وجدوا من العلامات التي لا يمكن أن يطلع عليها سواهم، أرسلوا إلى بيبرس في طلب الصلح[(١)].

واستخدمت طريقة لف شريط من الورق على قضيب والكتابة عليه، ثم يُحل الشريط ويرسل إلى الشخص المقصود بالرسالة، فيقوم بلف الشريط مرَّة أخرى على قضيب يماثل الأوَّل في قطره، فيقرأ الرسالة[(٢)].

وطريقة العمل بها أن يُكتب على الورقة بعد طيها عدة طيات، ربع حرف أو نصف حرف، ثم تفرد الورقة، وتملأ الفراغات بما يكون جملًا جديدة ذات معنى آخر مختلف تمامًا عن المعنى المخفي، وعند وصول الرسالة إلى مقصدها، يعيد طيها فتظهر الرسالة المخفية[(٣)].



وقد استخدم الأيُّوبيين والمماليك الممرات المائية لنقل الرسائل السِّرِّيَّة، فكانت الرسائل تُكتب على وَرَق ويعلق بقصبة وتُغرس القصبة في باقة حشيش وتُلقى في الماء فيعوم الحشيش ولا يزال جاريًا بمجرى النهر حتى يراه المُرسل إليه[(٤)].

---

(١) ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، مصدر سابق، ص ص٢٦٩-٢٧٠.

(٢) ابن دنينير، مقاصد الفصول: علم التعمية، ج٢، مراياتي وآخرون، مصدر سابق، ص١٨٤.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة. مصدر آخر، الزرخوني، زهر البساتين، ص١٧٣، انظر الشكل (٨).

(٤) سيد، التجسس، مرجع سابق، ص١٠٢. مرجع آخر، زيدان، تاريخ التمدن، ج١، ص١٨٣. مرجع آخر، سعداوي، نظام البريد، ص١٥٧.

وفي بعض الأحيان توضع الرسالة ضمن صندوق محكم الإقفال، ويُجعل ثقله متوازنًا، بحيث لا يطفو على سطح الماء ولا يغرق في قاعه، بل يكون متوسطًا بينهما منعًا لظهوره، ثم يُلقى في النهر فيندفع بالماء حتى يصل إلى المرُسل إليه فيلتقطه عبر شباك أُعدت لذلك[١].

ويُستخدم العوامون عند الحصار لنقل الأخبار، وهذا ما حدث في حصار عكا سنة٥٨٧هـ/ ١١٩١م، فكان رجل يعرف بعيسى العوام[٢]، يقوم بالسباحة ليلًا بين مراكب الفرنجة نحو عكا، حاملًا معه الرسائل والأموال، وفي إحدى الليالي عام ومعه ثلاثة أكياس فيها رسائل ونفقات الجند، فلم يرجع ووجد بعدها ميتًا على ساحل البحر[٣].

وفي حصار الصليبيين لدمياط سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م لم يستطع الكامل الوصول إلى أخبار أهلها إلا عن طريق رجل من الجاندارية[٤] يدعى شمايل[٥] كان يخاطر بنفسه،



---

(١) سيد، التجسس، مرجع سابق، ص١٠٢-١٠٣. مرجع آخر، سعداوي، نظام البريد، ص١٥٧.

(٢) عوام مسلم من مدينة عكا، قام بدور نقل الرسائل والأموال للمحاصرين في عكا، بالغوص بين مراكب الإفرنج ليلًا، غرق في البحر أثناء عومه لإيصال الرسائل والأموال للمحاصرين في عكا، ابن شداد، النوادر السلطانية، مصدر سابق، ص ص٢٠٦-٢٠٧.

(٣) الأصفهاني، الفتح القسي، مصدر سابق، ص٢٢٣-٢٢٤.

(٤) الجاندار: لفظ مركب من جان التركية، وهي بمعنى الروح، ودار الفارسية، بمعنى مالك أو صاحب، وأمير جاندار لقب موظف من العصرين الأيوبي والمملوكي، من مرتبة أمراء الطبلخاناه، مهمته تنظيم دخول الأمراء على السلطان، وتقديم البريد له مع الدودار، يعمل بإمرته صنف من العسكر يسمون: برداداية أو جاندارية. الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب، مرجع سابق، ص٤٣-٤٤.

(٥) قدم إلى القاهرة من بعض قرى حماة، وصار يخدم في الركاب السلطاني جاندار، حظي بمكانة كبيرة عند

=

ويسبح في النيل بين مراكب الفرنج، ويدخل إلى مدينة دمياط، ويأتي السلطان بأخبار أهلها، فإذا دخل إليها قوى قلوب أهلها، ووعدهم بقرب وصول النجدات إليهم[1].

ظهرت في القرن الثامن الهجري فكرة تصغير الكتابة عند المسلمين إلى حد لافت للانتباه، وكأنهم أرادوا أن يوضحوا للعالم بأن هذا اللون من الكتابة المصغرة قد يكون الأنسب لإخفاء المعلومات والرسائل الهامة في مستقبل الأيام، وهو ما ظهر في القرن العشرين الذي شهد مولد التقارير الميكروسكوبية، والتي تتم فيها تصغير صفحة كاملة في حجم الدبوس بواسطة ميكرو كاميرا، والمدهش أن المسلمين لم تكن لديهم سوى أدوات محدودة لتصغير الكتابة، ومارسوا هذا اللون من الفن على الحبوب، والتي لم تكن لأغراض عسكرية ولا سياسية، وإنما كانت عبارة عن ترف فني، قُصد منه إظهار المهارة في هذا اللون من الكتابة[2].

واشتهر في تصغير الكتابة في هذا العصر عدة أشخاص منهم:

- شهاب الدين أحمد الحموي النقاش (ت ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)، كتب الختمة الشريفة من أولها إلى آخرها على خوصة[3]، وقدمها هدية للسلطان الملك الناصر

=

السلطان الكامل نتيجة جهوده في حصار دمياط، وجعله أمير جاندارة، وولاه القاهرة، وإليه تنسب خزانة شمايل. المقريزي، السلوك، ج١، مصدر سابق، ص٣١٦.

(١) المصدر السابق، ص٣١٥-٣١٦.

(٢) البلوي، تاريخ أمن المعلومات، مرجع سابق، ص ص١٥٦-١٥٧.

(٣) الخوص: ورق النخل والنارجيل ونحوه. الفراهيدي، العين، ج١، مصدر سابق، ص٤٥١.

محمد بن قلاوون[1].

- جواد بن سليمان بن غالب اللخمي (ت ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)، كتب مصحفًا شريفًا، كتابة دقيقة متقنة، يُقرأ في الليل، وزنه أوقية، واستخدم لذلك مدادًا يشبه (الأشياء الفسفورية) التي تضيء في الظلام، وكتب آية الكرسي على أرزة[2].

- ابن الزمكحل عماد الدين إسماعيل بن عبد الله الناسخ (ت ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م)، كان أعجوبة عصره في كتابة قلم الغبار، كتب آية الكرسي على أرزة، وكذلك سورة الإخلاص، كتابة بينة بتمامها وكمالها لا ينطمس منها حرف واحد[3].

- أحمد بن مسعود بن خليفة المكي (ت ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م)، كان بارعًا في الخط، كتب سورة الإخلاص على أرزة[4].

- عبد الله بن محمد بن أبي عبد الله السوسي المصري (ت ٩٠٣هـ/ ١٤٩٨م)،



---

(١) الجبوري، الغباريون، مرجع سابق، ص١٥٥.

(٢) ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج١، تحقيق: سالم الكرنكوي الإلماني، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٦هـ، ص ص٥٤٠-٥٤١. مرجع آخر، الجبوري، الغباريون، ص١٥٤.

(٣) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١١، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، ص٣٠٨. مصدر آخر، ابن العماد، شذرات الذهب، مج٨، ص٥١٧.

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ص٢٢٦. مرجع آخر، الجبوري، الغباريون، ص١٥٥.

كان أعجوبة عصره في صناعة الأشياء الدقيقة، كتب سورة الإخلاص وآية الكرسي وقصيدة مديح من نظمه، في ورقة رقيقة من عجين، ثم وضعها في بحة كزبرة يابسة بعد أن فلقها فلقتين، ثم غطاها بالفلقة الثَّانية فعادت حبة الكزبرة كما كانت، ولا يفطن لها الناظر[١].

إن ممارسة هذا النوع من الفن تحتاج إلى صناعة أقلام دقيقة، وأنواع خاصة من الحبر الذي يمكن الكتابة به على هذه الأنواع من الحبوب، كذلك يتطلب الأمر صبراً وأناة من المتعامل مع هذا اللون من الكتابة[٢].



(١) المصدر السابق، ص١٥٥.

(٢) البلوي، تاريخ أمن المعلومات، مرجع سابق، ص١٥٨.

# الفصل الخامس

# الاستخدامات المختلفة للشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة

- **المبحث الأوَّل**: استخدام الشَّفرة في المسائل الفقهية.
- **المبحث الثَّاني**: استخدام الشَّفرة في المسائل النحوية.
- **المبحث الثَّالث**: استخدام الشَّفرة عند الفرق والجماعات الدينية.

## المبحث الأوَّل

## استخدام الشفرة في المسائل الفقهية

تنوَّعت أساليب العلماء في عرض مسائل الفقه الإسلامي، وابتكروا طرقًا متنوعة في بحثه وعرضه، ومن تلك الطرق: أسلوب الألغاز الفقهية.

واللغز في اللغة: هو الكلام الملبس، أما الألغاز الفقهية فهي: تلك المسائل التي يُقصد إخفاء وجه الحكم فيها عن طريق اللغز والتعمية والأحجية قصدًا إلى تشحيذ الأذهان، وتحلية للتنويع[1].

ويؤصل الفقهاء علم الألغاز الفقهية بما أخرجه الشيخان عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي – ﷺ – قال: **أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُ، أو كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ، لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا، وَلَا، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ**. فوقع الناس في شجر البوادي، قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكرٍ وعمرَ لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئًا قال رسول الله، ﷺ: **هِيَ النَّخْلَةُ**. فلما قُمنا قلت لعمر: يا أبتاه! والله لقد وقع في نفسي أنها النخلة. فقال: ما منعك أن تكلم؟ قال: لم أركم

(١) ابن الشحنة، إبراهيم بن أبي اليمن محمد بن أبي الفضل ابن الحنفي (ت ٩٢١هـ)، الذخائر الأشرفية في ألغاز الحنفية، تصحيح: فاطمة شهاب، القاهرة، المكتبة الازهرية للتراث، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٣. مرجع آخر، حميش، عبد الحق، منهج الألغاز وأثره في الفقه الإسلامي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، ع٥٤، مج١٨، سبتمبر٢٠٠٣م، ص ص٢١٩-٢٧٩، ص٢٢٠.

تكلمون؛ فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئًا. قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إليَّ من أن كذا وكذا[1].

استخدم الرسول - ﷺ - أسلوب التلغيز للصحابة الكرام بسؤالهم عن شجرة تُشبه المسلم، شحذًا لأذهانهم، وحثهم على التفكير، والربط بين صفات المسلم والنخلة.

وتُعد الألغاز الفقهية لونًا من ألوان ترسيخ الأحكام الشرعية في نفوس طلبة العلم الشرعي، أبدع فيه العلماء من القرن السادس الهجري. وقد دون العلماء ألغازهم على الأبواب الفقهية المختلفة، ليحصل لطلاب العلم الدُربة على استخراج الأحكام من الأدلة بعد التفكير[2].

ومن أشهر المؤلفات في الألغاز الفقهية في عصري الأيُّوبيين والمماليك، والتي ذكرها عبد الحق حميش[3]:

- الإعجاز في الألغاز: عبد العزيز الجيلي (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٤٥م).

(١) اليحيى، يحيى بن عبد العزيز، الجمع بين الصحيحين للحفاظ، ج١، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٣٥هـ، ص١٨. مرجع آخر، الهلالي، سعد الدين، الألغاز الفقهية في مسائل العبادات والمعاملات والمواريث للتدريب على الفقه المقارن والتعددية الفقهية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥م، ص١٥.

(٢) الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن حسن (ت ٧٧٢هـ)، طراز المحافل في ألغاز المسائل، تحقيق: محمد عثمان، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠١٣م، ص٨.

(٣) حميش، منهج الألغاز، مرجع سابق، ص٢٦١-٢٦٣.

- الألغاز: أبو حفص شرف الدين الحموي المعروف بابن الفارض (ت ٦٣٦هـ).

- الغاز المحب الطبري الشافعي (ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م).

- الإيجاز في الألغاز: إبراهيم بن عمر الجعبري الخليلي (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م).

- الأشباه والنظائر: تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م).

- الألغاز الفقهية والمسمى طراز المحافل في ألغاز المسائل: جمال الدين عبد الرحيم بن حسن الأسنوي (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م).

- درة الغواص في محاضرة الخواص: برهان الدين إبراهيم بن فرحون (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م).

- رد على كتاب الألغاز للأسنوي: أحمد بن حجي (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م).

- خواص البرية في الألغاز الفقهية: يوسف بن خالد بن نعيم البساطي المالكي (ت ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م).

- الألغاز: الشريف عز الدين حمزة بن أحمد الدمشقي الشافعي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م).

- حلية الطراز في حل مسائل الألغاز على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: أبي بكر بن زيد الجراعي (ت ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م).

- الذخائر الأشرفية في ألغاز الحنفية: عبد البر بن محمد بن الشحنة (ت ٩٢١هـ/ ١٥١٥م)[1].

---

(١) يوجد مصدر بنفس الاسم مع اختلاف اسم المؤلف، منسوب إلى أبي الوليد بن إبراهيم بن أبي اليمن محمد بن أبي الفضل ابن الشحنة الحنفي، تم الرجوع إليه سابقًا.

يحتاج المشتغل بالألغاز الفقهية ذكاءً وبديهة صافية وقلمًا فصيحًا ومعرفة دقيقة واستيعاب مسائل الفقه، وخاصة ما كان نادرًا منها[1]، ومن أمثلة الألغاز الفقهية ما يلي:

• خمسة أشخاص زنوا بامرأة، وجب على أحدهم القتل والثَّاني الرجم والثَّالث الحد والرَّابع نصف الحد والخامس لا شيء عليه.

والجواب: الأوَّل استحل الزنى فكفر، والثَّاني زانٍ محصن، والثَّالث غير محصن وهو حر، والرَّابع عبد، والخامس مجنون لا شيء عليه[2].

• صلاة يجب أداؤها ولا يجب قضاؤها، بل ولا يجوز.

والجواب: في الجمعة؛ فإنها لا تُقضى إذا فاتت، وإنما تقضى الظهر، والظهر صلاة أخرى ليست بدلًا عن الجمعة[3].



• شخص أحرم بالحج مرتين في عام واحد.

والجواب: شخص أحرم بالحج ثم أُحْصر فتحلل بعمرة لما غلب على ظنه أن

(١) ابن فرحون المالكي، برهان الدين إبراهيم (ت ٧٩٩هـ)، درة الغواص في محاضرة الخواص، تحقيق: محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، تونس، المكتبة العتيقة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٤٥.

(٢) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ)، الأشباه والنظائر، ج٢، تحقيق: عادل أحمد عبد الجواد وعلي محمد عوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٣١٨.

(٣) الإسنوي، طراز المحافل، مصدر سابق، ص١٠٩.

الإحصار لا يزول، ثم زال والوقت باق فأحرم بالحج ثانيًا[(١)].

• رجل حلف أن فرض الصلاة في اليوم والليلة سبع عشر ركعة.

وحلف آخر أن فرضها خمس عشرة ركعة.

وحلف آخر أن فرضها إحدى عشرة ركعة.

وحلف آخر أن فرضها تسع عشرة ركعة، ولم يحنث واحد منهم.

والجواب: الرجل الأوَّل عنى صلاة المقيم في غير يوم الجمعة.

والرجل الثَّاني: عنى صلاة المقيم يوم الجمعة.

والرجل الثَّالث: عنى صلاة المسافر.

والرجل الرَّابع: عنى يوم العيد[(٢)].

• وعاء متنجس يطهر بغير غسل.

والجواب: الوعاء الذي فيه خمر يطهر إذا انقلبت خَلًا بغير غسل[(٣)].

استخدمت الرموز في فروع العلوم الشرعية الاخرى كعلم الحديث والقراءات إذ اصطلح علماء هذين العلمين على مختصرات ورموز للتسهيل على طلبة العلم، وقد ضُمِنت هذه الرموز ضمن منظومات شعرية ونثرية لا يمكن التعامل معها إلا بعد

---

(١) المالكي، درة الغواص، مصدر سابق، ص١٧٤.

(٢) الجراعي، أبو بكر بن زيد (ت ٨٨٣هـ)، حلية الطراز في حل مسائل الألغاز على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: مساعد بن قاسم الفالح، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ص٥٦-٥٧.

(٣) الحنفي، الذخائر الأشرفية، مصدر سابق، ص٢٢.

فهم مدلولات تلك الرموز والإشارات[١].

ففي علم الحديث اختصر أهل هذا الفن بعض العبارات على شكل رموز، ففي قول: أخبرنا، علي: أنا، أو رنا، وفي قول: حدثنا، على: ثنا، أو نا، أو حا، وإذا كان للحديث إسنادان، أو أكثر كتبوا عند الانتقال من إسناد إلى آخر: ح، أي تحويل السند، ونظموها في أبيات من الشعر:

وَاخْتَصَرُوْا أَخْبَرَنَا خطًا أَنَا ... وَاخْتَصَرُوْا حَدَّثَنَا ثنَا ونَا
وَتُكْتَبُ الحَاءُ لِتَحْوِيلِ السَّنَدْ ... مُهْمَلَةً وَالَأكْثَرُ الأَعجَامِ رَدْ[٢]

وقد ألف الإمام ابن فرح الإشبيلي[٣] قصيدة في علوم الحديث من عشرين بيتًا من البحر الطويل، سميت القصيدة الغزلية، تضمنت مصطلحات الحديث، جاء في مطلعها:

غرامي صحيح والرجا فيك معضل ... وحزني ودمعي مرسل ومسلسلُ
وصبري عنكم يشهد العقل أنه ... ضعيف ومتروك وذلّيَ أجملُ
ولا حَسن إلا سماعُ حديثكم ... مشافهةً تُملى عليّ فأنقلُ

---

(١) البلوي، تاريخ أمن المعلومات، مرجع سابق، ص ص٤٣-٤٤.

(٢) نور، ناصر إبراهيم طه محمد ، منظومة ابن الجزري (٧٥١-٨٣٣هـ) في علم مصطلح الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٨.

(٣) أحمد بن فرح بن أحمد بن محمد اللخمي، أبو العباس الإشبيلي (٦٢٥-٦٩٩هـ) ولد بإشبيلية وارتحل لمصر ثم دمشق، عني بالحديث وأتقن الفاظه ومعانيه وفقهه وصار من كبار الأئمة فيه، اتصف بالورع والصدق، وكان فقيهًا بالشام، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧، مصدر سابق، ص٢٨٦.

وعـذلُ عَـذولـِـي مُنـكر لا أشـيعه　　　　وزور وتــدليس يُــردُّ ويُهـمَـــلُ[1]

وجاء في آخر بيتين من القصيدة:

فخُـــذ أولًا مـــن آخـــرٍ ثـــمَّ أولًا　　　　مـن النّـصفِ منـه فهـو منه مُكَمَّـلُ

أَبـــرُّ إذ أقـــسمتُ أنـــّي بِحـــبِّهِ　　　　أهِـيمُ وقلبـي بـالــصَّبابَـةِ مُـشعلُ

فوضح الإشبيلي كيفية استخراج اسم محبوبه الذي تغزل به في آخر بيتين، باستخدام أسلوب الرمز، بأخذ أوَّل كلمة من النصف الأوَّل من البيت الأخير وضمه مع أوَّل كلمة من عجز نفس البيت، فبجمع كلمة (إبر) مع (اهيم) تصبح كلمة (إبراهيم) وهو أسم شيخه الذي تلقى منه علوم الحديث[2].

وفي علم القراءات رمز الشاطبي[3] في قصيدته، حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، إلى أئمة القراءات السبعة ورواتهم الأربعة عشر[4] على الأبجدية

---

(١) ابن قنفذ القسنطيني، أحمد بن حسن (ت ٨١٠هـ)، شرف الطالب في أسنى المطالب، تحقيق: عبد العزيز صغير دُخان، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ص٥٢-٥٣، ص٦٤.

(٢) البلوي، تاريخ أمن المعلومات، مرجع سابق، ص٤٥-٤٦.

(٣) القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي (٥٣٨-٥٩٠هـ)، إمام القراء، كان ضريرًا، ولد بشاطبة في الأندلس، وتوفي بمصر، صاحب قصيدة حرز الأماني في القراءات المعروفة بالشاطبية، كان عالمًا بالحديث والتفسير واللغة. الزركلي، الأعلام، ج٥، مرجع سابق، ص١٨٠.

(٤) للاستزادة عن القراءات وأصحابها يراجع، عمر بن قاسم بن محمد المصري الأنصاري المعروف بالنشار، المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

العربيَّة: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت، حيث جعل الألف في أبج لنافع والباء لرواية قالون والجيم لرواية ورش، وهكذا باقي الكلمات، ورمز لذلك بقوله:

جعلت أبا جاد على كل قارئ ... دليلًا على المنظوم أوَّل أولًا[(١)]

ثم عرض مجموعة رموز لقراء مجتمعين:

وَمِنْهُنّ لِلْكُوفِيّ ثاءٌ مُثَلثٌ ... وَستّتُهُمْ بِالخَاء ليْسَ بأَغْفَلاَ

عَنَيْتُ الأَلي أَثْبَتُهُمْ بَعْدَ نَافِعِ ... وَكُوفٍ وَشَامٍ ذَا لُهُمْ لَيْسَ مُغْفَلًا

وَكُوفٍ مَعَ المَكِّيِّ بِالظّاءِ مُعْجَمًا ... وَكُوفٍ وَبَصْرٍ غَيْنُهُمْ لَيْسَ مُهْمَلًا

وَذُو النّقْطِ شِينٌ لِلْكِسَائِي وَحَمْزَةٍ ... وَقُلْ فِيهِمَا مَعْ شُعْبَةٍ صُحْبَةٌ تلاَ

صِحَابٌ هَمَا مَعْ حَفْصِهِمْ عَمّ نَافِعٌ ... وَشَامٍ سَمَا فِي نَافِعٍ وَفَتَى العَلاَ

وَمَكٍّ وَحَقٌّ فِيهِ وَابْنِ الْعَلاَءِ قُلْ ... وَقُلْ فِيهِمَا وَالْيَحْصُبِي نَفَرٌ حَلاَ

وَحِرْمِيٌ الْمَكِّيُ فِيهِ وَنَافعٍ ... حِصْنٌ عَنِ الْكُوفِي وَنافِعِهِمْ عَلاَ[(٢)]



وقد رمز الشاطبي لكل قارئ وراوٍ برموز،[(٣)] ثم عرض قواعد لتحليل هذه الرموز، على النحو التالي:

١ - الحكم دائمًا يسبق الرمز الحرفي.

---

(١) خميس، محمد محمد، قيم أدبية في نظم الشاطبية، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة (جامعة الأزهر)، مصر، ع١٦، ١٩٩٨م، ص ص٤٨٥-٥٣٢، ص٥١١.

(٢) البلوي، تاريخ أمن المعلومات، مرجع سابق، ص٤٨.

(٣) انظر الشكل (٩).

٢-يصح أن يتقدم الرمز الكلمي على الحكم.

٣-وجود الواو يعني انتهاء الحكم ورمزه.

٤-إذا تكرر الرمز فالعبرة للأول فقط، والثَّاني مجرد تكرار.

٥-إذا جاء رمز مشتمل على آخر فالعبرة للرمز الأقوى، مثل أن يذكر رمز عاصم ثم الكوفيين، وعاصم منهم، فيكون الرمز للكوفيين عامة، ويدخل عاصم من ضمنهم.

٦-يصح أن يتقدم الرمز الحرفي على الكلمي أو العكس.

٧-القراء غير المرموز لهم يقرئون بضد ما قرأ المرموز لهم.

وللتوضيح في كيفية استخراج الأحكام وتحليل الرموز، ما ذكره الشاطبي في باب البسملة:



وبسمل بين السورتين بسنة          رجال نموها دريةً وتحملًا

فالرمز يبدأ عند كلمة (بسنة) وينتهي عند الواو من كلمة (وتحملا) فتكون كلمات الرمز هي: الباء لقالون، الراء للكسائي، النون لعاصم، الدال لابن كثير، فيكون معنى البيت الذي يبسملون بين السورتين من القراء هم: قالون والكسائي وعاصم وابن كثير[1].

(١) البلوي، المرجع السابق، ص ص٤٩-٥٠.

## المبحث الثَّاني

## استخدام الشفرة في المسائل النحوية

بدأت نواة اللغز النحوي في فترة مبكرة مع بداية الاهتمام بالنحو وقواعده، وبدأ التصنيف فيه على نطاق ضيق[1]، والألغاز النحوية: هي التي تُصيب الناحية الإعرابية للجمل والألفاظ، كالرفع لما حقه أن يُنصب أو النصب لما حقه أن يُرفع، وغيرها[2].

والألغاز النحوية قسمان: أحدهما أبيات من الشعر جاءت على غير الشائع المألوف، وتحتاج إلى تفسير المعنى وتوضيحه، والآخر: ألغاز تُساق نثرًا أو شعرًا يُطلب بها تفسير وجه الإعراب، والإجابة عليها[3].

أَمَّا طريقة الإلغاز فتأتي عن طريق رسم اللفظ، وكذلك التقديم والتأخير في




(١) السخاوي، منير الدياجي، مصدر سابق، ص١٢٨.

(٢) الأزهري، خالد (ت ٨٣٨هـ)، الألغاز النحوية في علم العربية، تحقيق: حيدر جبار عيدان وحسن عبد المجيد الشاعر، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية (جامعة الكوفة)، العراق، ع١٣، مج٧، كانون الأول ٢٠١٣م، ص ص٩٥-١٣٨، ص١٠١.

(٣) ابن هشام، جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، موقد الأذهان وموقظ الوسنان، تحقيق: علي فودة نبيل، مجلة كلية الآداب (جامعة الرياض)، المملكة العربية السعودية، مج٧، ١٩٨٠م، ص ص١٣٧-١٩٤، ص١٥١. مصدر آخر، الأسفراييني، عبد الملك بن جمال الدين بن صدر الدين (ت ١٠٣٧هـ)، شرح منظومة الألغاز النحوية، تحقيق: علي حسين البواب، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ع٦، محرم ١٤١٣هـ/ يوليو١٩٩٢م، ص ص٣٥١-٣٨٥، ص٣٥٢.

الألفاظ، فالناظر إلى البيت يرى العجب، فالإعراب زلزل زلزالًا شديدًا، عاليه أسفله، فالمرفوع مجرور، والكلمات المتجاورة لا معنى يتضح لها، ولكن بعد إمعان النظر في توجيه الإعراب، وكيفية الرسم، يُفهم المعنى ويتضح صحة اللفظ(١).

هناك مجموعة من الأسباب التي دعت إلى التأليف في الألغاز النحوية، ومنها:

- إثبات الجدارة العلمية للنحوي من خلال نسج الغموض في النَّص الملغّز من جهة، وفك ذلك الغموض من جهةٍ أُخرى.

- التدريب على القواعد النحوية، واللغوية بطريقة السؤال المعقّد، وفك رموزه.

- طبيعة الخط العربي الذي تتشابه فيه الحروف بما يورث اللبس تصحيفًا، وتحريفًا فيه.

- الترفيه عن النفس بوسيلة علمية مقبولة تستسيغها العقلية النحوية، فحل الألغاز فيه من الطرافة شيء كثير، وفيه من الغرابة أكثر(٢).

فيما يلي بعض من ألغز في النحو في عصري الأيُّوبيين والمماليك مع ذكر بعض الأمثلة:

(١) السخاوي، منير الدياجي، مصدر سابق، ص١٢٥. مرجع آخر، فالح، لغة الألغاز، ص ص١٣٧-١٣٨.

(٢) جمعة، زينب، الألغاز النحوية: دراسة تحليلية، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، العراق، ع١٠٣، ٢٠١٣م، ص ص١٦٠-١٧٧، ص ص١٦٤-١٦٥.

• علي بن عدلان الموصلي النحوي (ت ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م)، له مؤلف باسم: الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب ضمَّنهُ ألغازًا نحوية مرتبة على حروف الهجاء، منها:

إنَّ مستهترٌ بحبِّك قلبي فاهجريني فما بقي لك حَظُّ

(إنّ) هنا مركبة من حرفٍ واسمٍ، فالحرف (إنْ) بمعنى (ما)، والاسم (أنا)، فألقى حركة الهمزة على نون إن فاجتمع مثلان فسكّن النون الأوَّلى وأدغم فصارَ (إن) وأنا: مبتدأ، ومستهتر: خبره، وقلبي: فاعل مستهتر، وقد عادَ مِن المرفوع بالخبر ضمير إلى المبتدأ، وهو الياء، كأنَّهُ قال: ما أنا ممن استهتر قلبي بحبك[1].

• ابن الصائغ شمس الدين محمد بن الحسن (ت٧٢٢هـ)[2] قال ملغزًا في (إلاّ) التي للاستثناء:

ما لفظٌ رَفَعَ المجازَ وقرّرهُ وهوَ متّضِحٌ لمنْ تدبّرَهُ

(١) الموصلي، علي بن عدلان النحوي، الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب، تحقيق: حاتم صالح الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٥٥.

(٢) محمد بن الحسن بن سباع شمس الدين الصايغ العَرُوضي، أقام بالصاغة زمانًا يقرئ الناس العروض ويشتغل عليه أهل الأدب، كان له نظم ونثر، شرح ملحة الإعراب وشرح الدُريدية، ونظم قصيدة تائية في مقصد الهيتية، وله المقالة الشهابية. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، مصدر سابق، ص ص٣٦١-٣٦٢.

قال ابن الصائغ في شرحه له: "أمّا كون إلاّ ترفع المجاز، فإِنَّ القائل: قام القوم إِلاَّ زيدًا، كان قبل إِخراج زيد يحتمل إِخراج جماعةٍ، فبإِخراج زيد فيه أفاد بقاء اللفظ على العموم الذي هو حقيقة اللفظ، مع أَنَّ إِخراجَ زيدٍ فيه استعمال مجاز في القوم، لكونه إِخراج بعضه. فهذه الأَداة حصلت مجازًا ورفعت مجازًا"[(١)].

• ابن هشام جمال الدين عبد الله بن يوسف (ت ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م)[(٢)]، له مُوقِد الأذهان ومُوقِظ الوَسْنان في الألغاز النحوية، ومما جاء فيه:

وردنا ماءَ مكَّة فَاسْتَقَيْنَا مِنَ الْبِئْرِ الَّتي حفرَ الأميرَا

(الأميرَ) مفعولُ استقينا، أي طلبنا منه السُّقْيَا، كقول: اسْتَسْقَيْنَا اللهَ فَأَسْقَانا، أو بِمعنى رَفَعْنَاهُ مِنَ الْبِئْرِ، كأنّه وَقَعَ فِي الْبِئر الَّتِي حَفَرَهَا فاسْتَقَوْهُ مِنْها[(٣)].

ولابن هشام أيضًا الألغاز النحوية ومما جاء فيها:

إِنَّا إذا ما أَتَيْنَاهُمْ بِقَارِعَةٍ قَالُوا لِقَارِئِنا خَلّ الأساطيرُ

---

(١) السخاوي، منير الدياجي، مصدر سابق، ص١٤١. مرجع آخر، فالح، لغة الألغاز، ص١٣٥.

(٢) عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (٧٠٨-٧٦١هـ) من أئمة العربية، ولد وتوفي بمصر، له عدة تصانيف منها: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وعمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب، والجامع الكبير، والجامع الصغير، وقطر الندى، والتذكرة، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، وموقد الأذهان في الألغاز النحوية، الزركلي، الأعلام، ج٤، مرجع سابق، ص١٤٧.

(٣) ابن هشام الأنصاري، موقد الأذهان، مصدر سابق، ص١٥٨.

والإشكال الظاهر هنا هو: رفع الأساطيرُ، وظاهره يقتضي أن يكون منصوبًا (مفعولًا). وجواب ذلك أن الأساطيرُ مركبة من الأسى، أي: الحزن، وطيروا فعل أمر[1].

• خالد الأزهري (ت ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م)[2]، وله الألغاز النحوية في علم العربيَّة، ومما جاء فيها:

صلْ حبالي فقد سئمْتُ الجفاء يا قتولي واحفظ عليّ الإخاء

والإشكال في البيت في موضعين: أحدهما قوله: الجفاء بالرفع، وظاهره يقتضي أن يكون منصوبًا بسئمت، والجواب على ذلك: أنه مرفوع بالابتداء، وخبره قتولي، تقديره: الجفاء قتولي يا فلان، وحذف المنادى. والإشكال الثَّاني قوله: الإخاء بالرفع، وظاهره يقتضي أن يكون منصوبًا بـ(احفظ)، وجواب ذلك: أنه مرفوع

(١) ابن هشام الأنصاري، جمال الدين (ت ٧٦١هـ)، الألغاز النحوية، تحقيق: موفق فوزي الجبر، دمشق، دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ص٩٩-١٠٠.

(٢) زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر المِصري الأزهري الوقّاد النحوي (ت ٩٠٥هـ)، اشتغل بالعلم على كبرٍ، قيل كان عمره ستًا وثلاثين سنة فسقطت منه يومًا فتيلة على كراس أحد الطلبة فشتمه وعيَّره بالجهل، فترك الوقادةَ وأكبَّ على الطلب، وبَرَعَ وأشغل الناس، وصنف شرحًا حافلًا على التوضيح ما صُنّف مثله، وإعراب ألفية ابن مالك، وشرحًا على الأجرومية، وآخر على قواعد الإعراب لابن هشام، وآخر على الجزرية في التجويد، وغيرها من التصانيف، توفي ببركة الحاج خارج القاهرة أثناء رجوعه من الحج. ابن العماد، شذرات الذهب، مج١٠، مصدر سابق، ص٣٨-٣٩.

بالابتداء، وخبره عليّ، مقدم عليه، كقول: عليّ إكرامُك، واحفظ كلام تام، لا تعلّق له بما بعده، فيصير تقدير البيت: الجفاء قتولي يا فلان، اصبر فعليّ إكرامك[1].

• جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٦م)[2]، له الألغاز النحوية، وهو الكتاب المسمى: الطراز في الألغاز، والأشباه والنظائر، ومما جاء فيه:

- ما كلمةٌ إذا كثر عرضها قلّ معناها، وإذا ذهب بعضُها جَلّ مغزاها؟

وجوابه: الاسم الجنس الجمعي إذا زيد عليه التّاء نقص معناه، وصار واحدًا كَتَمْر وَتَمْرة، ونبق ونبقة[3].

- أيُّ عامل يعمل فيه معموله، ولا يقطع مأموله؟

وجوابه: أدوات الشرط، فإنها تعمل في الأفعال الجزم والأفعال تعمل فيها النّصب[4].



(١) الأزهري، الألغاز النحوية، مصدر سابق، ص١١٢.

(٢) جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق السيوطي الشافعي (٨٤٩-٩١١هـ) نشأ يتيمًا وحفظ القرآن دون الثامنة، اشتغل بالعلم وحفظ متون الفقه والنحو، زادت مؤلفاته على خمسمائة مؤلف، كان أعلم أهل زمانه بالحديث وفنونه، ترك التدريس والإفتاء وتفرغ لتحرير مؤلفاته في سن الأربعين حتى وفاته، من مؤلفاته: الإتقان في علوم القرآن، وإتمام الدراية لقراء النقاية، وإسعاف المبطأ في رجال الموطأ، وتاريخ أسيوط، وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وتفسير الجلالين، وغيرها. ابن العماد، شذرات الذهب، مج١٠، مصدر سابق، ص٧٤-٧٦. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٣٠١.

(٣) السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، ج٤، تحقيق: عبد العال سالم مكرّم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص ص٢٥٨-٢٥٩.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحات.

## المبحث الثَّالث

## استخدام الشَّفرة عند الفرق والجماعات المنتسبة للإسلام

ظهرت في البلاد الإسلاميَّة فِرق وجماعات متطرفة، هدفت لإقامة كيانات سياسية مستقلة، واستخدمت وسائل وطرقًا مختلفة للمحافظة على كيانها ونشر معتقداتها في شتى البلاد الإسلاميَّة، وكانت السِّرِّيَّة أساس لتكوينها وتنظيم أمورها، وعاصرت بعض هذه الفرق، الدولتين الأيوبية والمملوكية، وسببت لهما بعض المشكلات والصعوبات وأثارت القلاقل والفتن لحكامهما، ومن هذه الفرق:

أ- **الحشاشون**(١) بزعامة الحسن بن الصباح(٢)، الذي امتلك قلعة آلموت(٣) في

---

(١) اختلفت الروايات في أصل هذه التسمية، فمنهم من نسبها لتعاطيهم مادة الحشيش المخدرة، ومنهم من نسبها إلى (assassant) (أساسان) بمعنى القتلة، وقد أطلقها الفرنسيون الصليبيون على الفدائية من أتباع الحشاشين، لفتكهم بملوكهم وقادة جيوشهم، ومنهم من نسبها إلى (Asoasins) نسبة إلى زعيم الفدائية (الحسن بن الصباح). غالب، مصطفى، تاريخ الدعوة الإسماعيلية منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحالي، دمشق، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٣م، ص ص١٩٢-١٩٣.

(٢) الحسن بن الصباح بن علي الإسماعيلي (٤٢٨-٥١٨هـ) ولد في مرو، كان عالمًا بالهندسة والحساب والنجوم، تتلمذ على يد أحمد بن عطاش - من أعيان الباطنية - ورحل لمصر والتقى بالمستنصر الفاطمي وأمره بدعوة الناس إلى إمامته، ورجع إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر داعيًا للمستنصر، استولى على قلعة آلموت من نواحي قزوين واتخذها مركزًا حتى وفاته. الزركلي، الأعلام، ج٢، مرجع سابق، ص ١٩٣.

(٣) قلعة حصينة تقع بين بحر قزوين وبحر الخزر، وهي على رأس جبل، وحولها وهاد لا يمكن نصب =

شعبان سنة٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م وأسس فيها الدولة الإسماعيلية التي عُرفت في التَّاريخ بأسماء مُتعدِّدة، مثل: الإسماعيلية، النزارية، الباطنية، السبعية، التَّعليمية، الحشيشية، الملاحدة، وعرفت عند كتاب الغرب باسم السفاكين[1].

بدأ الحسن بن الصباح في تدريب مجموعة من أتباعه ونظمهم تنظيمًا محكمًا قائمًا على السِّرِّيَّة التامة والطاعة العمياء وأطلق عليهم مسمى (الفداوية) كانت مهمتهم اغتيال خصومه من العلماء والزعماء والقادة[2]وقويت شوكتهم وعظم أمرهم وخافهم الملوك وسائر الناس[3].

امتد نفوذ الإسماعيليين حتى بلاد الشام وأسسوا مع بداية القرن السادس الهجري كيانًا مستقلًا لهم في جبال الساحل وسيطروا على عدَّة قلاع بين حماه



---

=

المنجنيق عليها ولا النشاب. السلومي، سليمان عبد الله، أصول الإسماعيلية: دراسة – تحليل – نقد، مج١، الرياض، دار الفضيلة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٣٩١.

(١) الشهرستاني،محمد بن عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، ج١، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م، ص١٩٢، ١٩٥. مرجع آخر، حسين، محمد كامل، طائفة الإسماعيلية: تاريخها، نظمها، عقائدها، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩م، ص٦٣.

(٢) السلومي، أصول الإسماعيلية، مج١، مرجع سابق، ص٣٩١.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، مصدر سابق، ص١٢١.

وحمص عُرفت باسم قلاع الدعوة أو بلاد الدعوة، وهي: مصياف[١]، والرصافة[٢]، والخوابي[٣]، والقدموس[٤]، والكهف[٥]، والمينقة[٦]، والعليقة[٧][٨].

استخدم الإسماعيليون الحشاشون منذ وقت مبكر رموزًا سرية في المكاتبات والمراسلات الدائرة بين أتباعهم لا يعرف مدلولها إلا المنتمون إلى التنظيم، وكانوا يستعملون الحمام الزاجل في نقل الرسائل السِّرِّيَّة بين مقارهم وقلاعهم في شتى أنحاء فارس والشام، وقد وصلت في العصر الحديث[٩] بعض الأمثلة

(١) مصياف: حصن حصين بالساحل الشامي قرب طرابلس، ويسميها البعض مصياب. الحموي، معجم البلدان، مج٥، مصدر سابق، ص١٤٤.

(٢) الرصافة: قلعة بالقرب من مصياف. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، مصدر سابق، ص١٤٦.

(٣) الخوابي: قلعة في جهة الشمال من طرابلس. المصدر السابق، ص١٤٧.

(٤) القدموس: قلعة بالقرب من الخوابي. المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) الكهف: قلعة بالقرب من القدموس على نحو ساعة، على حافة جبل مرتفع. المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٦) المينقة: قلعة بالقرب من الكهف على بعد ساعة من الكهف، على جبل مرتفع. المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٧) العليقة: قلعة على بعد ساعة من المينقة، على جبل مرتفع. المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٨) المرجع السابق، ج١، ص١٢١. مرجع آخر، إسكندر، سلوى رشيد، التاريخ السياسي والعسكري للدولة المملوكية في عهد الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٨٠.

(٩) بدأ مستشرقو القرن التاسع عشر الميلادي بدراسات علمية للإسماعيليين، بعد تمكنهم لأول مرة من =

للرموز[1] التي كان يستخدمها رجال الحركة، بعد خروج جزء من كتبهم إلى النور[2].

ففي عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م قام تاجر إيطالي اسمه كاربروتيCarprotti بجلب مجموعة تضم نحو ستين مخطوطًا عربيًّا من صنعاء، شكلت المجموعة الأوَّلى لعدد من المخطوطات المودعة في مكتبة الأمبروزيانا Ambrosianaفي ميلانو الإيطالية، ضمت عدة كتب عن العقيدة الإسماعيلية احتوى بعضها على فقرات كُتبت بشفرات سرية[3].

وقد استخدمت الرسائل الإسماعيلية الكتابة السِّرِّيَّة في كثير من المواضع لترمز بها إلى أسماء الأئمة أو أسماء الأضداد - أعداء الأئمة - أو للتستر على بعض الآراء والأفكار، وكان يوصي كاتبو هذه الرسائل أتباعهم، أن يصونوا أسرار هذه الرسائل من أعين الخصوم والوشاة، ويأخذون عليهم عهدًا بذلك[4].



=

الوصول إلى مجموعات مهمة من المخطوطات الإسلامية التي كان يُحتفظ بها في مكتبات أوروبا، مثل المستشرق سيلفستر دو ساسي (١٧٥٨-١٨٣٨م). دفتري، فرهاد، خرافات الحشاشين وأساطير الإسماعيليين، ترجمة: سيف الدين قصير، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، ١٩٩٦م، ص١٧.

(١) انظر الشكل (١٠).

(٢) الخشت، محمد عثمان، حركة الحشاشين: تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم الإسلامي، القاهرة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١٩٤.

(٣) لويس، برنارد ، الحشيشية: الاغتيال الطقوسي عند الإسماعيلية النزارية، ط٢، ترجمة: سهيل زكار، دمشق، دار قتيبة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص١٧٦ . مرجع آخر، البلوي، تاريخ أمن المعلومات، ص١٤٦.

(٤) مجهول، أربعة كتب إسماعيلية، تصحيح: ر. شتر وطمان، دمشق، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م، ص٨.

نتيجة السِّرِّيَّة التي أحاط بها الإسماعيليون الحشاشون أنفسهم، استطاعوا عن طريق الفداوية تنفيذ عمليات اغتيال محكمة لأعداهم، ومن ذلك محاولتهم اغتيال صلاح الدين الأيوبي، ففي سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٥م وأثناء حصار حلب أرسل مقدم الإسماعيلية في بلاد الشام سنان(١) جماعة من الفداوية إلى عسكر صلاح الدين، فحمل أحدهم على صلاح الدين ليقتله فقُتل دونه وقاتل الباقون فقَتلوا جماعة ثم قُتِلوا(٢).

وفي سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٦م حاصر صلاح الدين الأيوبي قلعة إعزاز(٣)، وأثناء وجوده في خيمة أحد الأمراء وثب عليه أحد الفداوية فضربه بسكين في رأسه، فجرحه وأمسك صلاح الدين بيده والفداوي يحاول إصابته في رقبته حتى استطاع أحد الأمراء قتله، وجاء فداوي آخر فقُتِل، وثالث فقُتِل وركب صلاح الدين إلى خيمته،



(١) سنان بن سلمان بن محمد أبو الحسن راشد الدين البصري (ت ٥٨٩هـ) كبير الإسماعيلية النزارية، كان أديبًا عارفًا بالفلسفة والشعر ذا قدرة على الخديعة، وكتمان السر، بنى الحصون المنيعة لفرقته في بلاد الشام، ودام الأمر له نيفًا وثلاثين سنة. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، مصدر سابق، ص ص٤٦٣-٤٦٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل، مج١٠، مصدر سابق، ص٦٧-٦٨. مرجع آخر، حتاملة، عبد الكريم عبده، صلاح الدين الأيوبي وموقفه من القوى المناوئة في بلاد الشام ٥٧٠-٥٨٩ هـ/ ١١٧٤ - ١١٩٣ م، مجلة الدارة، المملكة العربية السعودية، ع٢، مج١٢، ١٩٨٦م، ص ص١٥٩-١٧٢، ص ص١٦٣-١٦٤.

(٣) إعزاز: ويقال لها عزاز، بليدة فيها قلعة شمالي حلب، بينهما يوم، وهي طيبة الهواء عذبة الماء. الحموي، معجم البلدان، مج٤، مصدر سابق، ص١١٨.

ثم جمع الجند فمن أنكره أبعده، ومن عرفه، أقره على خدمته[١].

شنَّ صلاح الدين على الإسماعيلية النزارية عدَّة هجمات انتقامًا لمحاولة اغتياله، ولم يستطع إخضاع الإسماعيلية الحشاشين. وفي سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٧م صالحهم، على إبقائهم في قلاعهم التي بالشام[٢]، وعدم الاعتداء بين الطرفين، والقيام بعمليات اغتيال ضد ملوك وأمراء الصليبيين في صور وغيرها[٣].

في سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م فرض السلطان بيبرس المنصوري نجم على الإسماعيلية في بلاد الشام ضريبة يحملونها إلى بيت المال، ثم لم يرضه ذلك إلى أن انتزع منهم حصونهم، وبدأ بمصياف ثم باقي الحصون، وهي: العليقة والرصافة والكهف والمنيقة والقدموس والخوابي، فلم يبقَ لهم بعد ذلك أي سيطرة على هذه الحصون[٤].



وقد كانت الإسماعيلية النزارية مصدر قلق سياسي واجتماعي في بلاد الشام طيلة عصر الحروب الصليبية، متخذين من الاغتيال السياسي والتصفية الجسدية

(١) ابن الأثير، الكامل، مج١٠، مصدر سابق، ص٧٦. مصدر آخر، أبو شامة، الروضتين، ج٢، مصدر سابق، ص ص٤٠٩-٤١٠.

(٢) ابن كنان، حدائق الياسمين، مصدر سابق، ص٧٤.

(٣) لباد، ميشيل، الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية بمصياف ٥٣٥-٦٧٠هـ، (د. م)، مطبعة الاتحاد، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م، ص١٠٢.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج٣٠، مصدر سابق، ص١٥٧.

مبدأ لتحقيق أهدافهم في السيطرة على أجزاء من بلاد الشام وإنهاك القوى السنية فيها[١].

ب-**الدروز**[٢]، وبدأت نشأتهم سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٨م في بلاد الشام[٣]، وتقوم أصول عقيدتهم على نظريات فلسفية، وتأويلات باطنية، والإيمان بالتقية، وبسرية العقائد التي جاءتهم عن طريق الإسماعيلية، والتي هي الأصل المهم لعقائدهم[٤].

يحرص الدروز على كتمان عقائدهم، ويعبرون عن أفكارهم في كتبهم، ورسائلهم، بطريق الرمز، حفظًا على كتم أسرارهم[٥]، وينكرون ما يؤخذ عليهم منها، بل ويذمونها أمام المعترضين تُقية واستتارًا، وحرصوا على هذا الكتمان

(١) حتاملة، صلاح الدين، مرجع سابق، ص١٦٥.

(٢) فرقة من فرق الباطنية الإسماعيلية، تقوم على تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي، وعلى رأس دعاتهم: حمزة بن علي بن أحمد الزوزني المعروف باللبّاد وهو المؤسس الحقيقي لهذه الفرقة، وحسن بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم، ومحمد بن إسماعيل الدرزي المعروف بأنوشتكين البخاري، وسُمُّوا الدروز لتبعيتهم للدرزي، ثم فضّلوا أن يقال لهم الموحِّدون، وقد اتصل بالحاكم بأمر الله في مصر، وطلب منه أن ينشر الدعوة في جبال الشام، فنزل بوادي تيم الله بن ثعلبة غربي دمشق من أعمال بانياس، وينقسم الدروز إلى: عُقّال ولهم الحق في معرفة العقيد الدرزية، وإلى جُهّال لا تحق لهم معرفة العقيدة الدرزية، وكُتُب الدروز تُسمى رسائل الحكمة وعددها ١١١ رسالة، مقسمة إلى أربعة مجلدات، ومنها يستمد العُقّال مبادئ ملتهم، الحفني، موسوعة الفرق والجماعات، مرجع سابق، ص ص٣٤٣-٣٤٥.

(٣) عنان، محمد عبد الله، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ط٣، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، ص٣٠١.

(٤) الخطيب، الحركات الباطنية، مرجع سابق، ص٢٩٣.

(٥) أبي راشد، حنا، الدروز، القاهرة، مكتبة زيدان العمومية، ١٩٢٥م، ص٤١.

لأصول مذهبهم وعقائدهم طيلة القرون الماضية، ولم تُعرف خفايا مذهبهم إلا في القرن التاسع عشر الميلادي حينما غزا إبراهيم باشا[(١)] مناطقهم الجبلية، ووقع الغزاة على بعض رسائلهم وكتبهم المقدسة، وعُرفت محتوياتها، وكُشف عن كثير من حقائق هذا المذهب[(٢)].

وكان للدروز مواقف معادية للمسلمين في بلاد الشام، فهم يُسالمون المسلمين تقية وإذا تمكن الاعداء منهم انقلبوا عليهم. فعندما غزا المغول بلاد الشام سنة ٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م بقيادة محمود غازان[(٣)]، وهُزم المماليك حينها، قام الدروز بمهاجمة العساكر المملوكية المنهزمة لمصر، ونهبوا متاعهم وسلاحهم، وبعد عودة الأمور للمماليك وتمكنهم من هزيمة المغول، سير الأمير جمال الدين آقوش

(١) إبراهيم بن محمد علي باشا (١٢٠٤-١٢٦٤هـ/ ١٧٩٠-١٨٤٨م) قائد عسكري، من ولاة مصر، ولد في نصرتلي، قدم مصر مع طوسون بن محمد علي سنة١٢٢٠هـ، أرسله أبوه سنة١٢٣١هـ بحملة إلى الحجاز ونجد، ثم جعله قائدًا في حرب المورة سنة ١٢٣٩هـ، وفي سنة ١٢٤٧هـ سيره أبوه بجيش إلى بلاد الشام، فاستولى على عكا ودمشق وحمص وحلب، وتوغل في الأناضول، فتدخلت الدول الأجنبية، وعقدت معاهدة كوتاهية سنة ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٣م وقضت بضم الشام إلى مصر وتولية إبراهيم عليها، واتخذ أنطاكيا عاصمة له، وفي سنة١٢٥٤هـ اتفق العثمانيون مع الإنجليز على إخراجه من بلاد الشام، فعاد لمصر وتوفي بها قبل وفاة أبيه. الزركلي، الأعلام، ج١، مرجع سابق، ص٧٠.

(٢) عنان، الحاكم بأمر الله، مرجع سابق، ص ص٣١٧-٣١٨.

(٣) محمود غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن جنكيز خان، صاحب العراق وخراسان وفارس والجزيرة وأذربيجان والروم، ملك البلاد سنة ٦٩٣هـ، وأسلم سنة ٦٩٤هـ، انتشر الإسلام بين التتار في عهده، مات بهمدان سنة ٧٠٣هـ. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٥، مصدر سابق، ص ص٢٢٤-٢٢٥.

الأفرم[١] نائب السلطنة بدمشق، حملة لجبال كسروان - معقل الدروز - واستطاع هزيمتهم، واسترد ما سلبوه من العسكر المملوكي وقت الهزيمة، وفرض عليهم مائة ألف درهم[٢].

**ج-اليزيديون**[٣] أتباع عدي بن مسافر[٤]، ظهرت بدايتها سليمة من الانحرافات، ولكن بعد وفاة الشيخ عدي، ظهرت الانحرافات في هذه الجماعة، وظهر الضلال بين أتباعها، على يد الحسن بن عدي بن أبي البركات[٥]، الذي أحاط

(١)جركسي الأصل من مماليك المنصور، وهو من أكابر المماليك البرجية، تولى نيابة دمشق زمن السلطان الملك الناصر، المصدر السابق، ج٩، ص ص٣٢٦-٣٢٨.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٣١، مصدر سابق، ص ص١٤١-١٤٢، ص ص٢٥٤-٢٥٥.

(٣) اختلف الباحثون في أصل تسمية اليزيدية، فبين اليزيدية أنفسهم من يعتقد أنهم دعوا بهذا الاسم نسبة إلى الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، ويرى آخرون أنهم تسموا بذلك نسبة إلى يزيد بن أُنيسة - زعيم فرقة من الخوارج في صدر الإسلام - ويرجح البعض أن اشتقاق هذه التسمية من أصل فارسي، نسبة لمدينة يزد أو يزدان، التي تعني بالفارسية: الله، أو إيزِد التي تعني: خليق بالعبادة، وتطلق عند الفرس على الملائكة التي تتوسط بين الله والبشر وتنقل مشيئته إليهم، ويظهر أن أحد هذين الاشتقاقين الأخيرين هو الأقرب إلى الصواب، فيكون أصل معنى اليزيدية: أتباع الله، أو أتباع الملائكة. جول، إسماعيل بك، اليزيدية قديمًا وحديثًا، عناية: قسطنطين زريق، بيروت، المطبعة الأمريكانية، ١٩٣٤م، ص ص ط - ي.

(٤) عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى الزاهد الشامي الهكاري (٤٦٧ - ٥٥٧هـ) كان صالحًا ناسكًا، من شيوخ المتصوفين، تنسب إليه الطائفة العدوية، سكن جبال الهكارية ناحية الموصل، فانقطع للعبادة، وتوفي ودفن بها، غالى أتباعه في اعتقادهم فيه. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٩، مصدر سابق، ص٥٣٤-٥٣٥. مرجع آخر، الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٢٢١.

(٥) حسن بن عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر بن إسماعيل، الملقب بتاج العارفين، وجده أبو البركات هو أخو الشيخ عدي بن مسافر، بالغ أتباعه في تعظيمه، حتى خافه الملك بدر الدين لؤلؤ =

نفسه بهالة من القداسة، وأفهم أتباعه أنهم ليسوا كسائر البشر، وأنه أحد الآلهة السبعة الذين شاركوا الله سبحانه في خلق الكون، ووضع لهم كتاب الجلوة لأهل الخلوة، وقام بإحاطة تلك الأفكار والمعتقدات بالسِّرِّيَّة والكتمان، وأمر أتباعه بإخفاء تعاليمهم عن باقي الطوائف وعدم كشفها، وأمر أتباعه بالابتعاد عن التعلم، والقراءة والكتابة، ليسهل التحكم بهم[1]، فإنتشار الجهل يجعل الشخص يتقبل ويصدق أي فكرة حتى لو كانت غير منطقية، بخلاف العلم، فالشخص المتعلم لا يتقبل أي أمر حتى يعرضه على عقله، ثم يعطي رأيه في الأمر، فيقبل المعقول ويرفض غير المعقول من الأقوال والأفعال.

واجهت معتقدات اليزيدية المنحرفة معارضة وتضييقًا من المجتمع الإسلامي، وتحت هذه الظروف طور أتباع هذه الفرقة نظامًا للكتابة السِّرِّيَّة، لحفظ أسرارهم ومؤلفاتهم الدينية، وتمكنوا من إخفاء كتبهم المقدسة عن طريق كتابتها بطريقة الشَّفرة التي كان لا يعرف مفتاح حلها سوى رجال الدين المسؤولين عن سرية الكتب[2].

---

=

صاحب الموصل، فقبض عليه وقتله سنة ٦٤٤هـ، من تصانيفه: كتاب محك الإيمان، والجلوة لأرباب الخلوة، وهداية الأصحاب. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٢، مصدر سابق، ص ص١٠١-١٠٢.

(١) القرني، عالية صالح سعد، عبادة الشيطان: دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة النجاح للعلوم الإنسانية، فلسطين، ع٨، مج٢٦، ٢٠١٢م، ص ص١٩١٩-١٩٥٤، ص١٩٣٠.

(٢) البلوي، تاريخ أمن المعلومات، مرجع سابق، ص ص١٤٧-١٤٨.

ولليزيديين كتابان مقدسان هما: الجلوة ومصحف رش(١)، وهما سريان لا يعرفهما أحد غير يزيدي، ولا يسمحون لأحد أن يطلع عليهما، ومع مرور الزمن ونتيجة لعزلة هذه الفرقة انتشرت الأمية بينهم، وأصبحوا لا يستطيعون معرفة ما يحويه هذان الكتابان المقدسان من تعاليم، إلا أنهم تمسكوا بالمحافظة على سريتهما ومنع اطلاع الآخرين عليهما(٢).

توصل بعض المستشرقين(٣) في القرن التاسع عشر الميلادي إلى كتابيّ الجلوة، ومصحف رش، مع قصائد ترجع للشيخ عدي بن مسافر، وترجموها إلى لغاتهم وعلقوا عليها، وقاموا بنشرها في صحفهم ومجلاتهم، وبحثوا عن عقائدهم وأصول عباداتهم(٤).

---

(١) ينسب اليزيديون كتاب الجلوة إلى الشيخ عدي بن مسافر، ويزعمون أن مصحف رش - كلمة كردية معناها الأسود - كُتب بعد الشيخ عدي بنحو مئتي سنة، ولا يُعرف على وجه التحقيق مصدر هذين الكتابين، ولا التاريخ الذي وضعا فيه، ويرى بعض الباحثين أن لفظ الكتابين مكتوبان بالعامية العراقية، وفيهما الكثير من الخلط والتراكيب المفككة، مما يُرجح أهما كُتبا في عصر متقدم. العزاوي، عباس، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، بغداد، مطبعة بغداد، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م، ص١٩٢. مرجع آخر، الحسني، عبد الرزاق، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، صيدا، مطبعة العرفان، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م، ص٣٣.

(٢) البلوي، تاريخ أمن المعلومات، مرجع سابق، ص١٤٨.

(٣) من أوائل من بحث عن اليزيديين المستر إف. فوريس في مقالة نشرها في مجلة الجغرافية الملكية سنة ١٨٣٩م، وأعقبه جي. بي بادجر في كتابه (معتقدات النسطوريين) المطبوع سنة ١٨٣٩م، وتوالى بعد ذلك نشر عقائد اليزيدية. الملوجي، صديق، اليزيدية، الموصل، مطبعة الاتحاد، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص ص١١٨-١١٩.

(٤) المرجع السابق، ص١١٨.

د-**النصيرية**(١)، نشأت هذه الفرقة في القرن الثَّالث الهجري، وانتشر أتباعها في العراق وبلاد الشام وفارس، ثم استقروا في اللاذقية(٢) وجبالها سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م، وقعت بينهم وبين الإسماعيلية عدة حروب، بسبب التنافس بينهم في هذه المنطقة(٣)، ووجِدَ بينهم وبين الصليبيين والتتار تعاون، فعند انتصار الصليبيين أو التتار على المسلمين فإنهم ينزلون السواحل، وعند هزيمتهم يعودون للاستقرار في الجبال لمناعتها(٤).

جعل النصيريون الإمامة المحور الأساسي الذي تدور عليه عقائدهم الباطنية، فاستنبطوا من القرآن والأحاديث الشريفة، رموز ومصطلحات تأويلية باطنية(٥)، ومن

---

(١) النصيرية: أقدم فرق الغلاة، حيث ينسبون أنفسهم إلى نُصير - غلام علي بن أبي طالب - والأغلب أنهم يُنسبون إلى مؤسسهم: محمد بن نصير النميري البصري (ت ٢٧٠هـ) يقولون بتأليه علي - رضي الله عنه - والشهادة عندهم: أشهد أن لا إله إلاّ علي بن أبي طالب، ويعتقدون بتناسخ الأرواح، والتأويل الباطن. الحفني، موسوعة الفرق والجماعات، مرجع سابق، ص ص٦٤٠-٦٤٢.

(٢) اللاذقية: مدينة في ساحل بحر الشام، من أعمال حلب، لها مرفأ محكم، وقلعتان متصلتان على تل مُشرف على الربض والبحر. الحموي، معجم البلدان، مج٥، مصدر سابق، ص ص٥-٦.

(٣) الخطيب، الحركات الباطنية، مرجع سابق، ص ص٣٢٨-٣٣٠.

(٤) أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، القاهرة، دار الفكر العربي، (د. ت)، ص٥٤.

(٥)غالب، مصطفى، الحركات الباطنية في الإسلام، بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع (د. ت)، ص ص٢٦٩-٢٧٠.

ذلك في تأويلهم لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[1]، أن الرجل إذا عرف ربه، فقد انتهى للمطلوب، ورفعت عنه القيود[2]، وطقوس الدخول في عقيدتهم محاطة بالسِّرِّيَّة بين أفراد الجماعة، ولا يبوحون بأسرار معتقداتهم، والسر والكتمان أصل من أصول عقيدتهم، فطريقة تحليف الشاب عند الدخول في معتقدهم، بأن يكون التكتم أوَّل الشروط، ثم يأتي التهديد والوعيد لمن باح بالسر، ويحضر رجال ويقسموا بأن يُحضروه ليُقطَّع إن باح بالسر[3]، وتُحاط طقوس الاحتفال بالدخول في معتقدهم بالإلغاز وتعظيم أسرار العقيدة[4].

ولهم إشارات ومخاطبات يعرف بها بعضهم البعض، إذا كانوا في بلاد الإسلام، فيخفون معتقدهم على من لا يعرفهم، وكلمة السرّ عندهم ثلاثة أحرف، وهي: ع (علي)، م (محمد ﷺ)، س (سلمان الفارسي)[5].



(١) سورة النجم، آية٤٢.

(٢) الخطيب، الحركات الباطنية، مرجع سابق، ص٣٩٠.

(٣) المرجع سابق، ص٣٨٥.

(٤) ابن عبد الجليل، المنصف، في التعليق والسماع أو مراسم تعليم الدين عند النصيرية، حوليات الجامعة التونسية، تونس، ع٤٦، ٢٠٠٢م، ص ص٥٣-٧٨، ص٦٠.

(٥) سلمان الفارسي، أبو عبد الله، سابقُ الفرس إلى الإسلام، صحب الرسول - ﷺ - وخدمه وحدث عنه، كان لبيبًا حازمًا، من عقلاء الرجال وعُبادهم ونبلائهم، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، مصدر سابق، ص٥٠٥. مرجع آخر، بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين: المعتزلة، الأشاعرة، الإسماعيلية، القرامطة، النّصيريّة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٧م، ص١١٨٦، ص١١٩٧.

ولم تتكشف خبايا عقائدهم إلا في سنة١٢٧٩هـ/ ١٨٦٣م على يد أحد أتباع الطائفة النصيرية، وهو: سليمان الأذني[(١)] حينما ألف كتاب الباكورة السليمانية، حيث ذكر أسرار هذه الطائفة[(٢)]، وبرر النصيرية المُعاصرون هذه السِّرِّيَّة في عقيدتهم بأن علوم أهل البيت كانت غير معلومة عند عوام المسلمين، وأن بعض الأحكام لا يعلمها إلا الخواص، وأن تلك العقائد الغريبة عن الإسلام، والتي ظهرت من بعد تسترهم، كان سببها: أن مصيرهم العقوبة في الدنيا والآخرة إن باحوا بسرعقيدتهم لغريب، مما جعلهم يلجؤون إلى جبالهم ويتكتمون على شعائرهم، ويتساهلون في أداء الفرائض الإسلاميَّة حفظًا لكيانهم الطائفي[(٣)].

ان هذه الفرق والجماعات المنتسبة للإسلام، أثبتت باستخدامها السرية للتكتم على عقائدها، انها على خلاف الحق، فالعقيدة الصحيحة لا تخاف إظهار عقيدتها، والإسلام هو دين الوضوح، فلا رموز فيه ولا ألغاز[(٤)].



(١) سليمان الأذني: كان علويًا نصيريًا، وهو من أبناء مشايخ العلويين في ولاية أذنة – أضنة – وقد تنصر بتأثير المنصرين الأمريكيين، وجاء اللاذقية وأقام بها مدة طويلة، ألف فيها كتاب الباكورة السليمانية، وطبع المُنصّرون الأمريكيون الكتاب، وقام بعض أقاربه بمراسلته والتودد إليه حتى يعود إلى موطنه، وما إن عاد حتى أحرقوه حيًا، المرجع السابق، ص١١٨٤.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) الخطيب، الحركات الباطنية، مرجع سابق، ص ص٣٨٧-٣٨٨.

(٤) المرجع السابق، ص٣٨٩.

# الخاتمة



## الخاتمة

الحمد لله حمد الشاكرين، انتهى موضوع البحث الذي تناول الشَّفرة والكتابة السِّرِّيَّة في عصري الأيُّوبيين والمماليك، وتوصَّلت الدِّراسة إلى النتائج التالية:

- أثبتت الدِّراسة أن المسلمين هم من وضع أسس وقواعد علم الشَّفرة قبل الغرب الأوروبي بثمانية قرون.
- أن العلوم المُعاصرة والخاصة بأمن المعلومات استمدت قواعدها وتنظيماتها من قواعد علم الشَّفرة التي وضعها المسلمون سيما في العصرين الأيوبي والمملوكي.
- أوضحت الدِّراسة أن ديوان الإنشاء هو المكلف بكتابة الرسائل السِّرِّيَّة، واستخدام الشَّفرات المختلفة.
- أن اختيار كتاب السر المناط إليهم كتابة الرسائل السِّرِّيَّة، يتم وفق ضوابط وشروط معينة.
- توصَّلت الدِّراسة إلى ذكر ما يقارب الأربعين نوعًا من أنواع الأحبار السِّرِّيَّة مع تركيباتها المتنوعة.
- أن الأيُّوبيين والمماليك استخدموا طرقًا ووسائل متنوعة لنقل الرسائل السِّرِّيَّة، تميز بعضها بالابتكار والتخفي.
- شهد العصر الأيوبي والمملوكي ازدهارًا في طرق تشفير الرسائل، والكتابات

السِّرِّيَّة، بسبب ما واجهوه من أخطار داخلية وخارجية، وكثرت المؤلفات الخاصة بالشَّفرة.

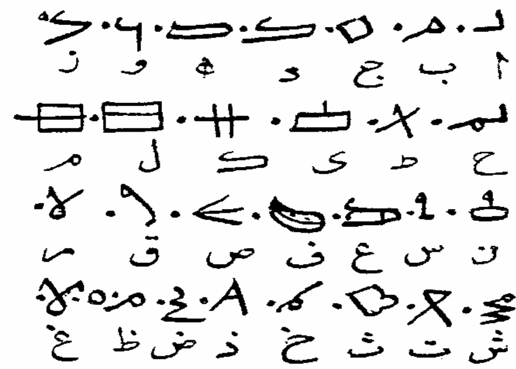
- أن استخدام الشَّفرة والكتابات السِّرِّيَّة مكنت الأيُّوبيين والمماليك من بسط الأمن والقضاء على بعض الفتن والثورات، واستفادوا منها في مواجهة الأعداء.
- أن الشَّفرة في العصرين الأيوبي والمملوكي لم يقتصر استخدامها على الأمور العسكرية، بل تعداها لتشمل نواحي متنوعة كالمسائل الفقهية والنحوية.
- أن بعض الفرق والجماعات الدينية في العصرين الأيوبي والمملوكي لجأت لاستخدام الشَّفرة والكتابات السِّرِّيَّة، وبرعوا في ذلك، لحرصهم على كتمان معتقداتهم.
- أنه قد تكون هناك طرق أخرى استخدمت لإخفاء الرسائل السِّرِّيَّة ولم تُعرف لوقتنا الحاضر بسبب السِّرِّيَّة التي أحاطت بها.
- أن الجيوش الحديثة تعتمد على الاتصالات الآمنة عبر تشفيررسائلها.
- أن مما يلحق بالشَّفرة في الوقت المعاصر تخاطب أفراد الكشافة بالإشارات، وتخاطب البُكم(الخرسان) بالإشارات المعروفة من قبلهم، أو ممن تعلمها.
- أن استخراج المعمَّى كان له دور في كشف رموز اللغة الهيروغليفية في القرن التاسع عشر الميلادي.

# قائمة الملاحق



**شكل رقم (١)**

**حروف القلم القمي وما يقابلها بالحروف العربيَّة**




**أبو بكر أحمد بن علي بن وحشية النبطي، شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام، عناية: إياد خالد الطباع، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٨م، ص٢٥**

## شكل رقم (٢)

## الحروف العربيَّة وما يقابلها في حساب الجمل وهيئة العقد بالأصابع

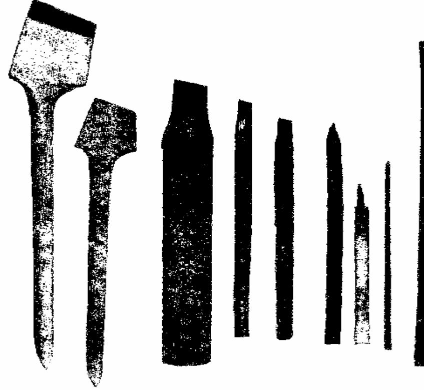
| اليد | الحروف | قيمتها | هيئة العقد |
|---|---|---|---|
| اليمنى | أ | ١ | ضم البنصر وتركيب الخنصر عليه من خلفه |
| اليمنى | ب | ٢ | ضم طرفي الخنصر والبنصر إلى أصولهما من باطن الراحة. |
| اليمنى | ج | ٣ | ضم أطراف الخنصر والبنصر والوسطى إلى أصولها من باطن الراحة. |
| اليمنى | د | ٤ | |
| اليمنى | ه | ٥ | رفع الخنصر مبسوطًا وترك البنصر والوسطى مضمومتين. |
| اليمنى | و | ٦ | ترك الوسطى مضمومة في باطن الكف وبسط الخنصر والبنصر. |
| اليمنى | ز | ٧ | |
| اليمنى | ح | ٨ | ترك البنصر مضمومة في باطن الكف ورفع الوسطى. |
| اليمنى | ط | ٩ | ضم الخنصر مبسوطة على طرف الراحة وبسط الجميع. |
| اليمنى | ي | ١٠ | ضم الخنصر والبنصر على طرف الراحة. |
| اليمنى | ك | ٢٠ | ضم الخنصر والبنصر والوسطى على طرف الراحة. |
| اليمنى | ل | ٣٠ | العقد بالسبابة بين مفصلي الإبهام حلقة. |
| اليمنى | م | ٤٠ | وضع طرف الإبهام بين السبابة والوسطى. |
| اليمنى | ن | ٥٠ | ضم باطن طرف السبابة إلى باطن طرف الإبهام. |
| اليمنى | س | ٦٠ | وضع طرف الإبهام على طرف البابة وظهرها. |
| اليمنى | ع | ٧٠ | وضع طرف الإبهام على ظهر السبابة مع بسطها. |

| اليد | الحروف | قيمتها | هيئة العقد |
|---|---|---|---|
| اليمنى | ف | ٨٠ | تركيب طرف السبابة على رأس الإبهام. |
| اليمنى | ص | ٩٠ | وضع طرف الإبهام بين العقدتين من باطن وسط السبابة وليّها عليه. |
| اليسرى | ق | ١٠٠ | وضع رأس الإبهام في العقد الذي طرفه السبابة. |
| اليسرى | ر | ٢٠٠ | وضع رأس السبابة فوق رأس الإبهام. |
| اليسرى | ش | ٣٠٠ | وضع رأس سبابة اليسرى في عقد الإبهام مع بسطه كالحلقة. |
| اليسرى | ت | ٤٠٠ | وضع رأس إبهام اليسرى بين أصلي السبابة والوسطى. |
| اليسرى | ث | ٥٠٠ | ضم طرف السبابة إلى باطن طرف الإبهام. |
| اليسرى | خ | ٦٠٠ | وضع طرف الإبهام على طرف السبابة على ظهرها. |
| اليسرى | ذ | ٧٠٠ | وضع طرف الإبهام على ظهر السبابة مع بسطها. |
| اليسرى | ض | ٨٠٠ | تركيب طرف السبابة على رأس الإبهام. |
| اليسرى | ظ | ٩٠٠ | وضع طرف ظفر الإبهام بعد العقدتين من باطن وسط السبابة وليّها عليه. |
| اليسرى | غ | ١٠٠٠ | وضع رأس الإبهام في العقد الذي في طرف السبابة. |
| | | | وضع رأس السبابة فوق رأس الإبهام. |
| | | | ضم طرف الخنصر إلى أصله من باطن الراحة اليسرى مع تركيب البنصر فوقه. |

**محمد مراياتي وآخرون، علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، ج٢، ص١٧٧**

شكل رقم (٣)

أنواع مختلفة من الأقلام



ابن الصائغ، رسالة في الخط وبري القلم، ص١٠٤

شكل رقم (٤)

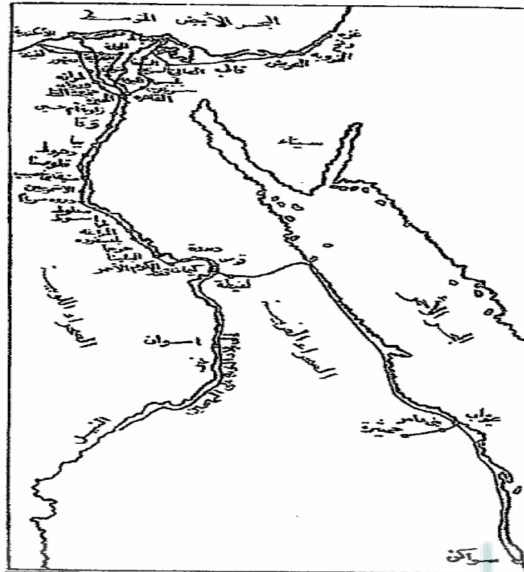
سكاكين مختلفة للقط



ابن الصائغ، رسالة في الخط وبري القلم، ص١٠٩

**شكل رقم (٥)**

**طرق البريد الرئيسية في مصر زمن المماليك**




**نظير حسان سعداوي، نظام البريد في الدولة الإسلاميَّة، ص١٧٦**



**شكل رقم (٦)**

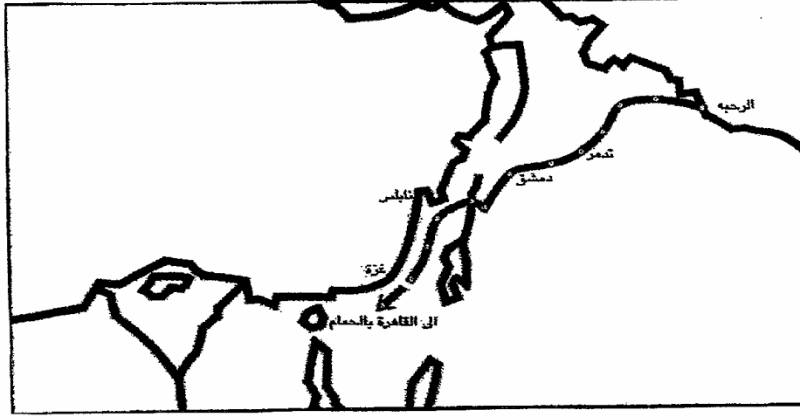
**خطوط الحمام الزاجل في العصر المملوكي**




**نظير حسان سعداوي، نظام البريد في الدولة الإسلاميَّة، ص١٧٧**

شكل رقم (٧)

المناور الرئيسية بين الفرات والقاهرة عصر المماليك



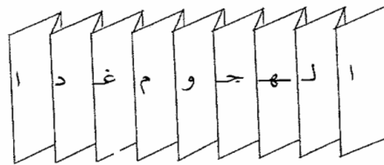

يوسف أحمد الشيراوي، الاتصالات والمواصلات في الحضارة الإسلاميَّة، ص٨٥

شكل رقم (٨)

طريقة إخفاء الرسائل عن طريق طي الورق

القلب لـكم يهـوى جمـالكم وأنـتـم فـي غـيبة عن دمعه آبدا

قبل الطيّ




بعد الطيّ

محمد مراياتي وآخرون، علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، ج٢، ص١٨٥

## شكل رقم (٩)

## الرموز التي استخدمها الشاطبي

| أ | نافع | ب | قالون | ض | خلف | ق | خلاد |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ج | ورش | د | ابن كثير | ر | الكسائي | نفر | ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر |
| ه | قنبل | ز | البزي | ت | الدوري عن الكسائي | حصن | الكوفيون عن نافع |
| ح | أبو عمرو | ط | الدوري | خ | السبعة عدا نافع | س | أبو الحارث |
| ي | السوسي | ك | ابن عامر | ظ | الكوفيون وابن كثير | ث | الكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي |
| ل | هشام | م | ابن ذكوان | ش | حمزة والكسائي | ذ | الكوفيون وابن عامر |
| ن | عاصم | ص | شعبة | صحاب | حمزة والكسائي وحفص | غ | الكوفيون وابو عمرو |
| ع | حفص | ف | حمزة | سما | نافع وابن كثير وأبو عمرو | صحبة | حمزة والكسائي وشعبة |
| عم | نافع وابن عامر | حق | ابن كثير وأبو عمرو | حرمي | نافع وابن كثير | | |



**سلامة محمد الهرفي البلوي، تاريخ أمن المعلومات في الحضارة الإسلاميَّة، ص ص٤٨-٤٩**

## شكل رقم (١٠)

**الرموز السِّرِّيَّة لدى الإسماعيلية الحشاشون وما يقابلها من الحروف العربيَّة**




**أربعة كتب إسماعيلية، تصحيح: ر.شتروطمان، دمشق، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م، ص٩**

# قائمة المصادر والمراجع



# قائمة المصادر والمراجع

■ **أولًا: المخطوطات:**

- العراقي، محمد بن أحمد (ت٥٨٠هـ)، عيون الحقائق وإيضاح الطرائق، نسخ: محمد بن عبد القادر سلمان سنة ١٢٧٢هـ، ٧١ورقة، مخطوطة بجامعة الملك سعود، رقم ٦٢٣٠ف/ ١٢٤٩/ ٣.
- النهروالي، محمد بن أحمد بن محمد بن محمود قطب الدين (ت٩٦٠هـ)، كنز الأسما في كشف المعمى، نسخ: عثمان البسنوي سنة١١٥٩هـ، ١٨ورقة، مخطوطة بجامعة الملك سعود، رقم ١١٦٥.




■ **ثانيًا: المصادر العربيَّة:**

- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عزالدين(ت٦٣٠هـ)، الكامل في التَّاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.
- ابن الأثير، نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد ضياء الدين(ت٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، (د. ت).
- الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم حسن(ت٧٧٢هـ)، طراز المحافل في ألغاز المسائل، تحقيق: محمد عثمان، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠١٣م.

- الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد(ت٥٩٧هـ)، الفتح القُسي في الفتح القُدسي: حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس، (د. م)، دار المنار، ٢٠٠٤م.
- ابن أبي أصيبعة، أحمد سديد الدين(ت٦٦٨هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط٢، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩م.
- الأنصاري، عمر بن إبراهيم الأوسي (توفي بعد ٨١٤ هـ)، تفريج الكروب في تدبير الحروب، تحقيق: جورج سكانلون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦١م.
- الأنطاكي، داود بن عمر(ت١٠٠٨هـ)، نزهة الأذهان في إصلاح الأبدان، تحقيق: محمد ياسر زكور، دمشق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٠٧م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- البغدادي، شعبان بن محمد الآثاري القرشي الموصلي (ت٨٢٨هـ)، العناية الربانية في الطريقة الشعبانية: موسوعة تراث الخط العربي، تحقيق: هلال ناجي، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ٢٠٠٢م.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر(ت١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لُباب لسان العرب، ط٣، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- البغدادي، قدامة بن جعفر الكاتب(ت٣٣٧هـ)، نقد النثر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- البنداري، الفتح بن علي (ت٦٤٣هـ)، سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحية النبراوي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٩م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف(ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.
- ابن جبير، محمد بن أحمد(ت٦١٤هـ)، تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار(٥٧٨-٥٨١هـ)، تحقيق: علي كنعان، أبو ظبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.
- الجراعي، أبي بكر زيد(ت٨٨٣هـ)، حلية الطراز في حل مسائل الألغاز على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: مساعد بن قاسم الفالح، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- الجوبري، عبد الرحمن بن عمر(ت٦٢٣هـ)، المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار، تحقيق: منذر الحايك، دمشق، دار صفحات، ٢٠١٤م.
- ابن حجة، تقي الدين أبو بكر الحموي (ت٨٢٧هـ)، كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام، بيروت، المطبعة الانسية، ١٣١٣هـ.

- ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: سالم الكرنكوي الألماني، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٦هـ.
- ـــــ، إنباء الغُمر بأبناء العُمر، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
-
- الحموي، شهاب الدين ياقوت (ت٦٢٦هـ)، المقتضب من كتاب جمهرة النسب، تحقيق: ناجي حسن،بيروت،الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٧.
- ـــــ، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.
- ـــــ، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي (ت٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، عناية: أبو صهيب الكرمي، عمّان، بيت الأفكار الدولية، (ب. ت).
- ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي (ت٣٢١هـ)، الملاحن، تحقيق: عبد الإله نبهان، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٢م.

- ابن الدريهم، علي بن محمد(ت٧٦٢هـ)، مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز: علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، تحقيق: محمد مراياتي ويحيى مير علم ومحمد حسان الطيان، دمشق، مطبعة مجمع اللغة العربيَّة، ١٩٨٧م.
- أبن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر بن أحمد الأسدي (ت٨٥١هـ)، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، دمشق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربيَّة، ١٩٩٤م.
- الدمشقي، محمد بن أبي الخير الحسني (توفي أواخر القرن ١٠ هـ)، النجوم الشارقات في ذكر بعض الصنائع المحتاج إليها في علم الميقات، حلب، طبعه محمد راغب الطباخ، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.
- الدواداري، ابن أيبك(ت٧٣٢هـ)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة، المعهد الألماني للآثار، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- الدودار، بيبرس المنصوري (ت٧٢٥هـ)، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: دونالد س. ريتشاردز، بيروت، مؤسسة حسيب درغام وأولاده، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- الدينوري، أحمد بن داود(ت٢٨٢هـ)، الأخبار الطوال، تصحيح: محمد سعيد الرافع، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٣٠ه.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، ط١١، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م.
- الرازي، أبي بكر محمد بن زكريا(ت٣١٣هـ)، زينة الكتبة: نصوص نادرة من التراث العلمي، القاهرة، مكتبة الإمام البخاري، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- ابن رسول، المظفر يوسف بن عمر بن علي (٦٩٤هـ)، المخترع في فنون من الصنع، تحقيق: محمد عيسى صالحية، الكويت، مؤسسة الشراع العربي، ١٩٨٩م.
- الزرخوني، محمد بن أبي بكر(ت٨٠٨هـ)، زهر البساتين في علم المشاتين، تحقيق: لطف الله قاري، القاهرة، مكتبة الإمام البخاري، ٢٠١٢م.
- الزفتاوي، محمد بن أحمد(ت٨١٦هـ)، منهاج الإصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة: موسوعة تراث الخط العربي، تحقيق: هلال ناجي، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ٢٠٠٢م.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ)، الأشباه والنظائر، تحقيق: عادل أحمد عبد الجواد وعلي محمد عوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- السحماوي، شمس الدين محمد(ت٨٦٨هـ)، الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم، تحقيق: أشرف محمد أنس، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٣م.

- السخاوي، علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد(ت٦٤٣هـ)، منير الدياجي وفوز المحاجي والمعروف بمنير الدياجي في تفسير الأحاجي، تحقيق: عبد القادر المرافي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- ابن سعد، محمد بن منيع(ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(ت٩١١هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربيَّة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.
- ـــــ، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- ـــــ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ضبط وتصحيح: محمد أحمد جاد المولى بك وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الشافعي، محمد بن خليل القدسي (ت٨٨٨هـ)، دول الإسلام الشريفة البهية وذكر ما ظهر لي من حِكم الله الخفية في طائفة الأتراك إلى الديار المصرية،

تحقيق: صبحي لبيب وأولريش هارمان، بيروت، مؤسسة الريحاني، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي (ت٦٦٥هـ)، الروضتين في أخبار الدولتين النُّورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- أبن شاهنشاه، عماد الدين اسماعيل بن محمد(ت٧٣٢هـ)، تقويم البلدان، تصحيح: رينود وماك كوكين، باريس، دارالطباعة السلطانية، ١٨٤٠م.
- ابن شاهنشاه، محمد بن تقي الدين عمر الأيوبي (ت٦١٧هـ)، مضمار الحقائق وسر الخلائق، ط٢، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥م.
- ابن الشحنة، إبراهيم بن أبي اليمن محمد بن أبي الفضل (ت٩٢١هـ)، الذخائر الأشرفية في ألغاز الحنفية، تصحيح: فاطمة شهاب، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
- ابن شداد، عزالدين محمد بن علي بن إبراهيم(ت٦٨٤هـ)، تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيط، بيروت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ٢٠٠٩م.

- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد(ت٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.
- الصائغ، عبد الرحمن(ت٨٤٥هـ)، رسالة في الخط وبري القلم، تحقيق: فاروق سعد، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٧م.
- الصفدي، صلاح الدين بن خليل بن أيبك(ت٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، ط٢، بيروت، دار صادر، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- ـــــ، تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، تحقيق: إحسان بنت سعيد حلوجي وزهير حميدان الصمصام، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٢م.
- ـــــ، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبوزيد ونبيل أبو عمشة محمد موعد ومحمود سالم محمد، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٨م.
- الصنهاجي، المعز بن باديس(ت٤٥٤هـ)، عُمدة الكُتاب وعُدة ذوي الألباب، تحقيق: عبد الستار الحلوجي وعلي عبد المحسن زكي، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، الإصدار ٧٩، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
- الصولي، محمد بن يحيى(ت٣٣٦هـ)، أدب الكتاب، تحقيق: محمد بهجة الأثري، بغداد، المكتبة العربيَّة، ١٣٤١هـ.

- الصيرفي، علي بن داود(ت٩٠٠هـ)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠م.
- الصيرفي، علي بن منجب بن سليمان(ت٥٤٢هـ)، القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٠م.
- ابن عباس، شافع بن علي (ت٧٣٠هـ)، حسن المناقب السِّرِّيَّة المنتزعة من السيرة الظاهرية، ط٢، تحقيق: عبد العزيز عبد الله الخويطر، الرياض، مؤسسة الجريسي، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- ـــــ، الفضل المأثور من سيرة الملك المنصور، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- ابن عبد الظاهر، محيي الدين(ت٦٩٢هـ)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- ابن عبدربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
- العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم(ت٧٤٥هـ)، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم وحقائق الإعجاز، تحقيق: سيد بن علي المرصفي، القاهرة، مطبعة المقتطف، ١٩١٤م.

- ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد العكري (ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- العيني، بدرالدين محمود(ت٨٥٥هـ)، عِقد الجُمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد أمين، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت١٧٠هـ)، العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- ابن فضل الله، شهاب الدين أحمد بن يحيى العُمري (ت٧٤٩هـ)، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ــــــ، مسالك الأبصار في مسالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م.
- القالي، إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت٣٥٦هـ)، الأمالي، تحقيق: إسماعيل يوسف بن صالح بن ذياب، بيروت، دار الحديث للطباعة والنشر، ١٩٨٤م.

- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت٨٢١هـ)، ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر، ط٢، تصحيح: محمود سلامة، القاهرة، مطبعة الواعظ، ١٩٠٦م.
- ــــــ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط٣، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٠م.
- القللوسي، أبوبكر محمد بن محمد الأندلسي (ت٧٠٧هـ)، تحف الخواص في طُرف الخواص: في صنعة الأمدَّة والأصباغ والأدهان، تحقيق: حسام أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- ابن قنفذ، أحمد بن حسن القسنطيني (ت٨١٠هـ)، شرف الطالب في أسنى المطالب، تحقيق: عبد العزيز صغير دُخان، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- الكاتب، علي بن خلف (توفي بعد ٤٣٧ هـ)، موادُّ البيان، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دمشق، دار البشائر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- الكلاعي، محمد بن عبد الغفور(ت٥٥٠هـ)، إحكام صنعة الكلام، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٦م.
- ابن كنان، محمد بن عيسى(ت١١٥٣هـ)، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق: عباس صباغ، بيروت، دار النفائس، ١٩٩١م.

- المالكي، برهان الدين إبراهيم بن فرحون(ت٧٩٩هـ)، درة الغواص في محاضرة الخواص، تحقيق: محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، تونس، المكتبة العتيقة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- مجهول، رسالة في استخراج المعمى من الشعر: علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، تحقيق: محمد مراياتي ويحيى مير علم ومحمد حسان الطيان، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربيَّة، ١٩٨٧م.
- مجهول، مقالة في جمل القول على حل التراجم المسهلة المستحسنة للخروج: علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، تحقيق: محمد مراياتي ويحيى مير علم ومحمد حسان الطيان، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربيَّة، ١٩٨٧م.
- مجهول، أربعة كتب إسماعيلية، تصحيح: ر. شتروطمان، دمشق، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي(ت٨٤٥هـ)، درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة، مج٢، تحقيق: محمود الجليلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- ابن مقلة، محمد بن علي (ت٣٢٨هـ)، رسالة ابن مقلة في الخط والقلم: موسوعة تراث الخط العربي، تحقيق: هلال ناجي، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ٢٠٠٢م.

- ابن مماتي، الأسعد(ت٦٠٦هـ)، قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩١م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، (ب. ت).
- الموصلي، علي بن عدلان النحوي (ت٦٦٦هـ)، الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب، تحقيق: حاتم صالح الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- الموصلي، موسى بن حسن(ت٧٠٠هـ)، البرد الموشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: عفاف سيد صبرة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
- ابن النديم، محمد بن اسحاق(ت٣٨٠هـ)، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، طهران، (ب. ن)، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- ابن هشام، جمال الدين الأنصاري (ت٧٦١هـ)، الألغاز النحوية، تحقيق: موفق فوزي الجبر، دمشق، دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ابن هشام، عبد الملك المعافري (ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: محمد بيومي، المنصورة، مكتبة الإيمان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

- الهيتي، عبد الله بن علي (ت٨٩١هـ)، العمدة رسالة في الخط والقلم: موسوعة تراث الخط العربي، تحقيق: هلال ناجي، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ٢٠٠٢م.
- ابن واصل، محمد بن سالم(ت٦٩٧هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية-المطبعة الأميرية، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.
- الواقدي، عبد الله بن محمد بن عمر(ت٢٠٧هـ)، المغازي، ط٣، تحقيق: مارسدن جونس، (د. م)، عالم الكتب، ١٩٨٤م.
- ابن وهب، إسحاق بن إبراهيم بن سليمان(ت٣٣٥هـ)، رسالة ابن وهب الكاتب: علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، تحقيق: محمد مراياتي ويحيى مير علم ومحمد حسان الطيان، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربيَّة، ١٩٨٧م.
- بن يحيى، صالح (عاش في القرن ١٠ هـ)، تاريخ بيروت واخبار الأمراء البُحتُريين من بني العرب، ط٢، تحقيق: لويس شيخو اليسوعي، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٢٧م.

**■ ثانيًا: المراجع العربيَّة:**

- أمين، بكري شيخ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، ط٣، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- الأنـصاري، ناصـر، تـاريخ أنظمـة الـشرطة في مـصر، القـاهرة، دار الـشروق، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- باشا، أحمد فؤاد، أساسيات العلـوم المُعاصـرة في الـتراث الإسـلامي، القـاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٧م.
- باشـا، خيرالـدين شمسي، مجمـع الألغـاز، الريـاض، دار الفيـصل، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- باشـا، عمـر موسـى، أميـر شـعراء المـشرق: ابـن نباتـه المـصري، القـاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣م.
- بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين: المعتزلـة، الأشـاعرة، الإسـماعيلية، القرامطة، النصيرية، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٧م.
- البلوي، سلامة محمد الهرفي، تاريخ أمـن المعلومـات في الحـضارة الإسـلاميَّة، دبي، دار القلم، ٢٠٧٧م.
- جماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، بيروت، دار النفائس، ٢٠٠٧م.
- الجمَّال، أحمد صادق، الأدب العامي في مـصر في العـصر المملـوكي، القـاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م.
- جول، إسماعيل بك، اليزيدية قديمًا وحديثًا، عناية: قـسطنطين زريـق، بيـروت، المطبعة الأمريكانية، ١٩٣٤م.

- الحسني، عبد الرزاق، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، صيدا، مطبعة العرفان، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.
- الحسني، عبد السلام بن محمد العلي، ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس، الرباط، مكتبة دار التراث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
- حسين، محمد كامل، طائفة الإسماعيلية: تاريخها. نظمها. عقائدها، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩م.
- حسين، محمد محسن، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ط٢، أربيل، دار ئاراس للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م.
- الحفني، عبد المنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلاميَّة، ط٢، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩م.
- حلاق، محمد صبحي بن حسن، الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- الخشت، محمد عثمان، حركة الحشاشين: تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم الإسلامي، القاهرة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- خضر، مهدي قادر، الأمن في مصر في العصر الأيوبي، أربيل، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، ٢٠١١م.
- الخضري، محمد، الدولة العباسية، ط٣، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٧م.

- الخطيب، محمد أحمد، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: عقائدها وحكم الإسلام فيها، ط٢، عمّان، مكتبة الأقصى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التَّاريخية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- خليل، عماد الدين، المقاومة الإسلاميَّة للغزو الصليبي، (د. م)، دار ابن كثير، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- الدروبي، سمير، الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدِّراسات الإسلاميَّة، ٢٠٠٧م.
- درويش، مهجة محمد كامل، صور من الأدب في العصر المملوكي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٧-١٩٨٨م.
- الدملوجي، صديق، اليزيدية، الموصل، مطبعة الاتحاد، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.
- دهمان، محد أحمد، معجم الألفاظ التَّاريخية في العصر المملوكي، دمشق، دار الفكر، ١٤١٠هـ/ ١٩٩١م.
- أبي راشد، حنا، الدروز، القاهرة، مكتبة زيدان العمومية، ١٩٢٥م.
- الزركلي، خيرالدين، الأعلام، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
- أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلاميَّة في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، القاهرة، دار الفكر العربي، (ب. ت).
- زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، القاهرة، مطبعة الهلال، ١٩٠٢م.

- سالم، السيد عبد العزيز، العصر العباسي الأوَّل، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٣٩٨هـ.
- سالمان، محمد، فن الألغاز عند العرب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م.
- السامرائي، قاسم، علم الاكتناء العربي الإسلامي، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدِّراسات الإسلاميَّة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- سعداوي، نظير حسان، نظام البريد في الدولة الإسلاميَّة، القاهرة، دار مصير للطباعة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.
- أبو سعدة، شفيق عبد الرازق، شعراء الخصاصة في العصر المملوكي، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ١٩٩١م.
- سعيد، خير الله، وراقو بغداد في العصر العباسي، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدِّراسات الإسلاميَّة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- ـــــــ، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، بيروت، الانتشار العربي، ٢٠١١م.
- السلومي، سليمان عبد الله، أصول الإسماعيلية: داسة- تحليل- نقد، الرياض، دار الفضيلة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- سليم، محمود رزق، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، ط٢، القاهرة، دار الحمامي للطباعة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

- الشدياق، طنوس، أخبار الأعيان في جبل لبنان، نظر فيه وفهرسه: فؤاد إفرام البستاني، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٦٩م.
- الشيراوي، يوسف أحمد، الاتصالات والمواصلات في الحضارة الإسلاميَّة، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٢م.
- طنطاوي، حسام عويس، الكتابة بالأشياء في مصر خلال العصر المملوكي، مؤتمر الفن واللغة، كلية الفنون الجميلة- كلية الآداب- كلية الألسن، جامعة المنيا، ٢٠١٣م.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح، مصر والشام في عصر الأيُّوبيين والمماليك، بيروت، دار النهضة العربيَّة، ١٩٧٢م.
- العبادي، أحمد مختار، معجم اللغة العربيَّة المُعاصر، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٨م.
- العجلاني، منير، عبقرية الإسلام في أصول الحكم، بيروت، دار النفائس، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- العزاوي، عباس، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، بغداد، مطبعة بغداد، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م.
- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، (ب. م)، (ب. ن)، ١٩٩٣م.

- أبو عليان، عزمي عبد محمد، مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، عمّان، دار النفائس، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- عنان، محمد عبد الله، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ط٣، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
- غالب، ادوارد، الموسوعة في علوم الطبيعة، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٥م.
- غالب، مصطفى، تاريخ الدعوة الإسماعيلية منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحالي، دمشق، دار اليقظة العربيَّة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٣م.
- ــــــ، الحركات الباطنية في الإسلام، بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، (ب. ت).
- الغامدي، مسفر سالم عريج، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر (٤٩١-٥٦٩هـ/ ١٠٩٧-١١٧٣م)، جدة، دار المطبوعات الحديثة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الغريب، سلامة هليل، الرسائل الفنية في العصر المملوكي الأوَّل (٦٤٨-٧٨٤هـ)، عمّان، دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م.
- فرحات، كرم حلمي، المخابرات الإسلاميَّة عبر العصور، القاهرة، مكتبة الإمام البخاري، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

- قاسم، قاسم عبده، في تاريخ الأيُّوبيين والمماليك، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- القاسم، محمد بن عبد الله، سياسات أمن المعلومات، الرياض، كلية الملك فهد الأمنية، ٢٠١٠م.
- كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٢، دمشق، المكتبة الهاشمية، ١٩٤٩م.
- الكردي، محمد بن طاهر بن عبد القادر، تاريخ الخط العربي وآدابه، القاهرة، المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني، ١٩٣٩م.
- كمال، عبد الحي، الأحاجي والألغاز الأدبية، ط٢، الطائف، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ١٤٠١هـ.
- لباد، ميشيل، الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية بمصياف ٥٣٥-٦٧٠هـ، (د. م)، مطبعة الاتحاد، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.
- ماجد، عبد المنعم، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ط٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م.
- -ـــــــ، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلاميَّة: التَّاريخ السياسي (٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م)، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- متولي، نجوى محمد، الكتابات المعمَّاه في الحضارة المصرية القديمة، الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٠م.

- مجمع اللغة العربيَّة، المعجم الوسيط، ط٤، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.
- محمد، إمام الشافعي، المخابرات في التَّاريخ الإسلامي الباكر، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٣م.
- مراياتي، محمد وعلم، يحيى مير والطيان، محمد حسان، علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربيَّة، ١٩٨٧م.
- الموسوعة العربيَّة العالمية، ط٢، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- الهلالي، سعدالدين، الألغاز الفقهية في مسائل العبادات والمعاملات والمواريث للتدريب على الفقه المقارن والتعددية الفقهية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥م.
- اليحيى، يحيى بن عبد العزيز، الجمع بين الصحيحين للحفاظ، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٣٥هـ.

## ▪ ثالثًا: المراجع المترجمة:

- دفتري، فرهارد، خرافات الحشاشين وأساطير الإسماعيليين، ترجمة: سيف الدين قصير، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، ١٩٩٦م.

- رانسيمان، ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
- شتاين، آدم ج. سيلفر، النُّظُم البريدية في العالم الإسلامي قبل العصر الحديث، ترجمة: عمر سعيد الأيوبي، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ٢٠١٠م.
- كان، ديفيد، حرب الاستخبارات، ط٢، ترجمة: عبد اللطيف أفيوني، بيروت، المؤسسة العربيَّة للدراسات والنشر، ١٩٨٢م.
- لويس، برنارد، الحشيشية: الاغتيال الطقوسي عند الإسماعيلية النزارية، ط٢، ترجمة: سهيل زكار، دمشق، دار قتيبة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- ميتز، آدم، الحضارة الإسلاميَّة في القرن الرَّابع الهجري، ط٥، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، بيروت، دار الكتاب العربي، (د. ت).



■ **رابعًا: الرسائل العلمية:**

- اسكندر، سلوى رشيد، التَّاريخ السياسي والعسكري للدولة المملوكية في عهد الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م)، سالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- البطاينة، فارس فندي، التعمية في النحو واللغة: عرض ودراسة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ١٩٨٦م.

- البكوش، حمزة محمد علي، الجاسوسية في الدولة العربيَّة الإسلاميَّة (١-١٣٢هـ/ ٦٢٢-٧٥٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب بليبيا، ٢٠٠٦م.
- البياتنة، دعاء وصفي محمود، علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩م.
- الجزار، هاني فخري، النظام العسكري في دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلاميَّة بغزة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- الحريري، سلطان عبد الرؤوف، أدب الرسائل في العصر الأيوبي (رسائل القاضي الفاضل نموذجًا)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، ٢٠٠٠م.
- حماد، فتحي أحمد محمد، العيون والجواسيس في بلاد الشام في العهدين الزنكي والأيوبي (٥٢٢-٦٤٨هـ/ ١١٢٨-١٢٥٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلاميَّة بغزة، ٢٠١١م.
- الزعارير، طه حسن عقاب، البريد في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠١م.

- الزيودي، ريما محمد، نقل الأخبار وتداولها في المجتمع الإسلامي أيام الدولة الاموية ٤٠-١٣٢هـ/ ٦٦٠-٧٤٩م: دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ٢٠١٤م.
- سيد، عبد الله عيد كمال، التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٧-٩٢٣هـ/ ١١٧١-١٥١٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المنصورة، ٢٠١١م.
- الطنخاني، آمنة أحمد صابر، الاستخبارات في الدولة الإسلاميَّة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشارقة، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م.
- عبد الرحمن، نداء فالح أحمد، لغة الألغاز في شعر العصر المملوكي الأوَّل (٦٤٨-٧٨٤هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، ٢٠١٤م.
- عليان، محمد أحمد، التقية: دراسة عقائدية مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت،الأردن، ١٩٩٨م.
- غنيمات، قاسم محمد مزعل، الجيش المغولي في الفترة ما بين ٦١٥-٧٣٦هـ/ ١٢١٨-١٢٣٥م، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٣م.
- المحمد، عبد الله علي السلامة، الاستخبارات العسكرية في الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٨٦م.

- نصرة الله، محمد يوسف، الاستراتيجية العسكرية الإسلاميَّة ضد الصليبيين حتى نهاية العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طيبة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- نور، ناصر إبراهيم طه محمد، منظومة الجزري (٧٥١-٨٣٣هـ) في علم مصطلح الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أمدرمان الإسلاميَّة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- الهذّال، ناديا أحمد علي، البريد وطرقه في بلاد الشام والعراق في العصر العباسي (١٣٢-٤٥٠هـ/ ٧٥٠-١٠٥٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٦م.



■ **خامسًا: الدوريات العلمية:**

- أحمد، عبد الله محمد، الحمام الزاجل بين البريد والأدب، مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية-جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان، ع٢، مج١٣، نوفمبر٢٠١٢م، ص ص١٧١-١٨٨.
- باشا، خيرالدين شمسي، الألغاز والأحاجي والمعميات، مجلة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، سوريا، مج٧١، ج٤، ١٩٩٦م، ص ص٧٦٨-٨١٦.
- ـــــــ، علم الشفرة عند العرب، مجلة المعرفة، سوريا، ع٤٩٠، السنة ٤٣، جمادى الآخر ١٤٢٥ هـ/ تموز٢٠٠٤م، ص ص٢١٤-٢٢٣.

- البكوش، حمزة محمد، دور البريد العسكري الأيوبي في الصراع الصليبي الإسلامي في بلاد الشام، مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، ليبيا، ع٢٠، ٢٠١١م، ص ص٢١-٣٢.
- ــــــــ، دور البريد في خدمة الإدارة العسكرية عند المماليك في بلاد الشام، مجلة الجامعة الأسمرية الإسلاميَّة، ليبيا، ع١٦، السنة التاسعة، ٢٠١٢م، ص ص٥٩١-٦١٣.
- البلوي، سلامة محمد الهرفي، الكتابة السِّرِّيَّة والرموز في التراث العربي، مجلة بحوث تاريخية، السعودية، اللقاء العلمي الأوَّل والثَّاني، شوال١٤٠٩ه- شوال١٤١٠هـ، ص ص١٢٧-٢١١.
- ــــــــ، نظم الاستخبارات الأيوبية في عصر صلاح الدين، مؤته للبحوث والدِّراسات-العلوم الإنسانية، الأردن، ع٤، مج٢٢، ٢٠٠٧م، ص ص١١-٣٦.
- البواب، علي حسين، عبد الملك بن جمال الدين بن صدر الدين الأسفراييني (ت١٠٣٧هـ)، شرح منظومة الألغاز النحوية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة، السعودية، ع٦، محرم١٤١٣هـ/ يوليو١٩٩٢م، ص ص٣٥١-٣٨٥.

- توفيق، بروين بدري، صناعة الأحبار والليق والأصباغ: فصول من مخطوطة- قطف الأزهار- لمحمد عوض المغربي، مجلة المورد، العراق، ع٣، مج١٢، ١٩٨٣م، ص ص٢٥١-٢٧٨.
- الجبوري، سهيلة، المواد المستعملة في كتابة الكتب بالخط العربي في العصر العباسي، مجلة كلية الآداب-جامعة بغداد، العراق، ع٤، ١٩٦١م، ص ص٤٦٥-٤٧٠.
- الجبوري، عبد الله، الغباريون أو اصحاب الكتابة الدقيقة، مجلة العرب، السعودية، ع٣-٤، مج٣٨، ديسمبر٢٠٠٢م، ص ص١٥٣-١٥٨.
- الجزائري، محمد مكي الحسني، علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، مجلة اللغة العربيَّة بدمشق، سوريا، مج٨٣، ج١، ٢٠٠٨م، ص ص١٥٩-١٧٦.
- جمعة، زينب، الألغاز النحوية: دراسة تحليلية، مجلة الآداب-جامعة بغداد، العراق، ع١٠٣، ٢٠١٣م، ص ص١٦٠-١٧٧.
- الجميلي، صادق محمود، من الموروث البغدادي قصة الساعات في بغداد، مجلة المورد، العراق، ع٤، مج٨، ١٩٧٩م، ص ص٥٣٩-٥٥٢.
- الحازمي، عليان بن محمد، علم الدلالة عند العرب، مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية واداﺑﻬا، السعودية، ع٢٧، مج١٥،أغسطس ٢٠٠٣م، ص ص٧٠٥-٧٢٦.

- حتاملة، عبد الكريم عبده، صلاح الدين الأيوبي وموقفه من القوى المناوئة في بلاد الشام ٥٧٠-٥٨٩هـ/ ١١٧٤-١١٩٣م، الدارة، السعودية، ع٢، مج١٢، ١٩٨٦م، ص ص١٥٩-١٧٢.
- حمادة، محمد ماهر، المواد التي استعملها المسلمون في الكتابة، مجلة كلية اللغة العربيَّة-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة، السعودية، ع٩، ١٩٧٩م، ص ص٥٧٧-٥٩٣.
- حميش، عبد الحق، منهج الألغاز وأثره في الفقه الإسلامي، مجلة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميَّة، الكويت، ع٥٤، مج١٨، سبتمبر٢٠٠٣م، ص ص٢١٩-٢٧٩.
- الخطيب، عدنان، وقائع المؤتمر السنوي الخمسين لمجمع القاهرة، مجلة مجمع اللغة العربيَّة الأردني، الأردن، ع٢٧-٢٨، السنة التاسعة، ربيع الثَّاني-شوال١٤٠٥هـ/ كانون الثَّاني-حزيران١٩٨٥م، ص ص١٤٥-١٨٠.
- خميس، محمد محمد، قيم أدبية في نظم الشاطبية، حولية كلية الدِّراسات الإسلاميَّة والعربيَّة بالقاهرة-جامعة الأزهر، مصر، ع١٦، ١٩٩٨م، ص ص٤٨٥-٥٣٢.
- أبو الخير، أحمد مصطفى، لغتنا العربيَّة وعناصر العالمية، مجلة آفاق تربوية، قطر، ع١٤، يناير١٩٩٩م، ص ص٤٢-٥٥.

- رمضان، عبد الغني إبراهيم، المسلمون وإرهاصات الإفاقة للخطر الصليبي ٤٩٣-٤٩٨هـ/ ١١٠٠-١١٠٥م، دراسات جامعة الملك سعود، السعودية، ع٢، مج٢، نوفمبر١٩٧٨م، ص ص٢١٣-٢٥٦.
- الزيودي، ريما، نقل الأخبار وتداولها في المجتمع الإسلامي في العهدين النبوي والراشدي ١-٤٠هـ، مجلة المنارة للبحوث والدِّراسات، الأردن، ع٣، مج٢١، ٢٠١٥م، ص ص٢٢١-٢٤٨.
- السجيني، فايزة، دور الاستخبارات البيزنطية في الصراع البيزنطي-الإسلامي، المجلة التَّاريخية المصرية، مصر، مج٤٨، ٢٠١٢-٢٠١٣م، ص ص١٢١-١٤٦.
- الشمري، هزاع بن عيد، الأرقام العربيَّة والأرقام الافرنجية، مجلة عالم الكتب، السعودية، ع٦٠٥، مج١٩، ١٩٩٨م، ص ص٤٣٤-٤٦٣.
- صالح، أشرف، سيرة الحمام الزاجل التَّاريخية، دورية كان التَّاريخية، الكويت، ع٤، يونيو٢٠٠٩م، ص ص٧٨-٨٣.
- صباغ، ميخائيل بن نقولا إبراهيم، مسابقة البرق والغمام في سعاة الحمام، مجلة المورد، العراق، ع٣، مج٢، حزيران١٩٧٣م، ص ص١٤٤-١٥٢.
- الضامن، حاتم صالح، الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب لعلي بن عدلان الموصلي النحوي (ت٦٦٦هـ)، مجلة المورد، العراق، ع٣، مج١٢، ١٩٨٣م، ص ص١٧٩-٢٥٠.

- طه، صلاح الدين أمين، سكان اقليم أرمينية بعد الفتح العربي له، مجلة التربية والعلم، العراق، ع٣، ١٩٨١م، ص ص٩-٣٦.
- الطوبي، مصطفى، المخطوط العربي الإسلامي بين الصناعة المادية وعلم المخطوطات، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، الإصدار ٧٩، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص ص١١-٦٠.
- الطيان، محمد حسان، ذات القوافي: قصيدة لأبن الدريهم ٧٦٢هـ، مجلة اللغة العربيَّة بدمشق، سوريا، مج٧٧، ج٢، ٢٠٠٢م، ص ص٢١٧-٢٣٢.
- - عبد الجليل، المنصف، في التعليق والسماع أو مراسم تعليم الدين عند النصيرية، حوليات الجامعة التونسية، تونس، ع٤٦، ٢٠٠٢م، ص ص٥٣-٧٨.
- عبد العزيز، نبيل محمد، الحمام الزاجل وأهميته في عصر سلاطين المماليك، المجلة التَّاريخية المصرية، مصر، مج٢٢، ١٩٧٥م، ص ص٤١-٨٠.
- عبيد، هاني، تاريخ الأرقام، المجلة الثقافية، الأردن، ع٥٤-٥٥، ٢٠٠٣م، ص ص٢٥٠-٢٦٥.
- العبيدي، صلاح حسين، الدواة والقلم في الآثار العربيَّة الإسلاميَّة في العصر العباسي، مجلة كلية الآداب-جامعة بغداد، العراق، ع٢٨، ١٩٨٠م، ص ص٦٣٧-٦٥٨.

- العبيدي، عبد العزيز بن راشد بن عبد العزيز، جهود صلاح الدين الأيوبي في بناء الجبهة الإسلاميَّة وتأسيس الدولة الأيوبية حتى سنة٥٧٣هـ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة، السعودية، ع٦، يوليو١٩٩٢م، ص ص٤٤٧-٥٣١.
- عثمان، محمد عبد الستار، دور المسلمين في صناعة الأقلام، الدارة، السعودية، ع١، مج١١، ١٩٨٥م، ص ص٣١-٥٢.
- عدوان، أحمد محمد، العيون والطلائع الإسلاميَّة في عصر الخلافة الراشدة في المشرق، المجلة العربيَّة للعلوم الإنسانية، الكويت، ع٤٨، مج٤٨، ١٩٩٤م، ص ص١٤٦-١٦٩.
- العدوي، إبراهيم أحمد، نظام الشفرة في المكاتبات العربيَّة في العصور الوسطى، مجلة كلية الآداب-جامعة الملك فؤاد الأوَّل، مصر، مج١٢، ج٢، ١٩٥٠م، ص ص١٠١-١٠٩.
- علم، يحيى مير، إسهامات علماء التعمية في اللسانيات العربيَّة، مجلة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، سوريا، مج٧٩، ج٣، ٢٠٠٤م، ص ص٥٢١-٥٤٦.
- ـــــ، ابن وحشية النبطي وريادته في كشف رموز هيروغليفية في كتابة (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام)، مجلة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، سوريا، مج٧٩، ج٤، ٢٠٠٤م، ص ص٧٣٥-٧٦٤.

- علیان، ربحي مصطفى، صناعة الورق في الحضارة الإسلاميَّة: دراسة تاريخية، مجلة الأمن والحياة-أكاديمية نايف العربيَّة للعلوم الأمنية، السعودية، ع٢٤٩، مج٢٢، صفر١٤٢٤هـ/ مايو٢٠٠٣م، ص ص٣٠-٣٣.
- العمري، محمد نبيل طاهر وبرقان، إبراهيم محمد خالد، مفهوم التقية عند الشيعة الإمامية الإثنى عشرية وأهل السنة: دراسة عقدية مقارنة، المجلة الأردنية في الدِّراسات الإسلاميَّة-جامعة أهل البيت، الأردن، ع١، مج١١، ٢٠١٥م، ص ص٤١٩-٤٤٢.
- عواد، كوركيس، الورق أو الكاغد صناعته في العصور الإسلاميَّة، مجلة المجمع العلمي، سوريا، مج٢٣، ج٣، ١٩٤٨م، ص ص٤٠٩-٤٣٨.
- عيدان، حيدر جبار والشاعر، حسن عبد المجيد، خالد الأزهري (ت٩٠٥هـ) الألغاز النحوية في علوم العربيَّة، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية-جامعة الكوفة، العراق، ع١٣، مج٧، كانون الأوَّل ٢٠١٣ م، ص ص٩٥-١٣٨.
- غبيق، صلاح الهادي، التشفير وفك التشفير، مجلة العلوم الاقتصادية والسياسية-كلية الاقتصاد والتجارة-الجامعة الأسمرية الإسلاميَّة زليتن، ليبيا، ع٢، ٢٠١٣م، ص ص٥٠٨-٥٤٣.
- الغريب، سلامة هليل، الحمام الهوادي في ترسل كتاب الإنشاء (في العصرين الأيوبي والمملوكي)، المجلة الأردنية في اللغة العربيَّة وآدابها، الأردن، ع٤، مج١٠، اكتوبر٢٠١٤م، ص ص٢٢٥-٢٥٠.

- فرخ، ماهر عبد الغني، ديوان البريد المملوكي في بلاد الشام (٦٥٩-٨٠٣هـ/ ١٢٦١-١٤٠١م)، المجلة العربيَّة للعلوم الإنسانية، الكويت، ع١٠٠، السنة ٢٥، خريف٢٠٠٧م، ص ص٧٣-٩٨.
- قاري، لطف الله، أبي بكر محمد زكريا الرازي، زينة الكتبة، مجلة عالم المخطوطات والنوادر، مصر، ع٢، مج١٦، رجب-ذوالحجة١٤٣٢هـ/ يوليو-ديسمبر٢٠١١م، ص ص٢١١-٢٤٢.
- القرني، عالية صالح سعد، عبادة الشيطان: دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة النجاح للعلوم الإنسانية، فلسطين، ع٨، مج٢٦، ٢٠١٢م، ص ص١٩١٩-١٩٥٤.
- المحمداوي، علي صالح رسن وحبيب، نزار عزيز، وظيفة كاتب السر في عصر المماليك البحرية، مجلة ابحاث البصرة، العراق، ع١، مج٣١، ج أ، ٢٠٠٦م، ص ص٦٦-٨٩.
- محمود، شفيق جاسر أحمد، دولة المماليك البحرية: نشأتها وفضلها في القضاء على الصليبيين، الدارة، السعودية، ع٤، مج١٦، رمضان٢٠٠٠م، ص ص١٨٩-٢١٨.
- المِشوخي، عابد سليمان، الحبر والمداد في التراث العربي، مجلة معهد المخطوطات العربيَّة بالقاهرة، مصر، مج٥٥، ج١، جماد الأوَّلى ١٤٣٢ هـ/ مايو٢٠١١م، ص ص١٠٩-١٦٤.

- المقري، بدر، بعض قضايا التواصل في علم التعمية عند المسلمين: رسالة أبي يوسف الكندي (ت٢٦٠هـ) نموذجًا، أعمال اليوم الدراسي: التواصل في الرؤية المعرفية الإسلاميَّة، مركز الدِّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بوجدة، المغرب، ٢٠١١م، ص ص٣١-٤٤.
- الملحم، محمد بن ناصر بن أحمد، مرج الصفر: من مواقع الإسلام الحاسمة بين المسلمين والمغول ٧٠٢ ه، مجلة الحكمة، السعودية، ع٢٠، يناير٢٠٠٠م، ص ص٣٨٥-٤٢٩.
- موسى، محمد السيد عبد الرزاق، فن التورية عند ابن نباته المصري في ديوانه الكبير، مجلة كلية التربية-جامعة المنصورة، مصر، ج٤٦، مايو٢٠٠١م، ص ص٢٣٩-٢٦٩.
- نبهان، عادل محمد، دور الحمام الزاجل في الصراع الصليبي الإسلامي في بلاد الشام (٤٩٠-٦٩٠هـ/ ١٠٩٧-١٢٩١م)، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدِّراسات، فلسطين، ع٧، نيسان٢٠٠٦م، ص ص٣٨٩-٤١٢.
- ـــــ، نظام البريد ودوره في الصراع بين المماليك والمغول (٦٦١-٧٢٣هـ/ ١٢٦٣-١٣٢٣م)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الامارات العربيَّة المتحدة، ع١، مج٨، ربيع الأوَّل ١٤٣٢هـ/ مارس٢٠١١م، ص ص٤٥-٦٣.
- نبهان، عبد الإله أحمد، علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، عالم الكتب، السعودية، ع٦، مج١٦، نوفمبر-ديسمبر١٩٩٥م، ص ص٥٨٣-٥٨٧.

- نبيل، علي فودة، جمال الدين بن يوسف بن أحمد ابن هشام (ت٧٦١هـ): موقد الأذهان وموقظ الوسنان، مجلة كلية الآداب-جامعة الرياض، السعودية، مج٧، ١٩٨٠م، ص ص١٣٧-١٩٤.



# قائمة المحتويات



## قائمة المحتويات